



مَسلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

هَمِيَّاتُ الزَّادِ إِلَى حِمَارِ الْمَعْجَانِ

للعالم الحجة
محمد بن يوسف الوهبي الاباضي المصعبي

الجزء العاشر

أول

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القطعة العاشرة من الفصحى الكبرى النسخى هجران الزاد إلى دار اللاد ،
هو الشيخ العالم الفقيه ، الخليل بن أبي بكر ، الذي بلغ من العلوم في زمانه
ما لم يلحقه فيها أحد من أقرانه من العلوم العقلية والمواهب المتقولة ،
الشيخ محمد بن يوسف الوهبي الأباغى البسجنى الصمعي ،
فإنه قد أتى فيه بالسبب العجيب ، من كل منق مستطاب ،
من اللسكت الأدبية ، واللمعان العربية ، لا سيما وقد
أظهر فيه عفاة أهل الاستقامة ، بحسب ما على أهل
الزينة بالمجيب القاطعة ، والبراهين الخاططة ،
من اللكواب والشفة ، ورائع الحظين ،
من الألفة ، كلامه الله تعالى من
الإسلام وأهل جنمه المرافرة ،
والآية للنسوانرة ،
في الدنيا
والآخرة
آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد أوقف سيدنا [ومولانا] الأجل الأكرم] ، المحترم المظم الممام ،
 على بن سعيد بن سلطان ابن الإمام هذا الكتاب ، وهو تفسير القرآن العظيم ،
 المسمى بـ «هميان الزاد إلى دار المعاد» على طلبه العلم المتعلمين والراغبين فيه ،
 ابتغاء ما عند الله تعالى من الثواب ، وهرباً من أليم العقاب ، وإنه قد أخذ
 عهد الله وميثاقه على من صار في يده شيء من هذا الكتاب أن لا يبيعه ،
 ولا يهبه ، ولا يرهنه ، ولا يملكه ، وأن لا يمنه من كان مستحقاً
 للقراءة منه ، وأن لا يعطيه من هو غير مأمون عليه ، خوفاً من ضياعه .
 وإن احتاج إلى إصلاح فليصلحه من صار في يده وأجره على الله تعالى ،
 وفقاً مؤبداً صحيحاً شرعياً ، لا يحال ولا يزال . ولا يباع هذا الكتاب ،
 ولا يورث ، ولا يوهب ، ولا يرهن ، ولا يملك حتى يرث الأرض وارثها .
 أشهد الله تعالى على ذلك وكافة المسلمين ، فمن بذله بعد ما سمعه فإنما إثمه
 على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم .

كتب هذا عن أمره خادمه الفقير إلى الله يحيى بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي
 بيده في ٢٧ من ربيع الأول سنة ١٣١٠ هـ .

صح ذلك السيد على بن سعيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الكهف

ونسى سورة أصحاب الكهف كما في حديث أخرجه ابن مردويه . وروى البيهقي من حديث ابن عباس مرفوعاً أنها تدمى في الثوراة الحائلة تحول بين قارئها وبين النار وقال : إنه منكر ، وهي مكية إلا « واصبر نفسك » الآية .

وقيل : إلا أولها إلى « جزا » وإلا « واصبر نفسك » الآية . وإلا « إن الذين آمنوا » إلى آخر السورة .

وآياتها مائة وعشر . وقيل : مائة وخمس عشرة . وقيل : مائة وإحدى عشرة . وكلها خمسمائة وسبع وسبعون . وحروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون .

قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء » . وقال رسول الله ﷺ : « من قرأ عند مضجعه : قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الخ كانت له في مضجعه نوراً يتلألاً إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم ، وإن كان مضجعه بمكة كانت له نوراً يتلألاً من مضجعه إلى البيت للممور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ » . قال سمرة بن جندب قال النبي ﷺ : « من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم ينصره فتنة الدجال ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة » .

قال إسحاق بن عبد الله بن فروة قال النبي ﷺ : « ألا أدلكم على سورة يشيمها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأ عظيمها ما بين السماء والأرض ، لتأليها مثل ذلك : قالوا : بلى يا رسول الله . قال : سورة الكهف ومن قرأها يوم الجمعة

غفر له إلى الجملة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام. وأعطى نوراً يبالغ السماء ووق
فوقه الدجال .

وعن جعفر الصادق : ومن كتبها وجعلها في إناء زجاج ضيق القم وجعلها
في منزله فإنها نافية للفقر والدينس ويأمن هو وأهله من أذى الناس ولم يحتج إلى
أحد أبداً . وإن كتبت وجعلت في مخازن الحبوب من القمح والشعير والحب
وجميع حبوب البهائم وغير ذلك دفت عنها كل مؤذية بإذن الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) أى : ف بالجمل ثابت لله والمراد ثلثين العباد كيف يفتنون على الله على أعظم . هو إنزال القرآن فإن تعلّق الحكم بالمشق يشعر بملية وقد علّق الحمد على إنزال الكتاب وللوصول الاسمى وصلته كشيء واحد كلاهما وصف . ويجوز أن يكون المراد الإعلام بالثناء ليوثنوا به وأن يراد ذلك كله . وقد ذكرت ما شاء الله من مسائل الحمد والشكر والدخ في حاشية أبي مسأة عند كلامه على الشكر والحمد آخر الكتاب .

قيل : إن الحمد القنوى الثناء باللسان على الجمل الاختيارى على جهة التهجيل من نعمة وغيرها والعرفى فعل يبنى عن تنظيم النعم من حيث إنه جنم سواء كان باللسان أو الأركان والشكر القنوى والحمد القنوى صرف للبعد جميع ما أنعم الله عليه به من سمع وبصر وغيرها إلى ما خلق لأجله من العبادة فهين الحمد ينعم عموم وخصوص من وجه يجمعان في الثناء باللسان في مقابلة الإحسان ويفرد القنوى في الثناء باللسان لا في مقابلة الإحسان والعرفى في الثناء بالجنان والأركان وبين الشكرين عموم مطلق يجمعان في فعل مبدىء من تنظيم البارى سبحانه وتعالى ويفرد القنوى في فعل مبدىء من تنظيم غيره . وبين الحمد القنوى والشكر القنوى عموم من وجه يجمعان في اللسان في مقابلة الإحسان ويفرد الحمد في غير الإحسان والشكر في الجنان والأركان وبين الحمد القنوى والشكر القنوى المطلق يجمعان في تنظيم غيره وبين الحمد القنوى والشكر القنوى المطلق كذلك لأنه كما تحقق صرف البعد جميع ما أنعم الله عليه فحقق الثناء باللسان من غير حكمة . وبين الحمد القنوى والشكر القنوى التساوى كما صدق هذا صدق هذا على عدم اشتراط وصول النعمة

إلى الشاكر في الشكر القنوي وإن اشترط فالعموم المطلق والعرف من القنوي وهذا جدول يجمعها :

بين الحمد القنوي والحمد للعرف عموم وخصوص من وجه وبين الشكر القنوي والشكر للعرف عموم مطلق وبين الحمد القنوي والشكر القنوي عموم وخصوص من وجه وبين الحمد للعرف والشكر للعرف المطلق وبين الحمد القنوي والشكر للعرف المطلق وبين الحمد للعرف والشكر القنوي التناوي .

ومن كتب الآية إلى قوله « أبدا » في إناء طاهر ومحاه ورشها في حيطان منزله لا ينال الأرض منها شيء في أول كل شهر جلب الرزق له وعمر منزله وجمع شمله .

(الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّد)
(الْكِتَابَ) القرآن خلق الحمد بإنزال الكتاب لأن إنزاله نعمة عظيمة لعباده في دنياهم وآخراتهم .

(وَآمَنَ يَحْمِلُ لَهُ) أي للكتاب ويحوز كرون اللام : من في .
(عَوَجًا) ميلا عن الاستقامة في لفظه ولا في معناه فلانظفه في غاية النضاحة ومعانيه صحيحة بليغة غير متنافية .

وقد فسر الموج باختلاف وبالاقتباس وبالنقص .
وزعموا عن ابن عباس وغيره أن المراد لم يحمله مخلوقا . وهو كذب عنه والمحفوظ عنه على صحة أنه مخلوق وهو الصواب وكذا روى عنه في قوله عز وعلا « غير ذي عوج » .

قال ابن الأثير : الموج بالسكس في الصافي وبالقنح في الأجسام وذلك مشهور وهو أول ما حفظت في المسألة .

وقال الجوهري وغيره : إنه بالكسر لما في أرض أو دين أو معاش وبالفتح لما ينصب كالحائط والعمود . وقال أبو عمرو الشيباني : هو جالس كمن في الغنائم والأجسام وبالفتح الصدر والواو في « ولم يحمل له حوجا » التحال والجللة حال من الكتاب أو اللطف والجللة معطوفة على أنزل .

(قِيَمًا) مستقيما . وعن ابن عباس : عدلا ويموز أن يكون المعنى مقوسطا لا مكثرا جدا ولا متلا أو قيا بمصالح العباد فيكون موصوفا بأنه مكمل لغيره بعد كونه كاملا في نفسه أو قيا على الكتب السابقة يشهد بصحتها وينسخ ما ينسخ منها .

وإن قلت : إذا فسرته بمستقيما فما وجه الجمع بينه وبين نفي العوج وأحدهما ينفي عن الآخر ؟

قلت : جمع بينهما تأكيد . وقد قيل : إنه حال ثان من الكتاب مؤكدة ولنفي العوج رأسا ظاهرا وباطنا ولو عند الإيمان في التصنع والتنع والاختيار فرب مشهوره بأنه لا عوج فيه لا يخلو من أدنى عوج عند الإيمان في ذلك .

وإن جعلنا قوله عز وعلا : « ولم يحمل له حوجا » مطلقا على أنزل كما سر لم يميز كون قيا حالا من الكتاب لئلا يلزم اللطف على الصلة قبل تمام أجزائها .

وقيل بجواز هذا والتزام أنه على نية التقديم والتأخير والأدلى حينئذ أن مثل مفعولا محذوف أي اجعله قيا أو حال من محذوف هو وعامله أي أنزله قيا أو حال من الكتاب على أن الجملة معترضة لامعطوفة أو من الهاء فيه إذا أعيدت إلى الكتاب كما سر . ذكر هذه الثلاثة الأخيرة ابن هشام وظاهره جواز عود الهاء إلى عهد وهو صحيح .

ويجوز كون قيا حالا بني الماء عائدة إليه وكونه حالا من عهد على أن جملة
لم يجعل له عوجا مستقرضا أو حال من العهد أو من الكتاب .

قال : وقيل : جملة « لم يجعل له عوجا » حال و « قيا » بدل منها عكس عرفت
زهدا أبو من هو .

وذكر أن بعضهم سمع شيئا يرب « قيا » صفة لـ « عوجا » فقال له : فاعذا
كيف يكون العوج قيا وترجمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في عوجا
وقفة لطيفة دنما لهذا الوم هذا كله كلام الهمض .

قال أبو عمر الداني : قرأ حفص « عوجا » بسكت سكتة على الألف لطيفة
من غير قطع ولا تنوين ثم يقول : « قيا » .

وكذا كان يسكت مع مراد الوصل على الألف في يس في « مرتدنا » ثم
يقول : « هذا ما وعد الرحمن » .

وكذا كان يسكت على النون في « التمامة » في قوله : « من » ثم يقول :
« راق » .

وكذلك كان يسكت على اللام في « المظنين » في قوله : « بل » ثم يقول :
« ران » والباقيون يصلون ذلك كله من غير سكت ويدغمون النون واللام في الراء .
وقرى « قيا » بكسر القاف وفتح الياء غير مشددة .

(لِيُنْذِرَ) أى هو أى عبده فالضمير للمستتر هائد إلى العهد المذكور والتنوين
ويصح عوده إلى الكتاب والأول أولى لأن إسناد الإنذار والتبشير للكتاب مجاز .
ومعنى « ينذر » يخوف وله مفعولان الأول محذوف هكذا لينذر للكافرين .
(بِأَسَا) عذابا (شَدِيدًا) وحذف الأول القرينة ولأن المصوق له الكلام بالافات
هو الثاني وهو الهاس ولكن تمديده الثاني على معنى الجار كأنه قيل : يهأس .

وقيل : منصوب على نزع اللغز وقيل : كوالى قوله سبحانه وتعالى : **وَلَمَّا**
أَنظَرْنَاكُمْ مَذَلًّا قَرِيبًا .

(**مِنْ لَدُنْهُ**) متعلق بمحذوف جوازاً نعت لمبأس لوجال منه لوصفه أى
صادر من لده أى من عند الله .

وقرأ أبو بكر من لده بإسكان الهمزة وإشمامها شيئاً من الضم ويكسر النون
والماء ويصل الماء بياء وإشماماً كسر النون لالتقاء الساكنين . وقيل : للإعراب .
وقرئ أيضاً بكسر الهمزة مطابقة للنون . والياقوتون بضم الهمزة وإسكان
النون وضم الماء بلا صلة إلا ابن كثير فإنه يصلها بالواو مع أن الساكن قبلها .
(**وَيُبَشِّرُ**) وقرأ حمزة والسكاكيني هنا وفي سبحانه وآل عمران بفتح اللام
وإسكان الواو وضم النون .

(**الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّالِحَاتِ**) أى بأن لهم

(**أَجْرًا حَسَنًا**) هو الجنة .

(**مَا كَثِيرٌ**) متعین .

(**فِيهِ**) أى فى الأجر الحسن وهو الجنة كما علمت . وما كثير حال من الماء
فى لم مستقبله أو نعت لأجر أسبى ولذا لم يطابقه ولم يظهر الضمير فيه مع أنه جار
على غير صاحبه لأمن الهمزة ولو ظهر لتهل ما كثأر منه على أن م قاعل ما كثأر .
ويجوز كون ما كثير حالاً مستقبله سبباً لأجره كذلك .

(**أَبَدًا**) زماناً دائماً لا ينقطع .

(**وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**) هم العرب القائلون : **اللأنكة**

بغات الله . سبحانه عما يقولون من اليهود القائلين : **هو زير ابن الله** والنصارى

المتائلون : عيسى ابن الله سبحانه وتعالى هما يقولون . وسواء قالوا بالولادة حقيقة أو بالتبني فإن ادعاء النبي أيضاً شرك . وللعمول الثاني لينذر محذوف دلالة ما تقدم عليه بتدبيره : بأساً شديداً . ولعدم كون الكلام مسوقاً بالذات وإنما المسوق له الكلام بالذات هو قولهم : اتخذ الله ولداً ولذلك خصص المتائلين بالذكر مع أن القرآن إنذار للمشركين كافة لما استعظم قولهم ذلك خصهم بالذكر وأعاد لفظ لينذر ولم يكتب بالأول لذلك التأكيد .

(مَا آمَنُ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) صلة في المبتدأ للتأكيد ، جملة مستأنفة رداً عليهم لا نعت لولد لأنهم لا يقولون ما لهم به من علم ولا لآبائهم ويقولون ما لنا به من علم ولا لآبائنا إلا أن يقال : إنه نعت بحسب ما في نفس الاسم لا باعتبار متقدم وهو يفيد منه منطوق بعلم وقدم على المصدر لأنه ظرف ولأن العلم ولو كان مصدراً لكنه لا يكون المعنى هنا على انحلاله إلى فعل وحرف مصدر والهاء في بر عائدة إلى الولد أو إلى الاتخاذ الذي أشعر به اتخذ أو إلى القول الذي أشعر به قالوا وعلى هذين الوجهين الأخيرين لا يصح النعت قطعا .

وإن قلت : إنما بقي العلم بشيء إذا كان الشيء موجوداً فكيف يقال ما لهم علم بالولد أو باتخاذ الله الولد وهو منزّه عن الولد واتخاذ .

قلت : أراد - والله أعلم - بنفي العلم بالولد أو باتخاذ نفي الولد أو اتخاذ نفي العلم بانقضاء متعلقه فإنه إذا لم يكن ما يتعلق به العلم فالعلم غير موجود وذلك أيضاً نفي للمزوم بنفي لازمه أو نفي لسبب بنفي مسببه فنفي الولد أو اتخاذهما ملزومان وسببان بنفي لللازم والسبب وهما العلم بهما فإن وجود الشيء سبب ومزوم في الجملة للعلم به والعلم بنفي لعدم إدراك الموجود وينفي لعدم ما يتعلق به الإدراك سواء لم يوجد ووجوده محال كما هنا أو لم يوجد ووجوده ممكن .

وإنما قالوا ذلك لعظم جهلهم ونورهم مع البكانيين أو لتقليد آبائهم في قولهم :
 إن الله والد أو أنه متبن تمالى عن ذلك ، وذلك لا يصح في الشريعة ولا يسوغ في
 العقل أو التقليد لأبائهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوه أي أنهم إن آبائهم كانوا
 يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر ونوهوا أن المراد الأب والابن الحقيقيان
 وقد استقرغت الوسع والحمد لله فظهر لي أنه لا يجوز لأحد أن يلفظ بلفظ يوم
 شركا أو فاقا أو معصية ولو صح اعتقاده وكان حقا لما لفظه لأنه لفظ سوء
 يوم الباطل ويسوء اعتقاد السامع ويكون دامية إلى ما لا يجوز وذلك كالوقوف
 اختصاراً حيث قام مانع شرعي .

(وَلَا لِآبَائِهِمْ) فإنه لا علم لأبائهم في الولد ولا في اتخاذ ولا في تنبيه لهدم
 وجود ذلك ولا في إطلاق لفظ الأب على الله بمعنى المؤثر لهدم جوازه .
 (كَبُرَتْ) أي عظمت وقام له مستقر يعود إلى مبهم في اللفظ هو في نفس الأمر
 مقاتلهم المذكورة مفسر بالتميز وهو قوله :

(كَلِمَةً) والخصوص بالدم محذوف يقتدر بعد قوله من أنوارهم أي مقاتلهم أو
 هي وذلك أنه استعمل كبر هنا من باب نعم وبئس والتقريفة أن المقام مقام استعظام
 لأن مقاتلهم هذه عظومة في التبعج والكفر لأن فيها تشبيهاً من حيث التعديد وإيهام
 احتياجه تعالى إلى ما يحتاجه الإنسان من الولد كإعانة وتخلفه بعده وغير ذلك
 مما هو في حق الله تعالى شرك وضلال . وباب نعم وبئس وباب التعجب من واد
 واحد في الاستعظام ولم يخل باب نعم وبئس من تعجب في الآية تعجيب .
 وقرئ بإسكان باء كبرت مع إشمام الضم لها ويجوز عود ضمير كبرت إلى
 جملة اتخذ الله أي كبرت هذه الجملة أو هذه الكلمة كما نسي الجملتان والجل
 السكونة كلمة .

وقرى برنح كلمة على القاعلية وقراءة النصب أقوى وأبلغ لأنها أظهر في باب
نعم وبئس والسبب .

(تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) نعت لكلمة مفيد زيادة استعظام كأنه قيل هب
أن مضمونها قد انطوت عليه قلوبهم فكيف أطافوا النطق بها واجتهدوا
بخارجها . وقول : هذه الجملة نعت للمخصوص بالدم على أنه بقدر هنا نكرة قيل
هذه الجملة .

(إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) أى ما قولهم ذلك إلا كذب فالضمر لإضاف
منظور فيه إلى قولهم اتخذ الله ولدا أى ما قولهم هذا إلا باطل وإلا فقد يصدر
منهم الصدق وقد يصدر الكذب فى سائر كلامهم . وفى الآية دليل على أن
الكذب الإخبار بخلاف الواقع ولو لم يعلم الخبر أنه خلاف الواقع لأنهم أو
أكثرهم يقولون اتخذ الله ولدا ولا يلبثون أن اتخذاه الولد غير واقع وسمى الله
قولهم مع ذلك كذبا وأصل الكذب كل انصراف إلى غير مدلول اللفظ أو غير
ظاهر العمل والكذب مصدر أو وصف لمخدوف أى مقولا كذبا كقولهم خروا
« بدم كذب » .

(قُلْ لَكُمْ) هذه الفاء سببية تدل على أن سبب الجملة نفسه هو قولهم : « اتخذ
الله ولدا » .

(بَاخِصٌ) قال (نَفَسَتْ عَلَى آثَارِهِمْ) جمع أثر وهو علامة وطء للتقدم فى
الأرض مثلاً : شبه الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ لما تداخله من الحزن على
إعراض قومه عن الإيمان والإسلام بمن فارقه أحباؤه فكان يتبع آثارهم فى
الأرض يحسبه ذلقه أو يلقبه ويتقطع حشرات على فراقهم حتى يقتل نفسه حزنا
عليهم وتلهيها .

وقرى باخع فسرك بإضافة باخع إلى نفسك .
والإضافة لفظية أصلها النصب كما قرأ الجمهور إذا كسرت الهجزة في قوله تعالى (إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ) أي القرآن على أن إن شرطية وباخع الاستقبال ولو كانت المضي لكان إن الشرطية تطلق شرطها للسنة بل والإضافة مبنوية على قراءة فتح هجزة إن على أن إن مخففة وباخع للمضي أي لك قد وصلت موصل هلاك النفس لأن لم يؤمنوا وحذف لام الجر .

ولا يجوز التدوين والنصب على قراءة فتح الهجزة إلا على حكاية الحال الماضية بأن نزل حال وصوله موصل هلاك النفس في ماضي محال حاضرة وصل فيها ذلك أو على قول من يجهل همل الوصف بمعنى الماضي .

ولهذا قلت : قد اشتهر أن إضافة الوصف الذي هو الحال أو للاستقبال لفظية لا تفيد التخصيص ولا التعريف وأنا لا ينشك أن قرأت ضارب رجل بإضافة وضارب مبرور والإضافة فيه خصيص من لم يوجد في مجرد ضارب بالفتورين بدون ذكر رجل .

قلت : إن المصومين إنما أفاده المضاف إليه من حيث أنه مفعول في الأصل لا من حيث الإضافة كما أفاده المفعول في قوله ضارب رجلاً وضارب مبروراً بالفتورين ونصب المفعول هنا ما ظهر لي . والله أعلم .

(أَسْقَا) حزنا شديدا بحررك على إيمانهم . وقيل : غيظا وهو مفعول لأجله وخاصية باخع وهذا أولى من كونه حالا مباينة أو بتقدير مضاف أي ذا أسف أو بتأويله مباسم الفاعل أي أسفا بكسر السين أو أسفا بالياء .

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) من زخارف الدنيا كالجواهر غير الكلف والذهب والأحجار والمعادن ونحو ذلك .

وقيل : الرجال خاصة فهم زينة الأرض .

وقيل : العلماء والصلحاء .

وقيل : كل ما على الأرض ولو مقربا أو شيطانا . ومعنى كون المغرب والشيطان ونحوهما زينة أنهم يدلون على وحدانية الله سبحانه وتعالى وكمال قدرته .
والذى يظهر لى وأنه من الآية ما ذكرته أولا وأما الثانى والثالث فيضعفهما قوله تعالى : « ابلوهم » وهكذا عموم الرابع للمكافئين لأنه لا يناسب أن يدخل المبتلى فى المبتلى به إلا أن يقال يبتلى به بعض ببعض أو ليس الابتلاء بما على الأرض بل بالقرض فعلا وتركها كما يتبادر من قوله : « أيهم أحسن عملا » .

(زِينَةُ لَهَا) أى للأرض ويجوز تقدير المضاف أى لأهلها .

(اِبْلُواوَهُمْ) أى الناس مشركهم وموحدهم أى لاختبرهم أى تعاملهم معاملة المحقير وإنا عالمون بما يعملون قبل أن يعملوه .

(أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أعظم امتثالا للأمر واجتنابا للنهي ومساعدة عن الاغترار بزينة الدنيا كذا أقول . وقال غيرى : أحسن عملا ، أزهد فى زينة الدنيا وأقنع ولم يتناول منها إلا الكفاف مما يحل ويصرف منها فى وجوه الأجر .

(وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا) أى على الأرض .

(صَعِيدًا) ترابا حق الإنسان والحيوان يتفتت ويرجع ترابا أو كتراب .
وقد فسر بعضهم الصعيد بالفتت .

(جُرُزًا) غير ثابت وهو نبت لصعيد أى ترابا غير ثابت ويجوز أن يكون معنى جعل ما عليها ترابا غير ثابت إذعابه وتخليف التراب غير الثابت بعده كأنه موزع عنه ويبقى لا شيء عليه من نبات أو غيره .

وقيل : الجزر : الأرض التى قطع نباتها من الجزر : الخراب . ويجوز وقوع

ما حل الترابه الذي فوق الأرض أى يحمل ما على السماء من الأرض تراباً غير
 ثابت وفي هذه الآية والتي قبلها تسكين لرسول الله ﷺ وتزهد له ولغيره من
 متاع الدنيا .

قالوا : من أراد تمكيد عيش العلو وتفرق كثره وذهاب ماله وفساد حاله
 فلأخذ أول سبت من شهر محرم قبل طلوع الشمس سبع قبضات تراب من سبعة
 مواضع من سبيل منهجور ومن دار خلية وحمام عاقل وبستان خرب وبيت فيه
 جنازة وقبر حنسي ومفرق أربع طرق ويقول « وينذر الذين قالوا إلى - جرزا »
 سبع مراث على كل قبضة ويقول في المرة الأخيرة : فلان بن فلان وجميع ما هو
 فيه من حركة وتكون وقول وحمل ومال وذرع وما أشبه ذلك في مقابلة له
 وسكال حياته ثم يخلط الجميع ويرش به دار العلو إلى تمام سبعة سبوت وإلا أن
 نضل ذلك لمن لا يحمل فيه فائق الله جبل وعلاء .

(أم حبيشة) أي جبل ظنفت فأم بمعنى بل والانتقالية وهزة الإيثار . أنكر
 الله جل جلاله على عبيده محمد ﷺ عليه السلام وبالقول : أن أصحاب النكهف
 والرقم عجب من دون الظن أو أنكر عليه بالقليل أو بالقوة أنهم عجب من آياتنا
 أو أنكر ظنه أنهم من الآيات النظام مع أنهم آية صغيرة بالنسبة إلى ما هو أعظم .

(أن أصحاب النكهف) الظار الواسع في الجبل واسم هذا النكهف جرم .

(والرقم) : الواح الذي فيه كتبهم . روى عن ابن عباس : أن الذين عيان
 وأبلة دون فلسطين . وقيل : الجبل الذي فيه النكهف . وقال كتب الأحبار :
 معنى الرقم لأن الناس رقوا أسماءهم فيه . وقال كتب الأحبار ثمرتهم التي خرجوا منها .
 وقيل : كتبهم . قال أمية بن أبي الصلت :

عليس بها إلا الرقم محاورا . وصعدهم في الكيف والرقم هذا

أى نولم . والوحيد . وفناء البيت والبار ونحوه . أو ما بين النجسين . وقال
سعيد بن جبلة وعنه من أئمة الأئمة من حبر . وقول : من رصافى رقت أى
كنت فيه أسماؤم وألسابهم وبلدم وتاريخهم وما سكرم وجعلت على باب
الكهف فقد تبين لك أن أصحاب الكهف والرقم قوم واحد أضيفوا الكهف
بلا واسطة والرقم بواسطة المطف .

وقيل : إن أصحاب الكهف قوم وأصحاب الرقيم قوم آخرون فالتومان
مخرجان فى لفظة أصحاب المذكورة فى الآية أو يقدر مضاف أى وأصحاب
الرقم وإنما بقى على الجوم مع حذف المضاف لذكر مثل ذلك المضاف المحذوف
وهل هذا القول فأصحاب الرقيم ثلاثة رجال . روى نافع عن أبيه عمرو عن النعمان
ابن بشير عن رسول الله ﷺ أنهم ثلثة خرجوا يطلبون الحشيش أو الماء
لأهلهم فأمطرت السماء وأدوا إلى كهف فليس بالكهف المذكور فى الآية ولا م
بالقبة المذكورة فيها ولما دخلوا الكهف انحطت صخرة وضدت بابها فقال
أحد : اذكروا أبكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته . قال واحد : استسقت
أجزاء ذات يوم فجماء رجل وسط النهار وحمل فى بقيقه مثل محلم فأعطيه مثل
أجرهم فنظب أحسنهم وترك أجره فوطئته فى جانب البيت ثم صرف إلى برة
فاشترجها فبلغت ما شاء الله فرجع إلى بعد حين شهيقاً ضعيفاً لا أعرفه وقال :
إن لى عليك نداء وذكروه لى حتى عرفته فدفنتها إليه وكل ما ولدت وما استغلت
فقال : يا عبد الله لا تسخرى إن لم تصدق على بأعطى حتى قلت : والله ما أسخر
بك إنما هو لك ما لى فيه شئ . اللهم إن كنت قلت ذلك لوجهك فأفرج عنا
فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء . وقال آخر : كان لى فضل وأصاب القاس شدة
الجأ تلى امرأة فظلمت حتى تمرؤفا قلت : والله ما هو دون نفسك مايت وعادف

ثم رجعت ثلاثاً ثم ذكرت لربها فأتته في الجحيم وأخبرتني حياتك فأنت وصلت إلى
 نفسها فلما تكشفتها وسمعت بها ارتعدت فقلت: مالك؟ قالت: أخاف الله فقلت
 لها: خفيته في الشدة ولم أخفي في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتحمة لها . اللهم إله
 كنت فقلت: لوجهك فأفرج هذا فأفرج الله للجبل حتى تمارفوا . وقال الثالث: كان لي
 أبوان هريمان وكان لي غنم وكنت أعلمهما وأستقيمهما ثم أرجع إلى غنمي فغيبني
 ذات يوم حيث فلم أرح حتى أُمسيت فأتيت أهل وأخذت محلي فخلت فيه ومضيت
 إليهما فوجدتهما قائمين فشق علي أن أوقفهما فوقفت . ومحلي على يدي حتى
 أيقظهما الصبح فسقيتهما . اللهم إن كنت فقلت: لوجهك فأفرج جنا فأفرج الله
 عنهم فخرجوا . وروى ذلك صفروعا عن النعمان بن بشير . وروى عنه أنه قال :
 سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الجبل : طاق فخرج الله عنهم فخرجوا .

(كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) أي كانوا عجباً من بين آياتنا كأنه قيل عجباً
 من دون آياتنا . والمراد أنهم عجب وسائر آياتنا عجب . وقيل : عجباً بمعنى اعجب
 ويحتمل أن يريد حسبت أنهم من آياتنا للظلم كلابل هم آية مخيرة بالنسبة إلى
 العظام كخلق السماء أو أشار إلى أنهم كخلق ما على الأرض من أنواع وأجناس
 لا تحصى على طبائع متباينة وهيئات متخالفة تنجب الناظرين من مادة واحدة
 وهم ثم راد ذلك إلى الأرض كما اتصل الآية بهذه الآية ذلك أو إشارة إلى أنهم
 كآية بالنسبة إلى سائر الآيات ومن آياتنا حال من عجباً وعجباً خبر كان .

(إِنَّ) أي لذكر إذ (أَوَى) أي مال أو التجأ .

(الْفِتْنَةُ) جمع فتى وهو الشاب وهذا الجمع غير مقيس (إِلَى الْكُفْرِ) خاشعين على إيمانهم وهم أشرف الروم . أراد دقلانوس أن يرجعوا إلى الشرك

(٢٠ - هـ) (هـ) (٢٠ - هـ) (٢٠ - هـ) (٢٠ - هـ) (٢٠ - هـ) (٢٠ - هـ) (٢٠ - هـ) (٢٠ - هـ) (٢٠ - هـ)

فأبوا وهربوا ودخلوا الكهف وهم : تلميذا ومكسلينيا ومثلينيا والثلاثة أصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشادنوش والثلاثة أصحاب يساره وكان يستشهرهم
ومدينتهم أنسوس . وقد روى ذلك عن علي عليه السلام أن أسماء الذين عن يساره
مرطليوس وكسطلوس وسادنوس . وقيل عن ابن عباس : مكسلينيا وتلميذا
ومرطولس وسليديوبس ورزنوانس وبنونس وكسفيطليوس وبطيقيوسيون
وأنه الراعي . قال أبو شبل : بلغني أنه من كتب هذه الأسماء في شيء ووضعها
في حريق سكن الحريق بإذن الله تعالى .

وذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف
والرقيم - إلى قوله عز وجل - سجين عددا » ينفع لفة النوم فمن كتبها في قرطاس
 ووضعها تحت رأس إنسان قليل النوم أو قرأها على رأسه صرا إذا كان يريد النوم
فلانه ينام إن شاء الله ،

(فَتَأْكُلُوا رِزْقًا نَّحْنُ آتِيَانِ مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (رَحْمَةً) إنعاما بمغفرة ورزق
وأمن عدونا دقيانوس وغيره . (وَهَيَّئْ) أعدد وأوجد ويسر يقال : هياه أي
أعده وأوجده وأصل التهيئة إيجاد هيئة الشيء وقيل : المنى : أصلح .

(لَنَّا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا) أي هداية نصير بها راشدين مهتدين والمراد بالأمر
- والله أعلم - الأمر الذي هم عليه من مفارقة الكفار ويموز أن تكون الآية من
باب التعجيد البديهي بأن يكونوا بالنوا في طلب الرشد بأن يكون أمرهم كله رشدا
يقول من هذا الرشد لظلمه رشد آخر كقولك : رأيت وزيد أسدا فنجاهم الله جل
وعلا بدعائهم .

(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أي ضربنا عليها حجبا عن سمع فلا يسمعون لحذف
مفعول ضرب كما يقال : بنى على أسرته وبني بها إذا دخل بها أول دخول وأصله

بنى عليها قبة أو سقرا لتلا تروى أشغالهما حال الجماع فحذف المفعول والمراد في الآية بضرب الحجاب على آذانهم إنامة الله عز وجل لإلهم إنامة ثقيلة لا تنبهم عنها الأصوات الشديدة كأنهم جعل على آذانهم غطاء سدها به .

(فِي الْكَهْفِ سِتِينَ) ظرف زمان وهو مع الجار قبله مطلقان بضربنا .

(عَدَدًا) أى ذوات عدد . ووصف السنين بأنها ذوات عدد لتكثيرها في نفسها عند الناس أو لقليلها عنده تعالى فإنها عنده كمض يوم وكذا هي في حق أصحاب الكهف إذ ظلوا يوما أو بعض يوم . وذكر الزجاج أن المدد إذا قل فيهم ولم يحتاج إلى أن يد وإذا كثر احتاج إلى أن يد .

(هُمْ بِشَفَاكُم) أيقظناهم من النوم كما سبقت المرقى .

(لِنَعْلَمَ) الخ أى ليظهر علما فيزداد أهل الكهف إيماننا وكذا غيرهم من المؤمنين ويكون لطنا بهم وآية بينة على الكفار المكبرين للبحث من أهل زمانهم أو غيره أو ليعلم علما بإحصاء المحسنين أمدا لهم تعلقا حاليا مشاهديا مطابقا لتعلق الأول القديم فإنه سبحانه وتعالى عالم بآمد لبثهم وبما يقوله المحضون قبل وجود الخلق علما قديما لا أول له ولما خلق الخلق وخلق أصحاب الكهف لبثوا ذلك الأمد الذى سبق به العلم القديم بلا زيادة ولا نقصان .

واختلف المحضون كما سبق العلم القديم بأنهم يختلفون وأصاب من سبق العلم القديم بأنه يصيب وأخطأ من سبق العلم القديم بأنه يخطئ . وهو تعالى عالم بوقوع الله والاختلاف والإصابة ومحال أن يسع شيء ولا يعلم الله بوقوعه وقد علم كيف يقع قبل أن يقع ويظهر لى أن علمه تعالى في كل شيء قسمان : قديم وحادث فالقديم علمه أنه سيقع بكيفية كذا ومنه زمان الوقوع والحادث علمه بوقوعه إذا وقع ولا يختلف عن الأول ولا يلزم الد من بذلك لأنه

لا يترتب الجمل على إثبات الحادث لأنه على وفق القديم وهو عالم لم يزل ولن يزال
ألا ترى أنك لو وصفت الله بأنه عالم بأن كذا قد وقع وهو لم يقع لكان خطأ
وصفه له تجهيل له تعالى وتقدس فلو صح قولك أن علمه بوقوع الواقع لما قل
قديم ولو قيل : إن يقع لكنت قد وصفته بأنه قد علم أن كذا وكذا قد وقع مع
أنه لما يقع فيكون كذبا وجهلا تعالى الله وإن كنت قد أخطأت فأنا قائب إلى الله
ومجدد إيماني بقولى : لا إله إلا الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله
وما جاء به حق من الله وإنه تعالى منزّه عن كل نقص وأنه ليس كمثل شيء .

(أَيْ الْحِزْبَيْنِ) الفريقين المختلفين من أصحاب الكهف أو من غهم ،
(أَحْصَى) فعل ماض فاعله مستتر عائد إلى أى الاستفهامية وهى مبتدأ وجلة الفعل
والفاعل خبره وجلة المبتدأ والخبر فى محل نصب مفعول نعم قامت مقام مفعولين
إذ علق عنها بالاستفهام ومعنى أحصى ضبط وأصاب الحق فى العدد .

(لِمَا آتَوْا) ما مصدرية والوار لأصحاب الكهف أى لأبشهم أو يعلق
بمخدوف حال من قوله : (أَمَدًا) أى مدة أو بأحصى وأمدًا مفعول أحصى
وقيل : اللام صلة للآ كمد وما اسم موصول مفعول لأحصى وأمدًا تمييز ويجوز
كون ما فى وجه تعليق اللام بلبثوا اسما موصولا .

وإذا قلنا إنها اسم موصول على القول الثانى فهى واقعة على مبهم هو فى الواقع
زمان ولذلك نسر وميز بقوله أمدًا لكن ذلك ضعيف لزيادة اللام فى مفعول الفعل
مع تأخره من الفعل فلا يحسن التخرج عليه .

وإذا قلنا إنها اسم وعلقنا اللام بأحصى وقلنا أمدًا مفعول فى واقعة على
المبث أى أحصى لبث الذى لبثوه أمدًا .

وقيل : أحصى اسم تفضيل وأمدًا تمييز ولما لبثوا حال منه أو معلق بأحصى

ويرد أن اسم التفضيل إنما يشتق من الثلاثي الجرد وأحصى رباعى بالزيادة يقال :
 أحصاه يحصيه فهو مُحْصَى وصوغه من غير الثلاثي الجرد شاذ فلا يخرج عليه فـ
 القرآن مع إسكان غيره فكيف بالقرآن ، كقولهم : هو أَعْدَى من الجرب
 وأحصى للمال وأغلس من ابن الذلق وهو رجل معروف هو وأجداده بالإغلاس
 وكتبولهم هو أعطاهم قدرهم وأولاهم المعروف وهذا السكبان أكثر من غيره
 وهذا الكلام أخصر من غيره وهذا من الخماسى بالزيادة وفيه شذوذ آخر وهو
 أنه من اللبى المفعول به

وقيل : يجوز بقاء اسم التفضيل من الرباعى المبدوء بهزة زائدة قياسا مطلقا
 وقيل : إن كانت أفير التمدية كأكثر السكبان ولقد يحاط بأنه قد ورد الثلاثى الجرد
 من الإحصاء فله تكن اسم التفضيل منه ولكن يبقى إشكال فى جعل أمداء تميز
 لأن الأمد ليس محصيا بل محصى وتميز اسم التفضيل أنه لما يكون فاعلا
 فى المعنى .

وقيل : أحصى اسم تفضيل وأمداء مفعول محذوف أى يحصى لما لهوا أمداء
 ومن ذلك قوله :

قلم أن مثل الخى حيا نصيحا ولا مثلنا يوم التنبأ القوارنا
 أكر وأخى الحقيقة تهموا وأضرب منا بالسيف القوارنا

أخى يضربون القوارنا ودل عليه أضرب : والقوارن : أعلى ريشة القتال وما بين
 أدنى القوس وإنما لم يحملوا أمداء وقوارن مفعولا لاسم التفضيل لأن اسم التفضيل
 لا ينصب المفعول خلافا لبعض النحاة ولما خرج الآية على أن أحصى اسم تفضيل
 وأمداء مفعول محذوف تكلف مستغنى عنه بحمل أحصى فعلا ما ضيا وأمداء
 محذولا به

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ) على وقرأ عليك بواسطة جبريل خبرهم .

(بِالْحَقِّ) بالصدق .

(إِنَّهُمْ يَنْتَقِبُ أَمْوَالَهُمْ) وهو الله جل وعلا لا رب غيره .

(وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) إيماناً وبصيرة بالتثنية والتثنية . وقال ابن عباس :

زادهم الله هدى بكلام السكك لهم كلب راجع ، إذ أنطقه الله لهم حين تبهم كما يأتي .

(وَزَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) قوينا قلوبهم بالإيمان والتثنية والصبر على مفارقة

الوطن والأهل والمال والعيش الأنعم وعلى إظهار الحق والورد على ملكهم دقيانوس من شد الوثاق على فم قربة أو غيرها .

(إِذْ قَامُوا) بين يدي ملكهم دقيانوس ويقال دقيوس وهو مشرك جبار طاعت عاتبهم على ترك عبادة الأصنام وأمرهم بالسجود لها .

(مَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى لا أنت .

(لَنْ نَذْذُوَا) لن نعبد أو نطلب فى كشف اللغات أو جلب الحاجات .

(مِنْ دُونِهِ) أى غيره .

(إِيَّاهَا) كما نحب ونعبد أنت وقومك عبادة غير الله وطلبه فى المدفع والجلب .

(لَقَدْ قُلْنَا إِذَا) أى إن دعونا إلهاً من دون رب السموات والأرض .

(شَطَطًا) أى قولاً هو فى نفسه أبعد عن الحق والصواب وهو فى نفسه الإفراط

فى ظلم أنفسنا وفى نقص من حق رب السموات والأرض تعالى وتقدس عن كل

نقص فشططاً مصدر ثبت به قول محذوف مبالغة أى قولاً شططاً وذلك مبالغة ولفظ

تقدير مضاف أى قولاً ذا شطط والتأويل بالوصف أى قولاً شاططاً .

(هَؤُلَاءِ) مهبطاً (قَوْمُنَا) عطف بهان وجلة قوله : (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

آلِهَةً) خبر وذلك إخبار استعملوه في إنشاء المكان مهابة غير الله عز وجل وفيها
فجالة المبتدأ والخبر عندي مجاز مركب في قوله **الْقَوْمِ بِهِ** فإن أصل هذا الكلام أن
يستعمل في مجرد الإخبار بمخادهم ذور الله آلهة كقول الشاعر :

هوأي مع الركب اليمانيّ مُصعدٌ جَبِيْبٌ وجُنَّائِي بِمَكَّةَ مُوقِفٌ
أصله الإخبار بمخادهم ومهاده للعنصر والعنصر ويعتدل هذا البيت التشبيه
المسمى بالتمثيل .

(تَوْلا) حرف تخفيف يتضمن توبيخا .

(يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ) أي على الآلهة التي يدعون ويقدرون مضاف أي على محضهم
أو مضافان أي على جواز هباتهم وعبروا عن الآلهة بضمير الغلاء لأنها عند عابديها
غلاء أو كالغلاء .

(سُلْطَانٍ) حجة أو برهان وهكذا في القرآن كله وقد فسر الحسن وابن عباس
هنا بالحجة وفسره بعضهم في القرآن كله بالعذر يعني الحجة التي تكون حذرا .
(بَيِّنٍ) ظاهر لا خفاء به وهذا كلام متعم فإن لا توجد أدنى حجة على
عبادة الأصنام فضلا عن حجة واضحة وفيه دليل على أنه لا بد من الحجة على
ما يؤخذ من أمور الديانات وأن ما لا دليل عليه باطل .

(مَنْ أَظْلَمُ) من الاستفهام الإنكار أي لا أحد أظلم لنفسه وأقبح
لحق غيره .

(يَمْنٍ اقْتَرَى) اقطع .

(قُلِ اللَّهُ كَذِبًا) فإن أنكره أو جعله شريكا وهذا من جملة كلام أصحاب
الكفر بفصل بما قبله وقيل من كلام الله متعرض بين كلامهم فيكون الكذب
محملا لما ذكر وحده وله مع ادعاء الولد لله تعالى وتقدس عن ذلك كله .

ثم قال أصحاب الكهف بعضهم لبعض بما خرجوا عن حضرة الملك
والناس : (وَإِذْ اَعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَكَمَا يَمْبُدُونَ اِلَّا اللّٰهَ فَاَوُواْ اِلَى الْكَهْفِ) ذكر
بعض أن إذ نجيء حرف تعليل فعليه يسكون تعليلاً لقولهم مأووا أى اتووا إلى
الكهف لا اعتزالكم إياهم فى أمورهم كذباً عنهم وبقلوبكم ولا يبعدونه غير الله
والقاء صلة للقاء كيد والتعبيه التعليل بالشرط فى التعليق ألا ترى مثل قولك :
أما أنت برأ فاقرب ، وقوله :

أبا خراشة أما أنت ذا فتر فإن قوسى لم تأكلهم الضم

ويحتمل استعمال إذ للحال أو الاستقبال مجازاً فتكون ظرفاً مطلقاً بما بعد
القاء والقاء صلة للقاء كيد أو التضمنين إذ معنى إذا فى الاستقبال والشرط لإيضاح
كونها للحال أنهم فى حال قولهم اتووا معتزلون لهم وإيضاح كونها للاستقبال
أن يقال : إن اللفظ : وإذا أردتم الدوام على اعتزالكم لهم أو إذا أردتم اعتزالهم
بأجسادكم كما اعتزلتموهم بقلوبكم وفى أمورهم .

وقيل فى إذ التى هى حرف تعليل : إنها ظرف والتعليل مستفاد من قوة
الكلام وما مطلوبة على الله فى اعتزلتموهم واقمة على الأصنام والاستثناء منقطع
على أنهم لا يعبدون الله بل الأصنام وحدها ومفصل على أنهم يعبدون الله تعالى
وذلك كله من كلامهم ويجوز أن تكون ما نافية والاستثناء مفرغ على هذا
فيكون قوله : « وما يعبدون إلا الله » من كلام الله سبحانه وتعالى معترض بين
قولهم : « وإذا اعتزلتموهم » وقوله : « مأووا إلى الكهف » لتحقيق اعتزالهم
للمشركين وإفادة أنهم فى تلك الحال يعبدون الله وحده كما كانوا قبلها أى
لا يصدق عليهم فى تلك الحال أن يقال : إنهم قد انطلقوا بعبادة غير الله فيما مضى
ولا فى تلك الحال .

وقيل : كانوا مشركين ثم آمنوا وعلى هذا القول اتفق عبادة غير الله في تلك الحال وما يفضل بها قبلها مما نزل به من آيات القرآن ، وملقوا : التجرأوا ، واذهبوا . وفي مصحف ابن مسعود : وما يعبدون من دون الله وهو أنسب بكونه من كلامهم إذا لا يصح على قراءته أن يكون لمن كلام الله إلا يعبد من أي وما يعبدون من دون الله وهو مكتوب بهترة ما كلفه في فاء الكلمة فواو مضمومة في عين الكلمة فواو الجماعة ولام الكلمة بالمدونة وكذلك يقرأ ويقاس الكتابة أن يكون بالالف غير مضمومة .

وال في الكهف للحقيقة أي إلى كهف ما من الكهوف أو لفهم الحضور أي إن كانوا يرونه حين القول كما يرى أنهم يرونه حين كلامهم أو لفهم الدعوى إن كانوا قد تواتروا على ذلك الكهف قبل . وإنما ذكر الكهف قبل هذه الآية فن كلام الله سبحانه .

(يَفْشَرُ) يَفْشَرُ (أَنْكُمْ وَبِكُمْ) شَيْئًا (عِزِّي وَرَحْمِي) في الدنيا والآخرة ويوسع عليهم .

(وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِزْقًا) يَفْشَرُ الْمِيمُ وكسر الفاء مصدر مهيئ شاذ والقياس فتح الفاء لأن مضارعه مكسور العين ومعناه يهيئ لكم من أمركم رزقًا أي ييسر لكم الرزق بمعنى يرفق بكم بأن يوزقكم ما تنفعون به من نحو خداه وعشاء وهو من الرقيق ضد الغنايط والتشديد أو من الرقيق الذي بمعنى الارتفاق وهو الانتفاع أو بمعنى الارتفاق الذي هو الاصطحاب .

وقيل : هو مصدر في الأصل واستعمل بمعنى مفعول أي ما ينفع به أو ما يصطحب بهترة غير نافع وابن عاصم بكسر الميم وفتح الفاء فيكون اسمًا لا يرفق به أي ينفع به أو يصطحب وإنما جاءوا بأن الله الرحمن الرحيم يهيئ لكم من أمركم

مرفقاً خلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وهذا هو الظاهر المناسب لمن أخلص نفسه إلى الله فيحتمل أن يكون قد أخبرهم بذلك نبي في زمانهم قيل : أو كان بعضهم نبيا فلا يكون قد أشرك قط .

(وَتَرَى الشَّمْسَ) أى تملها بإخبارنا إياك أو تراها بيمرك لو رأيت كمفهم حين انتشار الشمس بجوانبه والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من تمكن منه الرؤية العلمية أو البصرية .

(إِذَا طَلَعَتْ) (تَزَاوَرُ) مفعول ثان لتري بمعنى تمل أو حال من الشمس على أن ترى بمعنى تهر وجواب إذا أيضا جملة كمذه دلت عليها هذه أو جوارها هذه وإذا وجوابها مفعول أو حال ومعنى تزاور تمل وأصله تتزاور جاءين مفوحعين بعدها زاي خفيفة أبدات للتاء الثانية زايا فسكنت هذه الزاي وأدغمت في الزاي وقرأ السكونيون تزاور بحذف إحدى التاءين وتحقيف الزاي وقرأ ابن عاصم ومقبوب تَزَوَّرَ بإسكان الزاي وتضديد الراء بدون إدخال ألف بينهما وبين الواو قبلها وقرئ هكذا لكن بإدخال الألف بينهما والكل من الزور بمعنى المهل ومنه زاره زيارة أى مال إليه .

(عَنْ كَمَفِهِمْ) أى تمل عنه ولا يقع شاعها عليهم فيؤذيههم لأن الكهف كان جنوبيا ولأن الله أبعدنا عنهم إكراما لهم وما كان في ذلك السميت نصيبه للشمس . وقول : لأن باب الكهف كان في مقابلة بنات الشمس وأقرب مطالع للشمس ومقاربها إلى محاذاة بابه مطلع شمس السرطان ومقربها والشمس إذا كان مدارها مدار رأس السرطان تطلع مائلة عن باب الكهف مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شاعها على جانبه وتحال عفونة الكهف وتعدل هواءه ولا تقع عليهم فيؤذى أجسادهم وتبل ثيابهم .

(ذَاتَ الْيَمِينِ) أى جهة اليمين وهو عين الكهف فذات طرف مكان
ممتلئ بتزاور أى يميل فى جهة اليمين كذا قيل وهو نفسه بالواقع وإلا فذات
اليمين نفس اليمين أو جهة صاحبة اليمين أى من يمينه لأن يمين الشيء متسع ذى
محدود وهذه الجهة من جهة يمينه قريبة إليه وقيل : حقبة ذلك الجهة ذات
اسم اليمين .

(وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّرُ هُمْ) أى تقطعهم بمعنى تعرض عنهم وتتركهم . والفرض :
القطع والمراد هنا القطيعة كما ذكرت .

(ذَاتَ الشَّالِ) شمال الكهف وفى هذا ما مر فى ذات اليمين وفيه دليل على
أن يمين باب البيت يعتبر عند الخروج منه .

(وَمَنْ فِي فَجْوَةٍ) متسع : (مِنْهُ) من الكهف لا ينالهم غم القار ولا حر
الشمس لأنهم فى أوسطه بحيث ينالهم روح الهوى دون الشمس لأن باب القار
بحيث لا تدخل عليهم الشمس أو الذى : إن الشمس تميل عنهم طلوعاً وغروباً
ولا تصيبهم مع أنهم فى مكان واسع مفتوح مظنة لأن تصيبهم لولا أن الله حببها
عنهم كما مر .

(ذَلِكَ) أى شأنهم والتجاوزهم إلى الكهف على الحد المذكور أو إخبارك
بقصتهم بدون أن تقرأها فى كتاب أو يسلوها إنسان أو تزاور الشمس وفرضها
طالمة وغاربة مع أن ما فى ذلك لاسم تصيبه الشمس فى العادة لولا أن الله معها
أن تدخل عليهم القار بقدرته .

(مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دليل وجوده وكمال قدرته ،

(مَنْ يَهْدِ اللَّهُ) بالتوفيق (فَهُوَ الْمُهْتَدِ) مثل أصحاب الكهف وغيرهم
من الموفين وذلك بضمن النقاء على أصحاب الكهف ولا يقال كيف ينفى عنهم

وهم موقنون لأنا نقول : ليس التوفيق جبرا بل أمر تسببوا فيه بأفعال وأقوال
واعتقادات اختصارية قارنها التوفيق وكذا الإضلال ليس جبرا بل تسببوا بأموور قارنها
الضللال ويجوز عندي وجه آخر هو أن المعنى ليس مجرد الآيات موجها للاعتداء
كتابة أصحاب الكهف وسائر الآيات بل موجب الاعتداء هداية الله عز وجل
بالتوفيق للتأمل في الآيات . أثبت ياء الهجدي في الوصل نافع وأبو عمرو .

(وَمَنْ يَضِلَّ) بخذلة (فَلَنْ نَجِدَ لَهُ وِثْرًا) من يلية بالتوفيق (مُرْشِدًا)
مصالحا لحاله مسددا له .

(وَتَحْسِبُهُمْ) تظنهم يا محمد لو رأيتهم ولم تخبرك بأنهم رُقود والخطاب لكل
من يصلح للظن أو الخطاب وقرئ بكسر اللين .

(أَيْقَظًا) جمع يظ بضم القاف وكسر هاء أى تحسبهم غير نائمين لا فتاح
عنونهم وقيل : لكثرة تغليبهم .

(وَهُمْ رُقُودٌ) نائمون . الجملة حال من هاء تحسبهم والرباط واو الحال والضمير
بعده أو من ضمير تحسب فالرباط الواو وأنت خير بأن المراد بالهقظة كون الإنسان
غير نائم وقيل : المراد الانتباه من النوم كما هو المتبادر .

(وَتَقْلِبُهُمْ) في نومهم اثلاثا تأكل الأرض ثيابهم وأجسامهم وقرئ يقلبهم
بالثناة آخر حروف المجهاء والضمير المستتر عائد إلى الله سبحانه وتعالى والمعنى :
تقلبهم ملائكتنا أو تقلبهم ملائكتي فحذف المضاف وجعل الفعل كما يناسب
المضاف إليه أو أسند الله سبحانه وتعالى للتقلب إلى نفسه لأنه أمر به وواقع
بإذنه ويجوز أن يكون تقلبهم بقدرة الله بلا واسطة ملك .

وقرئ وتقلبهم بناء مفتوحة مثناة وقاف كذلك وضم اللام وفتح الباء
الموحدة وهو مصدر مفعول به بمحذوف أى ولشاهد تقلبهم يدل عليه قوله عز
وجل : وتحسبهم أيقاظا .

واعتقلوا في قلوبهم ثقل : كثير كالم وقيل : يلقون في السنة مرة واحدة .
يوم عاشوراء وهو رواية عن ابن عباس وقال أبو هريرة : يلقون كل سنة مرتين .
(ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّامِلِ) أى توضع للقلب في جنبهم الأيمن إلى
جنب الشمال وفي جنب الشمال منهم إلى الأيمن .

(وَكَلْبُهُمْ) كلب رابع سروا به تبعهم وتبعهم الكلب كما باتى إن شاء
الله وأضيف إليهم لأن الراعى صاحبه واحد منهم أو روى صاحبه الكلب لهم
في ذلك المكان أو فيه وفي طريقهم إليه وأضيف إليهم باعتبار تلك الملابس
نقط ولو في حق مالكه وأنى كونه مالكه ولو اعتبر كونه مالكه واعتبرت
الملابس في حق غيره للزم استعمال الإضافة في معناها الحقيقي ومعناها المجازى .

وقرأ جعفر الصادق : وكالبهم يوزن فاعل للنسب كالأبن وتامر أى
وصاحب كلبهم .

وقيل : إن الكلب الذى تبعهم إنما هو كلب تبعهم لما سروا به . وروى أنهم
طردوه فانطلقه الله فقال : أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم ويؤيد القول
الأول قراءة جعفر المذكورة .

(بِأَسْطَ ذِرَاعَيْهِ) يديه . قيل : إنه إلى الآن بأسط يديه وهو كالحلم حتى نائم
يقبب إذا قلبوا ويقترب أدنه . وعلى هذا إنما حمل اسم الفاعل لأنه للحال . وقيل :
إنه مات وذهب قبل نزول الآية فقيل : إنما حمل اسم الفاعل مع أنه للماضى
تنزيلا للحالة الماضية منزلة الحالة الحاضرة تقريرا لأمر ذلك الكلب وبسطه كأنه
مشاهد .

وقال الكسائى : إن اسم الفاعل يعمل ولو كان للماضى لهذه الآية ونحوها
وهكذا الخلف في صيغة المباعدة واسم المفعول وذلك في نصب المفعول وأما رفع

الفاعل والغائب فلا يشترط الحال أو الاستقبال والمانع لعمل الذى للماضى يُؤول ذلك بتنزيل الحال الماضية منزلة الحاضرة ويقدر الفعل ويجمله هو الناصب وذلك عندي تكلف والواضح قول الكسائى لكثرة الأدلة عليه والأصل عدم تأويل الكثير .

(بالوصيد) إفاء الكهف وقيل : الوصيد : الباب . وقيل : العقبة والباء للظرفية أو للإلصاق . روى عن ابن عباس أن كلهم أعور فوق القلطي ودون الكردى والقلطي كلب للصين . قال مقاتل : كان أصفر . قال بعض : هو شديد الصفرة حتى ضرب إلى الحرة وهو قول محمد بن كعب القرظي . وقال الكاكي : لونه كالذهب . وقيل : كلون الحجر وقيل : كلون السماء . وعن ابن عباس : أبيض . وعن عليّ عن رسول الله ﷺ أنه أبلق وأن اسمه قطير وهكذا روى عن ابن عباس أن اسمه قطير وعن مجاهد قنطوريا وعن عبد الله بن كثير قطمور . وعن عليّ أيضا حران وعنه أشهريان . وعن شعيب حران كما مر عن عليّ . وعن الأوزاعي مواو . وعن عبد الله بن سلام بسيط وعن كعب صهيان وعن وهب بنى . وقالوا : من أراد أن لا ينبح عليه كلب فليقرأ : « وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد » .

وذكروا أن الحيوانات التي تكون في الجنة : مجل إبراهيم وكبشه الذى فدى به ابنه ، وحث بونس ، وبقرة قوم موسى المذكورة في سورة البقرة ، وناقاة صالح وفصيلها ، وكلب أهل الكهف ، وفأرة سبأ ، وهدهد سليمان ونملته ، وجمار عزيز ، وناقاة سيدنا محمد وبقلته وحماره بفقور صلى الله على سيدنا محمد وسلم على الأنبياء وباقي الحيوان يكون ترابا .

(لَوِ اطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ) أشرفت عليهم ببصرك وقرى بضم الواو تشبيها بواو الجمع .

(لَوَلَّيْتَ) لرجعت وراءك . (مِنْهُمْ فِرَارًا) أى هيمه التى ألبسهم الله إياها لئلا يصل إليهم أحد إلى المدة التى أراد الله إيقاظهم فيها أو يموتهم فى منامهم وفاراً مفعول مطلق لأن القولية المتصلة بالاطلاع مجزأ فصل لا تخلو عن فرار وأيضاً القولية لفظ عام ويجوز كونه مفعولاً من أجله أو حالاً تأكيداً ومبالغة كأنه نفس الفرار أو بتقدير مضاف أى إذا فرار أو بالتأويل باسم الفاعل أى قاراً . (وَأَمَلَّيْتُ) وقرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بقلب الهمزة ياء مع التخفيف (مِنْهُمْ) من التلطيل أو للابتداء .

(رُغَبًا) وقرأ ابن عاصم والكسائي ويقوب بضم العين كالراء وهو بالإسكان والغم : الخوف الذى يملأ الصدر من رعبت الشيء ملائته وذلك لما ألبسهم الله من الهوبة . وقيل : لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجسامهم وانفتاح عيونهم كالسقيظ الذى أراد أن يتكلم . وقيل : لوحشة مكانهم .

وروى أن معاوية غزا الروم فر بالكهف فقال : لو كشف لنا عن هؤلاء لننظر إليهم فقال له ابن عباس : ليس لك ذلك وقد منع الله عز وجل ذلك من هو خير منك فقال : لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً . فقال له معاوية : لا أنهى حتى أعلم علمهم فبث ناساً وقال لهم : اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بث الله تعالى ريحاً فأحرقتهم .

وزعم بعضهم أن أهل تلك الأرض يقتلون أظفار أصحاب الكهف ويقصرون شعورهم وسهم ولحاهم وينفضون القبرة عن ثوبهم مرة فى سنة وأن بعض رسل الملوك رآهم فخرجوا سالمين ولعلمهم رسل معاوية وقول : هم فى رستاق بين حمورية وثقيرة فى جبل علوه ألف ذراع ليس له سرب من وجه الأرض يؤدى إليهم وفى أعلى الجبل كهف يشبه البئر ينزل منه إلى باب السرب ويمشى مقدار

ثلاث خطوات ثم يقضى إلى بيوت متقورة منها بيت مرتفع العقبة مقدار قامة
وعليه باب من حجر فيه أصحاب الكهف طليت أجسادهم بالصَّيْر والسكافور
وكلهم عند أرجلهم رأسه مستدير إلى ذنبه لم يبق إلا رأسه وعجزه وفنار ظهره
ووم أهل الأندلس في قولهم : إنهم الذين في لَوْشَة وإنما هؤلاء شهداء قال بعض
من وثق به غيرى : لقد رأيت أصحاب الكهف في ذلك الكهف الذى بين
عمورية ونفيرة سنة عشر وخمسة مائة .

(وَكَذَلِكَ بَمَثَلَانِمْ) أى بثنائهم من نومهم كما أنماهم تلك الإنامة دلالة
على كمال قدرتنا (لِيَقْسَاءُوا بَيْنَهُمْ) أى ليسأل بعضهم بعضا عن حالهم ومدة
لبنهم فيعرفهم مدة البعث الذى أرسلوه بالورق إلى المدينة فيزدادوا يقينا وإيمانا
بالبعث وكمال القدرة ويشكروا نعمة الله .

(قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ) هو كبيرهم فيما قيل واسمه مكشليفا . وقيل : كسليفا .
(كَمْ لَبِثْتُمْ) فى نومكم كم هنا ظرف زمان منزل منزلة المفعول به وهى
للاستفهام معلق بلبثتم أى كم ساعة أو نحو ذلك قيل : إنهم استكثروا نومهم
متساءلوا عن مدته وقيل : راعهم ما فاتهم من الصلاة فقال ذلك .

(قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) بناء على غالب ظنهم لأن الغائب لا يدري
كم نام إلا بدليل يراه وفى ذلك دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب
وأنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ قاله الزحشرى ولما لم يتحققوا مدة
اللبث ردوا العلم إلى الله .

(قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ) منكم لأنكم ولو علمتم سكن بظن أو أعلم بمعنى علم
أى ربكم عالم دونكم .

(يَا لَبِثْتُمْ) ما مصدرية أى بلبثكم . ويقدر مضاف أى بمقدار لبثكم أو مدته

لبيكم أو اسم أي بالزمان الذي لبيتموه وإنما كان المائد الهاء المحذوفة المائدة الزمان لأنها ترأت منزلة المفعول به ولو عادت الزمان والذات ساغ حذفها .

ويحوز أن يكون لبيتنا يوما أو بعض يوم قول بعض ورأيكم أعلم بما لبيتم قول آخرين منكبرين عليهم الدخول فيما لا علم به لا على سبيل التحريم بل على سبيل التنزه لعدم موجب الدخول فيه .

وقد روى أن كبرهم المذكور سمح الاختلاف بينهم قول : دعوا الاختلاف رأيكم أعلم بما لبيتم . وقيل : دخلوا الكهف غدوة فاتتهوا بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم وهو قولهم : أو بعض يوم أو أنهم في اليوم بعده وهو قواهم : لبيتنا يوما فلم يذكروا بعض الذي بعده لأن أو لشك كما هو المتعارف .

ولك أن تجعل أو بعض بل أو للتدوين باعتبار الكل والبعض فيكونون قد ذكروا بعض الذي بعده ومذهب سيبويه أنه لا تأتي بمعنى بل إلا إن أعيد الفاعل وتقدم نفى أو نهي .

ويحوز كونها بمعنى الواو فيكونون قد ذكروه ولما نظروا طول أظفارهم وأشارم قالوا : رأيكم أعلم بما لبيتم وقيل : قالوا لبيتنا يوما فنظروا الشمس بقي منها بقية بأن خرجوا إلى موضع ترى منه قالوا : أو بعض يوم ولما نظروا طول أظفارهم وشعورهم علموا أنهم لبيتوا أكثر من يوم فقالوا : رأيكم أعلم بما لبيتم وذلك أظهر من أن يقال : علموا بالهام أن المدة متطاولة وأن مقدارها مبهم لا يملكه إلا الله ثم أخذوا بعد الفحاور فيما يهمهم فقالوا :

(فَأَبَشِّرُوا أَحَدَكُمْ) فبشروا أحدهما فقد بان لك وجه تفرع هذا على قولهم :

رأيكم أعلم بما لبيتم فسكانهم قالوا : دعوا الكلام فيما اختص الله بملكه فأناسكم لا يتحصلون منه على شيء وخذوا فيما يهكم فأبشروا أحداكم .

(بِوَرِّكُمْ) نضعكم وهي دراهم مضروبة ويطلق أيضا على النضة غير مضروبة والمراد هنا الأول والله أعلم .

وقرأ أبو بكر وحزة وأبو عمرو ووجّ عن يعقوب بإسكان الراء .

وقرأ بعضهم بكسر الواو وإسكان الراء وليس من السبعة ولا من العشرة وكذا قراءة بعضهم ونسبت لابن محيصن بكسر الواو وإسكان الراء وإبدال اللام كافا وإدغام اللام في اللام وهو غير جائز لالتقاء الساكنين على غير حدة وقراءة بعضهم بفتح الواو وكسر الراء وإدغام اللام بعد الإبدال وكونها به قراءة خارجة عن السبعة والعشرة هو الذي حفظت وهو ظاهر قول الإمام أبي عمرو الداني أبو عمرو يعني ابن العلاء وأبو بكر وحزة بورقكم بإسكان الراء والهاقون بكسرها فظاهر قول القاضى إذ قال : إنه قرئ كذلك ولم ينسبه لواحد من العشرة وعادته أنه لا يصرح باسم القارىء إذا كان منهم . وقال الزنجشبرى : إنها قراءة ابن كثير .

(هذه) بدل أو بيان أو نعت وجاز تأنيث الورق لأنه نضة (إلى المدينة) طرسوس بفتح الراء وتسمى قبل الإسلام أنسوس بالقاء أو بالقاء وليست مصاحبهم لهذه الورق منافية للتوكل لأنها حفظ للمال وتضييع المال إسراف محرم وإن كانت بنية فالتزود أيضا غير مناف للتوكل لأنه عمل الجارحة والتوكل إنما هو أمر قلابى ويتمين أنها تزود إن قيل : إنها من أموال آبائهم . اشتد شوق عالم فقير إلى الحج فكانت أغنياء بلده كلما أراد جماعة منهم الحج أتوه وعرضوا عليه ما يحج به فهدده عليهم فإذا تفرقوا عنه قال : ما عندي لهذا السفر إلا شيطان مثل الهميان وللتوكل على الرحمن . والهميان : وعاء الدرام يعنى شد الهميان من كفافه .

وسنات حائنة عن مُخْرِمٍ يشد عليه هِمَامُهُ فقال: أوثق عليك ففعلك بل
من خرج بلا زاد طامعا في الناس معوكل عليهم ومن خرج بلا زاد منفردا أو
كان لا يقبل عطاء وهو غير معبود لأكل نحو الخشيش إن مات بذلك فقد
قتل نفسه .

(فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا) يعني أي مواضعها أو أي أسواقها هذا ما أقول وقال
غري : أي أطعمتها ولا يضعفه التمييز بطامعا بمد لأن لفظ الأطلمة غير مذکور
بل لو ذكر كان كقولهم عز وعلا : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا »
وقال غري أيضا أي أهلها وعلى كل مائى مبتدأ استفهامية وخبرها اسم التفضيل
بدها والجملة مفعول بنظر حاق على الجملة بالاستفهام لأنه من النظر بمعنى العلم
والتدبر فهو قلبي بل يجوز هذا أيضا في فعل البصر وهو وجه ممكن هنا ولو اشتهر
أن التعليق يختص بفعل القلب وعلى الأول فالمفعول هنا مقيسد بالجاء لأنه يقال :
نظرت فيه . قال ابن هشام : وزعم ابن عصفور أنه لا يعلق فعل غير علم وظن حتى
يضمن معناها وعلى هذا فتكون الجملة سادة مسند للمفعولين .

(أَزْكَى طَعَامًا) أطهر وأبعد عن النجس والحرام والزبينة وقد قيل : أسروه
أن يطلب ذبيحة مؤمن لا ذبيحة من يذبح على الأصنام على أن في المدينة مؤمنين
يخفون إيمانهم وقيل : أجود طعاما وأفضل وقيل : أكثر وأرخص .
(فَلْيَأْنِكُمْ بِرِزْقِ رَبِّكُمْ) تنفوتون به والماء حائدة إلى أي .

(وَلْيَتَلَطَّفْ) يكتسب اللطف وهو الفرق ما قدر في طريقه إلى المدينة
وفها وفي كلامه حتى لا يعرفه أحد ثم صرحوا له لأن المراد بالتلطف أن لا يُسَلِّمَ
بهم أحدا كما قال :

(وَلَا يُشِيرَنَّ) يلمن (بِكُمْ أَحَدًا) من الكفار أي لا يفعل ولا يقول

ما يؤدى إلى أن يعلم بنا أحد فإنهم لا يشكون أن يعتمد ويقصد إسماعيل أحدهم خبر
بالإشعار عن سببه .

وقيل : يجوز أن يكون معنى التلطف الحذر في المعاملة لئلا يفين وفيه عندي
ضعف لأن القدر الواجب من القيام على النفس في المباشرة لا يخلو عند رسولهم
أما كان منهم ولذا كهد في ذلك مع علمهم به حرص على الدنيا ورغبة الله إلا
إن كانوا لا يعتادون المباشرة فحذروا من يرسلونه منهم أن يفين .

(إِيَّاهُمْ) أى أصحاب المدينة للمشركون .

(إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) أى إن يطلعوا عليكم أين أنتم أو يظفروا عليكم .

(يَرْجُوكُمْ) يفتلوك بالرض بالحجارة وكان من عادتهم القتل بها وهو أخبث

القتل . وقيل : يذبوك . وقيل : يشتموك بالقول .

(أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) أى يتسببوا في رجوعكم إلى ملتهم التي كنتم

فيها من الشرك بأن يضيقوا عليكم حتى تريدوا . أو المعنى : يطلبونكم أن ترجعوا

في ملتهم . وإنما تكلفت الوجهين لأن المود في اللغة إنما يكون عن القلب فلا يتصور

فيه الإعادة بالقرى بل بالأسباب التي يذعن إليها القلب اللهم إلا إن أرادوا الإعادة

بحسب الصورة بأن ينعوم عن ذكر الله بألسنتهم ونحو ذكره من العبادة الظاهرة .

ويجبرونهم على فعل ما لا يجوز لفير المضطر .

وقيل : إن أصحاب الكهف لم يشركوا قط فمعنى إعادتهم في الشرك

تصييرهم إليه واستعمال الآلود بمعنى الضرورة كثير في كلامهم .

(وَلَنْ تَنَالِحُوا) لن تنجحوا من عذاب الله وإن تفوزوا بنعيمه الدائم ورضاه

(إِذَا) إن دخلتم في ملتهم واعةتدعوها . (أَبَدًا) .

(وَكَذَلِكَ) أى كما أنتمهم ويشتاقهم لما في ذلك من الحكمة . (أَعْتَزْنَا)

أطلقنا . (عَلَيْهِمُ) قوم يتدبرون التفكير بالبعث بعد الموت وغورم من المشركين
للتفكير بالبعث والمؤمنين في زمانهم حين أيقظناهم .

(لَيَعْلَمُوا) أى ليعلم من ينكرون البعث أو يستيقن المؤمنون ومنكرو
البعث .

(أَنْ وَحَدَّ اللَّهُ) بالبعث بعد الموت فالوعد مصدر باق على معناه ويجوز أن
يكون المقي أن موعود الله فيكون بمعنى مقبول وموعوده هو البعث (حَقًّا) فإن
الإيقاظ من النوم مطلقاً مثل البعث ولا سيما الإيقاظ من ذلك الموت المتناول سدين .
(وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ) لا شك . (فِيهَا) وعى وقت النجاة فإن من أخرج
قومهم وأمسكها سدين وحفظهم عن التلفت ثم أرسلها إليهم فاستيقظوا قادر أن
يحشر الموتى وحفظه أبدانهم أقرب إلى الاستدلال من حيث كمال القدرة من أن
يعترض به أحد فيقول : إن الموتى متفتنون فيتمذر بشهم لأن مانع التلفت مع
دواعي التلفت ظاهر كمال القدرة فلا يعسر عليه بعث المتفتت بل من التلفت بعقله
أدنى التفات أغناه عن ادعاء التذمر والعسر ما يراه فيه الأشياء تبتدع بلا تقدم
ويرى أنه وأمثاله عاجزون عن إبداءها وأن الشيء لا يوجد نفسه .

(إِذْ) متعلق بأعزنا إلى أعزنا عليهم حين (يَنْفَازُ عُونَ) ليرتفع المنازع
إذا رأوهم مبهرة أرواحهم في أجسادهم حساسة وهذا المضارع للمحال بالحكاية
والواو المؤمنين والمشركين في زمان أصحاب الكهف .

(بَيَّنَّهُمْ أَمْرَهُمْ) ففريق ينكر بعث الأجساد والأرواح وفريق ينكر بعث
الأجساد ويثبت بعث الأرواح وفريق يثبت بهما معاً وهو الصواب فالمراد بأسرهم
أسر دينهم وهو ما ذكرناه .

وقيل : الهاء في أسرم طائفة إلى أصحاب الكهف ، وأسرم هو رجوعهم بعد الاستيلاء كما كانوا قتل فريق : ماتوا . وقال فريق : ناموا كدومهم الأول وهو الثابت الواضح .

وقيل : أسرم قصتهم وما ظهر من الآية فيهم وأسرم منصوب على المفعولية المتيدة على كل حال والمعنى يتنازعون في أسرم أو المفعولية المصروفة على تضمنين يتنازعون معنى يتجاذبون أى يجبذ كل من الفريقين الأسر إلى ما يدعى . وما ذكر الله سبحانه وآمالى بقوله : قولوا : ابنوا ، ليس تفصيلاً لذلك التنازع بل خلاف آخر كما تعلمه من تفسيرى الأسر بما ذكرت .

وقيل : إن تنازعهم في أسر أصحاب الكهف هو ما خص الله له بقوله (فَتَأْكُلُوا) أى قال بعضهم (ابنوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا) يسترم سداً للطريق إلىهم فلا يأتهم الناس ولا يتنافسون في أسرم ولا يتسارعون إلى أخذ ترايهم .

وقيل : المعنى ابدؤ عليهم بنيانا يسكنه الناس وتخذونه قرية وإلا لا نسب بقوله (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) وعلى الثاني يقال : المعنى حاصل ما يفعل أن يبني عليهم بنياناً وندع التنازع في أمرهم ربهم أعلم بهم .

وذكر بعضهم أن القائلين ابدؤ عليهم بنيانا هم المشركون المنكرون للبعث مطلقاً أو المنكرون لبعث الأجساد فإن أقروا بالله كما هو المتبادر من إنكار بعث الأجساد فالمراد برهبهم الله فشارك هؤلاء بإنكار البعث أو إنكار بعث الأجساد وإن لم يقرؤا به فرادهم بالرب من كان رباً لأصحاب الكهف بدون أن يعلم هؤلاء القائلون أن ربهم الله . قال ابن عباس : قال المشركون : نبى عليهم بنيانا لأنهم من أهل ديننا .

(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا) استولوا أو غلبوا عليهم .

(عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) أمر الفتية أصحاب الكهف وهؤلاء الغالبون هم المؤمنون

وقيل : الملوك والرؤساء .

(لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ) من فوقهم أو على باب الكهف ، (مَسْجِدًا) يصل

فيه المؤمنون ويتبركون بهم وبمكائهم لأنهم على ديننا . وقيل : كأنهم تنازعوا

في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلم يهتدوا إلى الفتية فقالوا : ربهم أعلم بهم

فإله الذي فعل بهم ذلك .

وقيل : ربهم أعلم بهم هو كلام الله عز وجل رده على الخائضين في حديثهم

من أرائك المتنازعين المذكورين في الآية أو الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله

ﷺ من أهل الكتاب .

وقيل : الأمر الذي تنازعوا فيه هو عدد أصحاب الكهف . وإنما قيل قال

الذين غلبوا بدون أو العطف لأن المراد أن يكون جواب سؤال متدر فإن قوله :

ابنوا عليهم بنياناً يستدعى أن يقال : فهل بنوه عليهم ؟ وماذا وقع ولا سيما أنهم

تنازعوا في أمر البنيان كما خرج عليه بمضمم قوله تعالى : إذ يتنازعون بينهم أمرهم

فكأنه قيل أيضاً : وماذا قال الآخرون فأجاب بأنهم قالوا : لننتخذن عليهم مسجداً

وأجاب بأن الواقع ببناء المسجد لكن هذا يفهم فهما لا تصرحاً من حيث إن

قائله هم الغالبون ومعنى الغلبة على أمر الفتية الاستيلاء عليه ويحوز ردها . أمرهم

إلى الغالبين أي الذين استولوا أو غلبوا غيرهم على أمر أنفسهم الذي أرادوه بحيث

صاروا إنما يكون ما أرادوا لا يفاههم فيه مغازعهم .

(سَيَقُولُونَ) الضمير لغير المتنازعين المذكورين في الآية قيل : بل لأهل

الكتاب والمؤمنين المتنازعين في مدة الفتية أصحاب الكهف في زمان النبي ﷺ

أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه سيقول كل منهم كذا وكذا وقد ر الله عز وجل إن اجتمعوا فقال كل منهم مقالته بعدما أخبر الله بقوله سيقولون أى سيقول بعضهم (ثَلَاثَةٌ) أى النعمة ثلاثة رجال (رَأَيْتُهُمْ كَذِبُهُمْ) قول : هو قول لليهود والجملة نعت ثلاثة .

(وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ) أى خمسة رجال (سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ) قول : هو قول النصراني والجملة نعت خمسة قرى يقولون الأول بالسین دون الثانى والثالث اكتفاء بانسحاب معنى السین عليهما إذ عطفوا على الأول المسلط عليه معنى السین كما تقول قد أكرم زيد ونصر وتسلط معنى قد من تحقيق أو توقع على الثانى كالأول لمطقة عليه وكما تقول مررت بزيد وبكر ويسحب معنى الإلصاق المتفاد بالباء على بكر لمطقة على ما دخلت عليه الباء .

هذا هو الواضح عندى وأما أن يقال : إن المراد بالثنائى والثالث الاستقبال فصحيح فى نفس الأمر لكن يبقى استقباليهما غير مؤكد بالسین وغير مدلول على اتساعه بالسین .

(رَجْعًا) أى ظناً . (بِالْغَيْبِ) أى فى الغيب ووضع الرجم موضع الظن كثيراً والمعنى : رمياً بالخبر الخفى عنهم وهو مفعول مطلق عائد إلى القولين أى يرجون رجماً بالغيب أو مفعول لأجله أى يقول أصحاب القولين ذلك لارجم بالغيب .

ويجوز تنازع القولين فيه ويجوز إعطاؤه لأحدهما وتقدير مثله الآخر ويجوز أيضاً أن يكون مندولاً مطلقاً لأحد القولين على التنازع أو على إعطائه لأحدهما وتقدير مثله للآخر على حد قدمت جلوساً .

(وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ) أى هم سبعة رجال . (وَثَمَانِيَهُمْ كَذِبُهُمْ) هو قول

المسلمين بإخبار رسول الله ﷺ لهم عن جبريل عليه الصلاة والسلام فهو الحق كما يرى إليه إبطال الأولين بقوله: رجاء بالثب إبطال مبادرة ويؤى: إليه إثبات العلم بهم لطاقة قليلة مع أن عدم إيراد قول رابع في مثل هذا الحق دليل على عدمه مع أن عدمه الأصل فبقى ثلاثة نص على أدلها وثانيتها بالرجم بالغوب المتبادر منه البطلان فيصرف علم القليل بهم إلى أصحاب القول الثالث ولو كان الثالث كالأولين لانتبه بالرجم أو آخر لفظ الرجم عنه.

ويدل على على صحة الثالث أيضاً الإتيان بالواو تأكيذاً للصوق للثب وهو ثامنهم كلهم بالنعوت وهو سبعة لصوقاً معقولاً بالجملة ثب فكانه قيل: ويقولون قولاً عن ثبات وإطمئنان نفس: سبعة وثامنهم كلهم قال ابن عباس: حين وقعت الوار انقطعت العدة أي لم تبق لأحد عدة يلتفت إليها.

وروى أن أسيداً والمقاب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند رسول الله ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال أسيد وكان يعقوبيا: ثلاثة راجعهم كلهم. وقال المقاب وكان نسطوريا: خمسة سادسهم كلهم وقال المسلمون: سبعة وثامنهم كلهم وهذا الاجتماع والاختلاف بعد نزول الآية.

وقيل: إن الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب والمصيب القول الثالث وأصحابه هم القليل في قوله: ما يملهم إلا قليل على هذا القول. وقيل: الوار عاطفة جملة على أخرى أي هم سبعة وثامنهم كلهم. وقيل: المعطف من كلام الله تعالى. والمعنى: نعم هم سبعة وثامنهم كلهم فسبعة من كلامهم أي هم سبعة والجملة معطوف عليها: وقوله: وثامنهم كلهم من كلام الله جملة معطوفة وأن هذا تصديق للقول الثالث، ويؤيده ما مر آنفاً من ابن عباس.

وإن قلت: إذا كان الصادق هو القول الثالث أو كان قوله: وثامنهم كلهم

تصديقاً له من الله تعالى بما وجه بحجى قوله : (قُلْ رَبِّ) وسكن الياء غير نافع وابن كثير وأبى عمرو . (أَعْلَمَ بِمَدَنِهِمْ مَا بَعَثَهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) .

قلت : وجه بحجى قوله : قل ربى أعلم بمدتهم تأكيد صحة التصديق بإثبات علم المصدق .

وجه بحجى قوله : ما يعلمهم إلا قليل الإشار بأن القائلين تلك المقالة الصادقة قليل أو أن الذى قالها منهم من يقين قليل أو لما كان التصديق فى الآية خفياً لا يستخرجه إلا مثل ابن عباس قيل ذلك ولهذا كان يقول : أنا من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كلهم وبذكرهم بأسمائهم التى ذكرتهم بها أولاً وذكر أن الساع راعهم وأنه يسمى كسططير وأن كلهم أنهر يسمى قططها . وقيل : اسم راعهم كسططيروش .

وقيل : الواو للحال ويقدر للبتدأ اسم إشارة أى هؤلاء سبعة ليسكون فى الكلام ما يمل فى الحال ويرده أن حذف عامل الحال إذا كان معنواً وهو ما فيه معنى النفل لأحرفه ممتنع وإن قال : قدر : هؤلاء سبعة معدودون أو اعتبر ما فى قوله سبعة معنى معدودون فالعامل ليس يقين أن يكون اسم إشارة بل يجوز أن يكون معنى معدودون المضمن فى سبعة أو لفظ معدودون المقدر فلا حاجة إلى التخصيص بالإشارة .

وقيل : الواو والثنائية ذكرها جماعة منهم : الحريرى وأبو الهيثم والقاضى للفاضل عبد الرحيم بن على وابن خالويه والشافى وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا : ستة وسبعة وثمانية إيداناً بأن السبعة عدد تام وأن ما بعده عدد مستأنف وذلك لفة ذكر بعض ذلك ابن هشام .

وذكر الهامونى وجه كون السبعة تمام العدد أنه إما فرد أو مرتب من

فردين وهو الزوج أو من زوج وفرد أو من زوجين فالثلاثة الأولى في الثلاثة فإن في ضمنها الواحد والاثنين والأخير في الأربعة ومجموع الثلاثة والأربعة سبعة فتمت بها الأصول فالثمانية زوج وزوج وزوج وقد مضى وهكذا وللثلاثة زوج وفرد ويبحث فيه بأن مثل هذا لا تبني عليه اللغة .

وقيل : إن أكثر الأشياء سبعة كالسموات والأرض والأفلاك وأشواط الطواف والسمي ورمي الجمار وأبواب النار ويبحث فيه بأن الأكثرية غير مسلمة وأن مثل هذا ضعيف في مباحث اللغة .

(فَلَا تُكَاِرِ) أى تجادل وأصله الإيقاع في سرية أى شك فيما يظهر لى ويحتمل الهناء على هذا الأصل في حديث : من تعلم علما ليأرى به السفهاء .

(فِيهِمْ) في الفتوة أصحاب الكهف أى في شأنهم . (إِلَّا مِرَاءً) جدالا . (ظَاهِرًا) يظهر لك بما أوحى إليك فيه غير متعمق فيه بالدخول في دقائقه وأبحاثه أو معنى ظاهر أنه خفى مائل عن طريق الدعاء إلى الحق بالسياسة فكأنه قول : إلا سراة معروف وهو المراد بما أوحى إليك من غير تغليظ وتجهيل لهم .

(وَلَا يَسْتَفْتِي) لا يطلب الفتوى . (فِيهِمْ) في الفتوة أى في شأنهم (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب حال من قوله : (أَحَدًا) استفقاء مسترشدين لأنهم غير رشدين فيرشدونك ولأنهم جاهلون ولأنك على رشد فيما أوحى إليك من شأنهم ولا استفقاء مقصود وإرادة نصيحتهم وإظهار جهلهم لأن التعمق غل بمكارم الأخلاق ومخالف لما أمرت به من الداراة واستعمال الجمل .

(وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي) أى لشأن شيء أى في شأنه أو لأجل شيء هو بألف

بين الشين والياء كما قاله الشاطبي والخرزاز وغيرهما .

قال أبو عمرو الداني في التلغص عن بعضهم : رأيت في جميع المصاحف شيئا يغير

ألف ما خلا ولا تقوان لشيء قال لبعض: وفي مصاحف عبد الله رأيتها كلها بألف قال أبو عمرو: ولم أجد شيئاً من ذلك في مصاحف أهل العراق ولا غيرها بألف ١٨٠. وكنت متألاً في زلاتها هنا وأقول: زيدت تأكيداً ليعلم أن في الكلمة همزة فتقوى في خفائها بألف وتمدد الفواصل بينهما ما كن فلم يكن حاجزاً حصيناً وخص هذا اللفظ في هذا الموضع اعتناء بالنهي عن عدم الاستثناء في الكلام ثم بعد ذلك والحمد لله رأيت بعضه منصوصاً عليه لشارح عقيلة الشاطبي وشارح الخراز.

روى أن لليهود سألو رسول الله ﷺ أو قالوا اقربش: سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال: انتفوني غدا ما أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطلوا عليه الوحى بضعة عشر. وقيل: أقل. وقيل: أربعين فشق عليه ذلك وقد مر ذلك في سبحان فأزل الله تعالى تأديبا له: ولا تقولن لشيء (إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ) للشيء (غداً) حقيقته اليوم الذى بعد يومى متصلاً به والمراد عندي هنا مطلق المستقبل ولو في يومك أو بعد اليوم الذى يلى يومك فتكون لفظة غدا مجازاً مرسلأ لعلاقة الإطلاق أو للتقيد أو هما وذلك أن الغد موضوع للمستقبل بقيد كونه تالى يومك واستعمل في مطلق المستقبل فيلزم الاستثناء كل من يقول: إني أفعل أو سأفعل أو نحو ذلك مما أريد به الاستثناء سواء نطق بمادة فعل أم لا كأجبه وأعطيك فإن ذلك داخل في قوله فاعل.

وقال بعض: لا يلزم الاستثناء الأمر من ذكر لفظة غدا أو نحوها مما يكون مؤدراً لمعناها إنما ظاهراً الآية على أن المراد بلفظ الغد مدلول لفظ الغد بأى لفظ فقط.

واختلف في اعتقاد الفعل بدون النطق هل يلزم منه الاستثناء أم لا والذى

كالإثبات قياسا في النطق والاعتقاد وقد يكلف دخوله في قوله فاعل فإنه قد يطلق الفعل على القدر المشترك بين الترك وعدمه ويدل له دخول ترك الصلاة ونحوها في نحو من يعمل سوءا يجز به . وقيل : لا يلزم الاستثناء في اللفظ .
 (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) والمراد الاستثناء بهذا اللفظ بأي لفظ ولو بغير إلا أو بغير لفظ المشيئة أو بغير لفظ الجلالة من أسماء الله أو بغير إلا ونحوها بل بكسر الهجمة استثناء من النفي وهو منقطع وأن مصدرية ناصبة أي إلا مشيئة الله ويجوز كونه مقصلا مفرقا وفيه أوجه :

الأول : أن يقدر الجار ويطلق بحال محذوفة أي إلا متلفظا بمشيئة الله أو ملتبسا بمشيئة الله ونحو ذلك ومعنى التلغظ بها والاعتباس بها أن يقول : إن شاء الله .

الثاني : أن يحمل المصدر متغولا لحال محذوفة أي إلا ذا كرا مشيئة الله أو إلا قائلا مشيئة الله وإنما نصب القول المفرد لأن هذا المفرد كناية عن الجملة مثل قولك : إن شاء الله .

الثالث : أن يحمل المصدر نائبا عن ظرف الزمان أي لا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غدا إلا وقت مشيئة الله بأن يقول لك : قل إني أفعله غدا . أو يخبرك بأفك فاعله غدا هذا مراد الزخشي بقله : ولا تقولن ذلك للقول إلا أن يشاء أن تقوله بأن يأذن لك فيه . وفهم ابن هشام أن منبأه إلا إن قضى الله أن تقوله وقدر قوله فرد عليه بأن ذلك معلوم في كل أمر ونهي وبأنه يقتضى النهي عن قوله : إني فاعل ذلك غدا مطلقا وليس كما فهم فرده غير ثابت .

ورد أيضا بالرأي الأخير على قول الزخشي : إن هداك وجهها هو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبدا كأنه قيل ولا تقبلوه أبدا كقولهم : وما كان

لنا أن نورد فيها إلا أن يشاء الله؛ لأن عودهم في الشرك لا يشاؤه الله أبداً وبه رد
أيضاً على من قال : إن الاستثناء منقطع وقد قلت به من رأى وأقول رده بذلك
لا يصح لأن المعنى على التأبيد أو الانقطاع لا يتل محذور إلى فاعل ذلك غداً أبداً
ولكن مشيئة هي الواقعة ولا شك أن قوله ذلك مجرداً عن الاستثناء لا يجوز أبداً .
وذكر عن السهيلي أن الاستثناء لا يتعلق بقوله فاعل إذ لم يده من أن يصل
إلا أن يشاء الله بقوله ذلك ولا بالنهي لأنك إذا قلت أنت منهي عن أن تقول
إلا أن يشاء الله فليست بمنهي تقيد سلطته عن أن يقوم ويقول شاء الله ذلك
ولا وجه لقولك أنت منهي ولا وجه لقولك نهيت عن أن تقول : إني فاعل
ذلك غداً إلا أن يشاء الله فله ولا لقولك نهيت عن أن تقول إني فاعل ذلك
غداً إلا أن يشاء الله عدم فعله فالأول استثناء لاحاجة إليه والثاني مأمور به
لامنهي عنه وأول ذلك أن الأصل إلا فائلاً أن يشاء الله وحذف القول كثير
قال : فقد تضمن كلامه حذف أداة الاستثناء والمستثنى جعماً والصواب أن الاستثناء
مفرغ وأن المستثنى مصدر أو حال أي إلا قولاً مصحوباً بأن يشاء الله أو إلا
ملتبساً بأن يشاء الله وقد علم أنه لا يكون القول مصحوباً بذلك إلا مع حرف
الاستثناء فطوى ذكره لذلك وعليهما فالإباء محذوفة من أن . وقوله طوى ذكره
أي من غير تقديره في الكلام ليغير كلام السهيلي .

(وَادْكُرْ رَبَّكَ) أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله .

(إِذَا نَسِيتَ) الاستثناء عند الكلام ثم تذكرت أرنيك أحد وقد روى
أنه عليه السلام لما قال لسائليه عن أصحاب الكهف والروح وذو القرنين : أخبركم
خدا ونزل : ولا تقولن شئ الخ قال : إن شاء الله قال ابن عباس : ينفع الاستثناء
ولو بعد سنة ما لم يحث رواه الطبراني وكذا عن سعيد بن جبير .

وقال الحسن وطاووس : له الاستثناء ما دام في مجلسه ومن خطاء مقدار حلب ناقة غزيرة وقال الجمهور وأبو حنيفة لا يفيد الاستثناء إلا إن كان متصلا باليمين أو مفصلا بمانع كطاس وسلة وتذؤب ولو كان كما قال غيره لم يثبتر إقرار ولا طلاق ولا عاق ولم يعلم صدق ولا كذب .

وحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس واستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة : هذا يرجع عليك لأنك تأخذ البيعة بالأيمان أنترضي أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضى عنه .

وقيل : يفيد الاستثناء ما لم يتكلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما : إذا استثنى فله ثبته ولا يفيد الاستثناء بالقلب وحده .

وقيل : المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء حثا في البحث على الاهتمام بالاستثناء .

وقيل : اذكره إذا غضبت فسيب ذكره ثم تذكرت أو نسيته قال وهب : ذكر الله جل وعلا في التوراة والإنجيل : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرني حين أغضب .

وقيل : اذكره إذا اعتراك النسيان لهذا ذكرك للنسي . وقيل : ذكره هو أداء الصلاة النسيية إذا تذكرها كما ورد في الحديث : من قام عن صلاة أو نسيها ثم ذكرها فذلك وقتها .

وقيل : اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به يمشك الذكر على التدارك وهذا بصرف لغيره رضي الله عنه ولو كان الخطاب له ويجوز أن يكون لمن يمكن منه الترك .

(وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي) ربي ياتيت الياء بعد النون وصلا في قراءة نافع
 وأبي حمزة وأثبتها ابن كثير وصلا ووقفا والمعنى أن يدلني ويرشدني .
 (رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا) أى من أصحاب الكهف . (رَشَدًا) علما ودلالة
 على نوني ورسالتى . وعدها الله سبحانه لأعظم من خبر أصحاب الكهف كتقصص
 الأنبياء المتباعدة أهمهم وأخبار الغيب والحوادث المستقبلية إلى قيام الساعة وسائر
 الحجيح والبراهين فأظم معانديه إغاما عاما سألوه عن أصحاب الكهف والروح
 وذى القرنين فأجاب بالحق مع ما سبق له من المعجزات وزاد لهم : إني سيكون
 لى ما هو أعظم برهانا من ذلك وأقرب منه إلى ما أقوله لكم من أى نبي مرسل
 وعسى من الله واجبة ولما أمر نبيه أن يقولها علمنا أن ذلك وعده والله سبحانه
 لا يخلف الوعد والجملة مستأنفة معترضة فى قصة أصحاب الكهف أو معطوفة على
 اذكر عطف قصة على أخرى .

ويجوز أن يكون قوله وقل عسى الخ مقصلا بقوله : واذا ذكر ربك إذا نسيت
 فى المعنى وعطفنا عليه أى إذا نسيت شيئا فاذا ذكر ربك وقل عسى أن يهدينى لشيء
 آخر خير مما نسيت وأقرب نفعا منه ولعل القاصدين خيرة وقوله عسى ربي ريادة
 على الذكر الذى أمر به ويحتمل أن يكون إياه .

(فَتَنَّاوُا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) يدل من ثلاث لامين مائة لأنه
 لو إسقط مائة لبقى ثلاث سنين فيفسد المعنى وقد يقال : إنه تصح البدلية مع ذلك
 فإن كثيرا من الأبدال لا يصح إسقاط مبدلاتها فإن معنى قولهم البدل فى نية طرح
 البدل منه أن المبدل منه سوق تمهيدا للبدل لا قصدا بالذات وأن المقصود بالذات
 البدل هذا مظهر لى ثم رأيت الإخفش أجاز كون سنين بدلا من مائة ورد عليه
 ابن هشام بما ذكر من أنه لا يصح أن يقال ثلاث سنين لفساد المعنى هنا مهجبا

عنه بما ذكرته وقرأ مرة واحدة مائة مائة مائة مائة مائة
مغلاها على قراءة الجمهور فأما معونة

وإن قلت : الألف ولثانة مائة مائة مائة

قلت : أضيف مائة هنا لجمع لأنه منزل منزلة الواحد لأن الياء والنون فيه
موض من لام سنة وعلى وأو أو فله مع أن الأصل في العدد أن يضاد للجمع وقرأ
أبي التثنية سنة بإقرأه مائة وإشانة مائة مائة

(وازدادوا تسعة) أي تسع سنين لأنها مقروبة إلى تسعة على أنهم هم بشتم
الله لأجل زمانهم وهذا بيان أن أجل في قره وعشرين على آياتهم في التكتف
سنين عددا .

وإن قلت : إذا كان هذا إنجلا من الله مؤجلا فلو كان قاطبة قره : (قل الله
أعلم بما أنجوا لله أجبت السموات والأرض) أي لا علم ما عجب من الخلق من
السموات والأرض وما فيها وأعوالمهم هو منه غيبيل فهو عالم به .

قلت وجهه : أن الصالحين المبتغوا : إن مدة ليهم ثلاث مائة سنة وتسع
بل منهم من قل : ثمانية وتسع من قال أقل فأجابهم الله بأنها ثمانية وتسع وأه صلى
أعلم معكم بما أنجوا كما أنه اختص بهم الغيب على الإطلاق وأن الحق ما قاله . وقد
قيل : إنه لما نزل : ولهم في كهفهم ثمانية سنين وازدادوا تسعا قالت قساري
نجران : لما ثلاث المائة فقد عرفناها ، وأما التسع فلا علم لنا بها فنزل قل الله أعلم
بما أنجوا الخ فلذلك غير الأسلوب إذ قال : وازدادوا تسعا ولم يقل وتسعا
وعلى الوجه قبل هذا فإنما غير الأسلوب تسكنوا أو تقلبوا بلفظ تسع منهمونا بلفظ
الزيادة كأنه قال : ولهم مع ذلك أيضا تسعا . أو قال لم يلبثوا فوق ذلك إلا قليلا
هو تسع .

(٤ - هين الزاد)

وقيل : إله مدة لبهم تسعة بحساب المعجم على سهر الشمس وبه حسب أهل الكتاب كمنصاري نجران وثلاثة وتسع بحساب العرب على سهر القمر والتفاوت بين مائة سنة بحمية ومائة هريئة ثلاث سنين فذلك تسع سنين والسنون في الآية هريئة .

وإن قلت : فلم قال : قل الله أعلم بما لبثوا مع أنهم قد وافقوا ؟ قلت : لأنهم ولو وانفسوا لكان لا يقين لهم ولأنهم لما ذكروا التسع أنكروها فقال : إن الله أعلم بالحساب فإنه أنزل القرآن على كيفية تعرفها العرب وكان الحساب بزيادة التسع ولا معرفة لكم بوجه التفاوت بين الثلاث المائة التي علمت وثلاث المائة والتسع التي لم تعلموا .

وقال قتادة : إن قوله : وليشروا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا من كلام أهل الكتاب فرد الله عليهم : بوله : قل الله أعلم بما لبثوا الخ . ويدل له ما في مصنف ابن مسعود : وقالوا لبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا .

وقيل : إنهم قالوا هذا باعتبار دخول الفتية الكهف إلى مدة الاجتماع بالنبي ﷺ فرد الله عليهم بأنه لا علم لأحد بمدة دخولهم الكهف إلى وقتك هذا والمصحيح أن ذلك إخبار من الله تعالى بمدة لبهم إلى أن أيقظهم الله في زمانهم . (أبصر به) أى بالله . أبصر : فعل ماض على صورة الأمر مبنى على نفع مقدر منع من ظهوره سكون صورة الأمر والماء في محل جر بالباء وفي محل رفع على أنها فاعل لأبصر ودخلت عليه الباء للتأكيد ولإزالة صورة إسناد صورة فعل الأمر إلى اسم غيبة وذلك هو العلة في مثل أحسن بزيد مع زيادة أن فعل الأمر لا يرفع الظاهر وإنما صح كون الماء فاعلا مع أنها ضمير نصب أو جر بواسطة دخول الباء وذلك ما كنت أقوله ، وهو للصواب إن شاء الله فاحفظه .

وقال الأخفش : القاعل ضمير معتد طائد إلى كفى أحد على سبيل البدلية لا الشمول ونظ الماء مفعول به إما صريح على أن الميزة للميزة للتمدية والباء صلة للتأكيد : وإما متيد بالجاء المذكور على أن الميزة لصدورة فالجار للتعدي .

(وَأَسْمِعْ) أى وأسمع به غذف لدلالة الأول . والنهي : عظم بصره وسمعه جدا كما يقال ما أبصر زهدا وما أسمع به غذف لدلالة الأول . والنهي : عظم بصره وسمعه الأجسام وسمعه الذى هو إدراك الأصوات خارجان عن حد سمع الحادث وإبصاره لأهما لا يشذ عنها شيء ما وقد ورد مثل ما أفله في حق الله وهو في صحيح الربيع ابن حبيب وهو مجاز .

(مَا لَهُمْ) أى لأهل السموات والأرض (مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) يقول أمورهم (وَلَا يُشْرِكُ) أى الله (فِي حُكْمِهِ) أى في قضائه . وقيل : في خيبه (أَحَدًا) من أهل السموات والأرض لا يعمل لأحد منهم متدخل في قضائه لأنه غفى عن الشريك ولأن غفوه لا يتأمل ذلك .

وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية قالون ولا يشرك بالمشاة النسيئة وإسكان الكاف وزرع أحد على نهى كل أحد عن الإشراف في حكمه أى لا يدع أحد شاركة .

وقرأ الحسن بالغاء المثناة الفوقية وإسكان الكاف على النهى ونصب أحد والخطاب لكل أحد على سبيل البدلية أو للنهى والمقصود سواه . والله أعلم .

قال بعضهم : حدثنا ابن أبي إسحاق البصرى عن عبد الرحمن بن مزاحم أنه قال : دخلت مسجد النبى ﷺ ونظرت فإذا أنا بجثة عظيمة فنظرت فإذا أنا بابن عباس رضى الله عنه فجلست أمامه فقلت له : يا ابن عم رسول الله ﷺ مالك لا تحدثنا بقصة أهل الكهف والرقم أين كانوا أو كيف كانت مسألتهم ؟ وما كان صفة الكلب ولونه ؟ وما اسمه ؟

قال ابن عباس رضي الله عنه : يا محمد الله سألني عن آخر عظيم وحدث
 طريف . كان في زمان بنى إسرائيل رجل يقال له : دقيوس . وكان راحيا يرمى
 غنما له فلما كان ذات يوم استنحرت عليه الشمس فأوى إلى بئر في فلاة يريد الله
 يتقبل حولها ويسقى غنمه فأدلى دلو له إذ لاح له لوح من الذهب الأحمر وفيه أسطار
 مكتوبة بالعبرانية مأخذه وترك غنمه وسار إلى الكوفة فلم يجد فيها صنفا
 ولا كبيرا يحسن قراءته فسار إلى بيت المقدس فلم يبق في بيت المقدس من يحسن
 قراءته إلا رجلا من بنى إسرائيل شيخا كبيرا انحنى ظهره وسقط حاجباه على
 عينيه له من العمر ثلاثمائة سنة سمع بالوحي فقال : علي به فاستخرج عصاة فمصب
 حواجه فلم يزل يظفر فيه وفي وجه دقيوس ويهكي . فقال : ما يبكوك يا شيخ ؟
 فقال : هذا الوحي يدل أنك تقدم للرؤية من دون الله وهذه الأسطار تدل
 على كنز من كنوز الأرض فيه من الأموال ما لا يحصى عدده إلا الله .

قال له دقيوس : دلي عليه .

فقال : نعم إن أعطيني الميثاق والمعبد الله لا تصدري ولا تتلاني وتبطلني
 وزبرك .

فأعطاه المعبد والميثاق على فلك وأوقفه على جربة قديمة فضرب فيها بالمول
 فانفتح باب المخارة .

فلما رأى دقيوس كثرة المال والسلاح فقدر بالشهخ ففرضه بالمول فقتله
 واشترى دقيوس الخيل والمعبد وجيش الجيوش والناس يعطايرون عليه رغبة
 لما عده من الأموال حتى جيش جيوشا عظيمة .

ثم أخذ المال وسار بالجيوش يطلب موضعا يتخذة منزلا فكان يجول في
 الأرض فأتته إلى :ومة فبادر إليه ملكها بالجيوش فلم يزالوا يقاتلون حتى انصف

النهار فهزم قهوس ملك رومية وقفل رحله ودخل المدينة خفية وأخذ أهلها ودخل
 الكنيسة السليمانية التي كان بها صنم من الذهب الأحمر وجهه من ذهب وقبض
 رأسه ثلاثمائة وخمسون بزمون معه الذهب والفضة وعشرون جنة النهار وكان أهل رومية
 يسجدون له من دون الله فأخذ قهوس ما في الكنيسة ما لا يحصى من الأموال
 وأخذ أموال رومية.

ثم سار يطلب موضعا يمكنه حتى انتهى إلى موضع كثير الأشجار أرض
 بيضاء معتدة فأمر أن تبني فيها مدينة وسماها أقيوس وجعل لها ثلاثة أسوار
 وجعل فيها قصرًا من الرخام الأحمر له من الأبواب والطاقات عدد أيام السنة
 وجعل فيه مجلسا وأقام في المجلس قبة من الذهب الأحمر وكوكها بكواكب الدر
 والياقوت والجوهر.

واخذ لنفسه سبع مئتان من خيار قومه وألبسهم الخيل وجعلهم وزراءه وأمرهم
 بالوقوف بين يديه ووضع الكراسي على عین القبة وشمالها وأرسل إلى الملوك
 وأقدم عليهم وأحضر لهم الطعام والشراب وقال لهم : كلوا واشربوا ووضح لهم
 الصنم على سرير القبة البيضاء وأمرهم بالسجود له من دون الله سبحانه ثم أقام يوما
 فسجدوا له فقال : ارضوا رءوسكم ليس هذا وقت سجودها الذي دعاكم ؟

فقالوا له : دهانا عساكر الفرس في ثلاثة آلاف فاصفرونه ووقع منشيا عليه
 وسقط التاج عن رأسه فطهبوه بالطيب ورشوه بالمسك وقالوا : لا بهوليك هذا .
 ولما أفاق احتجب ثلاثة أيام في قصره فاجتمع للمتيان في ليلة عند أكبرهم سنا
 وقد مر اسمه .

وقيل : إن أكبرهم سنا هو تلميذا اجتمعوا عنده وكان أفصحهم لسانا في
 مجلس رخام وأحضر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا وناموا فخرج تلميذا إلى

وسط الدار فكبر ورفع رأسه إلى السماء فرأها مشتبكة بالنجوم وليس في وسط الدار إلا إلى القيوم .

قال تلميذا : ليت شمري من كوكب هذه الكواكب ، يا ليت شمري من خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، يا ليت شمري من أمطر الأمطار وأنبث أوراق الأشجار ، يا ليت شمري من أرسل الريح وسخر البحر . اعلمى لا نفهم أن لهذه خاتما خلقها وصانعا صنعها ومدبرا دبرها فبكي بكاء شديداً وخراً ساجداً لمن خلق السماء والأرض ودخل المسجد باكياً وأيقظ أصحابه وقالوا له : يا حبيبنا تلميذا ما الذي يبكيك ؟

قال لهم : إني تفكرت في الذي كان من الملك دقيوس حين اصفر لونه وسقط اللعاج عن رأسه من الفزع فلو كان إلهاً كما زعم ما نزع وما هذا شأن إله يُعبد ولكن يا أصحابي خرجت إلى وسط الدار فرأيت السماء مشتبكة بالنجوم فقلت أن لها خاتما خلقها وصانعا صنعها ومدبرا دبرها بقدرته فهل يقدر دقيوس أن يخلق الليل والنهار والشمس والقمر ؟ ولكن يا أصحابي تعالوا نعبد الله الذي هو على العرش استوى .

فقالوا له : كيف السبيل إلى عبادة هذا الإله .

قال لهم : تعالوا نل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وما جاءت به الأنبياء حق .

فقالوا بأجمعهم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

قال لهم تلميذا : إذا جنَّ الليل نخرج إلى هذا الجبل الذي كان حولنا نعبد إلهنا فمضى ربنا أن يقتر لنا ما سلف من ذنوبنا .

فقالوا : نعم إلى ماذا نقيم على الكفر ؟

فكانوا إذا جنّ الليل خرجوا من منازلهم إلى ذلك الجبل فاشتغلوا فيه
بعبادة الله عز وجل إلى طلوع الفجر ورجعوا إلى منازلهم .
فأقاموا على ذلك مدة طويلة حتى غملت أجسامهم وافتقرت ألوانهم وشاركت
الشموع في خلودهم طرقات من كثرة بكائهم على ما مضى من كثرة عذابهم
لربهم فكانوا يقومون الليل وإذا أقبل النهار بايسون الحلى والحلل والتهيجان
ويقومون بين يدي الملك .

فأقاموا على ذلك زمنا طويلا حتى اطلع عليهم رجل من أهوان الملك فلم
أتهم يهدون الله عز وجل فانطلق من ساعته حتى دخل على الملك ونحى يديه
ساجدا لهما الله . فقال له الملك : ارفع رأسك ليس هذا وقت ركوع ولا سجود
الذي جاء بك ؟

فقال له : وزرأوك كرهوا محبتك يا كلون رزقك ويقتلون في نعمتك
ويجدون إلها غيرك .

فهم إليهم الملك رسوله فبادر لتأنيبهم رجل فقال : يا تلميذا علم أن الملك
علم أنكم تبهتون إله السماء وقد أرسل رسوله نحوكم فأتيتوا عند سؤال الملك .
ولما ورد عليهم رسول الملك قاموا وركبوا الجبل ولبسوا الحلى وتطهبوا
بالطيب ولما دخلوا عليه وضع لهم اللسم على صرير من الذهب الأحمر وأمرهم
بالسجود وسجدوا لله رب العالمين وقالوا : ربنا إلهك سجدنا وما عندك طلبنا
يا إله السماء نجنا من عدونا وأغشنا بغيثك يا من لا يحول ولا يزول فظن دقيوس
أنهم سجدوا له وأنهم يبيكون من خوفه . فقال لرجل الذي جاءه بخبرهم : ويحك
أنت تمام . فقال لبعض عبده : اضربوا عنقه فبجل الله بروحه إلى النار وأقاموا
يهدون الله تعالى ويقومون النهار ويومنون الليل حتى اطلع عليهم دقيوس بنفسه .

وولم أنهم يسيرون إلى السماء فبكتم ذلك عليهم ولم يبيده لأحد منهم وحضر له عهد يقوم فيه أربعين يوما بلوا إليها يذبحون الذبائح ويأسيرون الناس بالسجود للأصنام من دون رب العالمين وأمر الناس بالخروج إلى العهد وأمر اليونان بها المودة على أبواب المدينة لئلا يخرج النفقة : وقال لهم : إن خرجوا ليس إلا أو نهرا جربت أعناقكم وأعناق أهلكم حتى أرجع من عهدي فأجزيهم بالنار أو أذري رمادهم على الجبال العالية تهوى بها الريح مسار إلى عهده فاجتمع النفقة إلى تملخها في مجلس لهم وقد أهركة تب الهادة غفامت عياله وأصحابه ينظرون وإذا به قد قام فرعا مرعوبا فقالوا له : ما الذي روعك يا حبيبنا يا تملخها ؟

فقال لهم : إني رأيت في منامي هذا شابين أمردين عليهما ثياب من نور وأردية من نور راكبين على فرسين لا يشبهان خيلنا بأيديهما صواالج من الذهب وكورة من النفقة البيضاء وهم يلعبون بها في المدينة فسمعت واحدا يقول : اضرب الكورة باجبريل فضر بها بالصالجة فطارت في الهواء وهما على آثارها فسمعت قائلا يقول : اضربها أنت ياميكائيل فلم يزالا يضربانها حتى سارا بها إلى باب المدينة فانفتح الباب بقدرته من يقول لأشئ : كمن فيكون تخرجنا قائلين : نخرج إلى الله رب العالمين فهذا يا أصحابي إلهام من الله كيف نخرج من هذه المدينة فمالوا فصنع صواالج وكورة .

فقالوا : لا نعرف ذلك .

فقال : ولا أنا ولكن أمثلها كما رأيت في المنام فجمعوا دنانير ودرام وساروا إلى صانع في المدينة فقالوا له : اصنع لنا صواالج وكورة من هذه الدنانير والدرام .

قال لهم : لا أعرف ذلك يا وزراء الملك ولهم حازت علي مائة وخمسون
هبة ما سمعت أحدا في المدينة يقول بالصواع ولا الكورة فقال لهم تملئوها ولا نحن
نحملها ولكن أمثلها لك كما رأيت في محاسن فنملأها فقال لهم : إن أصعبها عليكم
خففوها إليه الدنانير والدرام . فقالوا له : متى نرجع إليك ؟

قال لهم : إذا نامت العميون فتناولوا إلى ندمنها إليكم .

فانصرف تملئوها وأصحابه إلى منازلهم وكان تملئوها كرم وبشر فباعه
بخمسة وعشرين درهما من الدرهم دقيوس وكان الدرهم مثل حاتم الفحل مكثوها
عليه بالعبرانية لا إله إلا دقيوس فأخذها في كيس وأخذ زاده ومشي مع أصحابه
وأثرو الصانع في الوقت الذي وعدم بعد أن لبسوا الخلى وجعلوا التيجان علي
رؤوسهم وقطعوا بالطيب وركبوا الخيل ثم وصلوا إلى الصانع فندع لهم الصواع
والكورة ووضعها بين أيديهم في الأرض وجعلوا يضر بها بالصواع وكان
لها دوى عظيم فجعل الناس يعجبون ويضحكون ويقولون : إن هذا الهب
ظريف ما رأينا مثله قط وأقبل الهوايون والمجد يستجرون ويضحكون . وأنسام
الله سبحانه ما أوصام دقيوس به . ولما انتهت إلى باب المدينة ضربها تملئوها
نفرجت إلى الباب ففقه الهوايون فردها أحد الفتية بالهزرب إلى المدينة ثم ضربها
تملئوها بفرجت .

فقال الجليل جل جلاله لجبريل عليه السلام : امبط إلى الكورة واحملها
بريشة من جناحك فهبط إليها جبريل عليه السلام أسرع من طرف العين فحملها
بريشة بهتدرجها من أرض إلى أرض وهم على أثرها يضحكون ويضربها الفتية حتى
بلغت خمسة وثلاثين ميلا في وقت قريب فنظر تملئوها نحو المدينة فلم يرها ولا أحدا
من أهلها فقال : يا أصحابي ما فعلت المدينة ؟

فقالوا له : لا علم عندنا الله أعلم ولا نعلم إلا ما علمنا .
فقال لهم : يا أصحابي اسمعوا مني فإنا أكبر منكم سنًا ، وإني عرفت الله قبلكم فأخلصوا قلوبكم إلى ما كان الله أنزلوا على الخليل ، واتركوا الأعيان والإكليل ، والبسوا ثياب العوف ، وتحرموا بالحنبل ، وخذوا زادكم نهرب بديننا إلى إله السماء .

فقالوا له : كيف تطيق المشى خفاة ونحن أبناء الملوك تربينا على النعمة ولا نعرف المشى ؟

فقل لهم تلميذا : يا أصحابي اقبلوا ما أمرتكم به لعل إله السماء يفيثنا ويثجينا من عدونا .

قال : فقبلوا ما أمرهم فبينما هم يشقون إذ برأع برعى غما على ربوة له كلب عظيم مجترى ولما رآهم يبادر إليهم ووضع لهم خده إلى الأرض وعيناه ناظرتان إلى السماء وبسط لهم ذراعيه وأخرج لهم لسانه وجعل يحرك ذنبه وعيناه تفرغان بالدموع .
فقال الراعي : الله أكبر ما رأيته خضع لأحد إلا لهؤلاء وكان الكلب قبل يمشي القارس .

فقال الراعي : إن هؤلاء عند الله منزلة رفيعة فترك غنمه وسار إليهم فوقف لهم على قارعة الطريق وركز ما يتيكى عليه فلما رآه تلميذا قال : ما شاء الله كان لا قوة إلا بالله ولا معبود سواه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
فقال له : السلام عليك يا راعي .

قال له الراعي : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته أين تريدون ؟ وما أظنكم إلا هارين من الملك أنقرب بكم إلى الملك أردكم إليه فيطعمني ويسقيني وأكون عنده بالمنزلة الرفيعة .

فقال له : لا تقبل يا راعي بل نحن من وزراء الملك هربنا إلى إله السماء .
 فلما سمع الراعي ذلك رفع عينيه إلى السماء وقال يا أشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له وما جئت به إلا رسول حق يا أصحابي لي في هذه البلاد مائة سنة
 أرمي الغنم والله ما سمعت أحدا يذكر الله بلسانه إلا أتم ولكن أين تريدون ؟
 فقالوا له : نريد الهروب إلى ربنا يدفنا .

فقال لهم : أنا صاحبكم في الله ولكن اسمعوا مني أنا أكبر منكم سدا وأنا
 عرفت الله قبلكم وليس في هذه الأرض طريق أو شجرة إلا عرفت ما وأنتم غرباء
 أرجوني حتى أصرف الغنم إلى أربابها لتلا أتركها فأكلفها الذئاب ويسألني عنها
 علام الغيوب وأخذ زادي وأعود إليكم نهرب يدفنا إلى إله السماء .
 فدل له تملينا : لا سبيل إلى مضيك معنا .

فقال له : لم ذلك ؟

قال : خفتنا أن نكون عدوا من أعداء الله تعالى فخير بنا وتدل علينا
 فهدونا إلى الملك الكافر فقموس فيقتلنا أو يردنا عن عبادة الله .
 فقال لهم : كيف يكون ذلك وأما عرفت الله قبلكم فخذوا على عهد الله
 وميثاقه .

فقال له تملينا : أصرف الغنم إلى أربابها وعد إلينا ولا تدل علينا بحق
 إله السماء .

فاطلق بالغنم إلى أربابها وأخذ زاده سبعة أقراس من خبز الشعير وشيئا من
 الزبيب ورجع فلما التفت بالفتية تقدم أمامهم وهم يتبعونه فبينما هم يسرون
 إذ نظر نحو المدينة وإذا بكلب الراعي يتبعهم فقال تملينا له : انصرف عنا
 فما في صحبتك خير .

قال : ولیم بذلك ؟

قال : يا احماني ان هذا الكلب يبيع نفثه الناس علينا .

فقال لهم : اتركوه بعض منا يجرسكم اذا غم من صدركم ومن السجاع
والهوام ولا يصل اليكم احد لا يمنه فارس الا نفعه .

فقالوا : ايلينا .

قال لهم : يا احماني ان هذا الكلب له مائة سنة اذا صليت يصل مني
بصلاتي واذا دعوت الله رايته وانما عينيه الى السماء يدمو بدعائي واذا بكيت
يبكي بكائي فاتركوه بعض معنا فوالله ما رايت منه الا الخير .

فقالوا : لا ؟

قال : ارجوه وانا والله لا أنزل ذلك قطره به بالحجارة .

فلما تكاثرت عليه الحجارة قد على ذنبه ورفع عينيه الى السماء فانطق الله
لسانه فقال : اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وما جاءت به الرسل حق
يا احماني ما لكم ترجعونني بالحجارة وانا عرفت الله قبلكم لي مائة سنة اهدى
الله فانه كونى معكم وهكذا قضى بلام النور .

فنادوا اليه وحلوه على اماناتهم بالمدوة ويمسحون من وجهه الفبار ويقبلونه
بن عينية ويقولون : مرعياً بمن انعمه لنا بلام النور .

فبينما هم سائرون اذ لاح لهم ماء جارٍ وكرم مشر وأشجار عالية وهو عظيم
فقال لهم اقدم - قيل فطاطيس - : مسنا للكل والجوع اقصدوا تأكلوا من
الزاد وشرب من هذا الماء ونستظل في هذا الكون هربنا بدينا الى اله السماء
فنعطوا ذلك وتوسطوا ونامت أمهم وخلق الله ارواحهم في قناديل من نور تحت
العرش ووكل ملائكة قلبهم ذات اليمين وذات الشمال .

فلما وضع دقيوس في عبيده إلى المدية سأل من قلبها وأصحابه فقالوا له
 صعدوا ليلاً طريقاً غيبوا به على أمين القصر وهرجوا بدينهم إلى إله السماء فأرسل
 إلى الشهيد والهوامين وشرجه أعتاقهم وقال لأحمل المدية : أوكبوا الظلمى السابق
 والذئب الرقاق مراكبوا وخزجوا وأبش فيهم من يقول : لا إله إلا الله تسلم الله
 فقاموا على البحث منهم حتى وصلوا إلى باب الكهف فاجتمع المنساكر فخذ
 بأبواب الكهف .

فقال دقيوس لرجل من أعوانه : امض لتكسبها وانظر ما فعلوا وما فعل بهم
 إلههم الذي هربوا إليه فلما دخل للزجل : أي أعينهم ينظرون في اللاتسكة بقلوبهم
 ذات العين وذات الشمال وكهفهم بأبسط ذراعهم بالوصف فولى طارداً وقلوبه يفتق
 كالطائر في الهواء :

فقال له دقيوس : ما الذي جعلك ؟

فقال له : لو أعلمت عليهم لوليت منهم فلو رأيتهم رجلاً . فدخل
 عليهم فرآهم كذلك فولى لركبوا وولى رجلاً كذلك وهو يقول : ما أهل أفهوس
 ما كنت أمغبهم بالذي مغبهم به إلههم الذي هربوا إليه فلو رأيت الجهادة في
 عليهم باب الكهف .

فلما تم البناء لأوامر بأهل سورة : قولوا لإلهكم الذي هربتم إليه بفسحكم من
 وراء هذا البناء الذي بليت عليكم وسار إلى للبيعة وقام فيها ما شاء الله فلما أراد
 الله ملاكه زعم أن له في السماء شريكاً فقال لفرسه : إني أريد أن أمضى للذي في
 السماء وأكله ويكلمني تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فبعث جيشاً عظيماً وبار
 إلى الجبل وقال لأمله : امكثوا حتى أكلم شرمكي على هذا الجبل تعالى الله عن
 ذلك فلما استوى على الجبل أخرج الله إليه جراً فلما رآه قال : هل رأيتم قط مثل

هذا الجراد الذي أرسل إلى شريكى نترأكم من جوانبه حق استوى عليه فأكله.
ثم أرسل الله سبحانه عيسى بن مريم عليه السلام فآمن به أهل المدينة وكان
باب المدينة مكتوباً عليه لا إله غير دقيوس فجاء وكتب في موضعه لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن عيسى روح الله فاستخلف عيسى على المدينة ملكاً مؤمناً
ليقضى بين الناس بالحق .

ولما أراد الله إخراج أهل الكهف آية أرسل إليهم إسرائيل فنجس يده على
أجسامهم فأول من استيقظ تمليحاً فنفخ للتراب من رأسه واستيقظوا بعده . وقيل :
لما استيقظ وجد نفسه عطشان فسار إلى باب الكهف وإذا بالحجارة لما جاز عليها
من السنين تهدمت وصار إلى الدن يشرب فوجدتها قد فارت فقال : ما شاء الله
أين الماء الجارى هنا شربنا منه بالأمس والتفت إلى الكلب فظن أنه قائم فجعل
يحرك عينيه ورجع إلى أصحابه وأيقظهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء أمهاتهم
فاستيقظوا كلهم بقدره الله عز وجل . فقال لهم : كم لبثتم في كهنكم هذا ؟ قالوا :
لبثنا يوماً أو بعض يوم وقال لهم : من بنى هذا البنيان الذى تهدم وما فعل الماء
الجارى والشجر والكرم ؟ قالوا : لا علم لنا ربكم أعلم بما لبثتم فابتهوا أحدكم
بورقكم هذه إلى المدينة فلم ينظر أيها أركى طعاماً فلبثتمكم برزق منه وايقظهم
ولا يشعرون بكم أحداً فأخذ تمليحاً الدرهم وقال للراعى : خذ هذه الدرهم واذهب
بها إلى المدينة واشتر لنا خبزاً وزيتوناً أو زبيباً وارجع إلينا فقال له الراعى : أنت
تربيت في المدينة وأنت عارف بها وبأسواقها وأنا زارع لا أعرف فيها شيئاً خذ
عصاى فإذهب أنت إلى المدينة فقال : نعم فلبس ثياب الراعى وأخذ العصا بيده
وودع أصحابه ولما خرج من الكهف تفهت عليه الأرض ولم يعرف الطرقات
وتحجّر وظن أنه قائم ونظر إلى السماء وبكى بكاء شديداً وقال : يا غياث أغثنى

فبينك يا من لا يحول ولا يزول فيينا هو يلهم الله عزنا هو يراع نفى من بنى
 إسرائيل لا نهات بارضيه فقال في نفسه : هذا الرامى ما أوقفه هنا إلا دقيوس
 فقال : السلام عليك يا رامى فقال له : وعليك السلام ورحمة الله . فقال تملينا :
 لا حول ولا قوة إلا بالله اللب العظيم . فقال الرامى : نعم لا حول ولا قوة إلا بالله
 اللب العظيم . فقال تملينا : يا رامى بحق من تعبد إلا أعدتنى هل رجعت دقيوس
 من عيده أم لا ؟ قال : أنا ولدت في هذه المدينة وفيها تربيت ما سمعت قط من
 يقول دقيوس ولا أظن هذا إلا من أسماء الجن فيمضون بالله من الشيطان الرجيم
 قال تملينا : إن كان الحق ما تقول فدلنى على المدينة . فقال له : أي مدينة تريد ؟
 فقال : أنفوس . فقال له هي : أمامك فساد تملينا حتى وصل إلى بابها فإذا مكتوب
 عليه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن عيسى روح الله فقال تملينا : ما لبت
 شمرى أنا نائم أم يقظان من كتب هذا بباب المدينة والأمس كان مكتوبا عليه
 لا إله غير دقيوس فجعل يتشكر في نفسه وإذا بنى من بنى إسرائيل دخل المدينة
 فقال له : ما نفى قف فوقف فقال له : بحق من تعبد إلا ما أخبرتنى هل رجعت
 دقيوس من عيده أم لا . فقال له : في هذه المدينة ولدت وفيها تربيت وفيها قرأت
 للتوراة والإنجيل والله ما سمعت أحدا يذكر دقيوس . فقال له : إن كان الحق
 ما تقول فدلنى على سوق الخبازين فسار به إلى السوق فإذا هو سوق من رخام
 مشبك بالحريز وعلى الخبازين الثياب الحسنة وهمائم متطمين بأيديهم مراوح
 وعلى تلك الألواح الخبز وعلى الخبز متبادل الديباج فقال نفى منهم : السلام عليك
 يا خباز فقال له : وعليك السلام ورحمة الله تعالى وبركاته قال تملينا : أشهد أن
 لا إله إلا الله فقال الخباز : نعم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
 عيسى روح الله ورسوله . فقال له تملينا : سألتك بالله العظيم انظر في وجهى هل

كنت دائما أو بظن قال كيف يكون دائما وأنت تكلمني وأنت كذا. فقال له تلميذا :
 إن كان الحق ما تقول فما الذي في يدي قتال الخيول : إن يديك درهمين مخمسين .
 قتال تلميذا : إن كنت بظن فقد خذين الدرهمين وأعطني ما أتزود به أنا
 وأصحابي تركتهم جياما عطاشا فوضع الدرهمين في يد الخيول فالتكروها الخيول
 وقال : يا فتى الحق أمانة والتكذب عيانة إن كنت أصبت كنزا من كنوز
 الأرض فادع به إلى الملك وأعطه منه خمسة كما أمر به رسول الله عيسى بن مريم
 عليه السلام ويترى الله البركة في ثباتي ولا تحرم الـ كثير بالتفيل وأعلم أن إله السماء
 لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء قال له تلميذا : وحسبي إله السماء
 ما أصبت كنزا وهذه الدراهم إنما هي من ثمن كرم بقعة بالأمس في هذه المدينة
 سألتك بالله العظيم أرجع دقيوس من دونه أم لا ؟ فقال له الخيول : والله ما سمعت
 أحدا يذكر دقيوس إلا أنت ولا أعلم إلا من أسماء الجن وأنكر الناس
 الدرهمين ودخلوا إلى الملك وقال الملك : أين صاحبهما فجاء بهما تلميذا إليه
 فقال له : إن أصبت كنزا فأعطني هذه الخمس التي هو حق الله تعالى كما أمر به
 ميسى بن مريم عليه السلام قال له تلميذا : أليس بالكافر دقيوس وحق إله السماء
 ما أصبت كنزا وإنما الدرهمان من ثمن كرم بقعة بالأمس وخرجت أنا وأصحابي
 هاربين يدينا إلى إله السماء وخليقتك في عبيدك يا عدو الله أليس وزيرك تلميذا فقال
 له الملك : وكان شبيها بدقيوس : أنا مؤمن ولست بدقيوس لا تخاف بالله كان
 يا فتى خرجت من هذه المدينة ؟ فقال له : بالأمس فقال : هل تركت فيها دارا
 وأولادا فقال : نعم ولي في الدار ملامات فقال له : ما ملاماتك ؟ قال : فيها
 مجلس من الرخام وعلى بابها سارية من الرخام الأبيض ولي تحتها كنز من الدراهم
 فقال له الملك : إن كان الحق ما تقول فأرنا دارك فقال له : حرأنت ومن مملكتك

من أهل المدينة فسار تلميذا على الناس في تلك الحرام الشجر فاستكر الطريق وتميزت عليه وتغير ونظر نظرة إلى السماء وقال تلميذا: اسم السبعين من إليك يا سيدي التلميذ أن تهتم لي رجلا من جيراني يجمع بيني وبين داري فلا يلا أمرنا ولا يفضحني على رؤوس الخلائق يا سيدي لا يخلف الوعد فلم يزل يدعو والملائكة يؤمنون على دعائه فأمر الله جبريل أن يحيط لمبدي تلميذا في صفة رجل من جيرانه فبذل فقال: الله أكبر هذا جارني فلان دلي على داري فذله عليها فقال: الله أكبر هذه داري وحق إله السماء تحمد الله وأنتى عليه وصعد جبريل إلى السماء ودنا تلميذا من الباب فقرع الباب فأجابه شيخ كبير عليه جبة صوف قد أعتى ظهره من الكبر فقال له: السلام عليك يا شيخ ما الذي أدخلك داري؟ فقال له الشيخ: وحق إله السماء ما هذه الدار إلا داري وزنتها عن أبي وأبي عن جدي فقال له تلميذا: كذبت يا شيخ الدار داري وأنا يفتها ولي فيها علامات فقال له: ما علامتك؟ فقال: إن فيها مجلسا من الرخام الأحمر وفي بابه سارية من الرخام الأسود وتحت السارية لوح من الرخام الأبيض وعمده دهاج من القصب البيضاء فلما سمع الشيخ الأمانة قال لأخيه: تأوليني الكتاب الذي في الثاويث فأخرجت إليه الكتاب وفيه سطور مكتوبة بالذهب الأحمر قيمة جنة أهل السمك وقصصهم فلم يزل الشيخ ينظر في الكتاب وينظر في وجه تلميذا وعينه تدف بالدموع فلم يزل يقرأ ويبكى حتى بلغت دموعه الأرض فقال له تلميذا: ما يبكيك شيخ؟ فقال الشيخ: أنت تلميذا؟ فقال له: نعم. فقال له: أنت والله جدي ولكن ما فعل أصحابك المؤمنون؟ فقال: تركتهم في السمك حيا عا عطاء فبادر إليهم الشيخ وماتته وقبله بين عينيه وضمه إلى صدره وهو يبكي فقال الشيخ: أها لك

ترجل من جوارك هذه آية يوسف الله إليهم في الدنيا لم نسمع مثليها في الأولين هذا جدي
وهو عليهما أحد الفتوة الذين قبض الله أرواحهم وعلقت في قياديل من نور نبت
ساق طبرش وهؤلاء الذين أنطق الله إليهم للمكاتب بالحق والإيمان وهؤلاء
الذين هربوا بدينهم لإله السماء في زمان دقيوس ولقد رآه الله أرواحهم في
أجسادهم وبشهم إلينا آية فلما سمع الملك ذلك ترجل عن جواده وترجل الوزراء
كلهم وبادر الملك إلهه وعائنه وضحه إلى صدره وقبّله بين عهنيه وأقبل الناس كلهم
يسلمون عليه ومن كان على غير طهارة تطهر ومن كان على غير وضوء توضأ فلم
يزالوا يسلمون عليه ويبكون حتى سلم عليه كل من كان في المدينة وقال له الشيخ :
يا تلميذا كم لك من خروجك من هذه المدينة؟ فقال له : يوم أو بعض يوم فقال له :
لك والله ثلاثمائة سنة وتسع ثم قال له الشيخ : اجمع بيننا وبين أصحابك المؤمنين فسي
أن يدعوا لنا نخرج تلميذا واللك يقبضه والناس من وراء الملك ولما وصلوا إلى
باب الكهف قال تلميذا : ففوا مكانكم فإن أصحابي يظنون أن الملك دقيوس حي
فوقنعون فإني أدخل عليهم وأشيرهم بعيسى بن مريم عليه السلام وولاء الكافر
دقيوس فتطمئن قلوبهم فيخرجون إليكم فوقفوا ودخل تلميذا على أصحابه فقال :
السلام عليكم .

فقالوا له : وعليك السلام يا حبيبنا أبطأت عنا وروعتنا .

فقال لهم : كم لهنتم في كهفكم؟

قالوا : لهنذا يوما أو بعض يوم .

قال : لهنتم والله ثلاثمائة سنة وتسع وقد مات الكافر دقيوس وبث الله

عيسى بن مريم عليه السلام بعده وآمن أهل المدينة بإله السماء وهؤلاء إخوانكم

المؤمنون يريدون أن تخرجوا إليهم وتدعوا لهم أن لا يذبهم الله بشيء من عذابه
فأريدون الخروج ؟

فقالوا : نعم ، فليعلمنا أمرنا برأيك الجليل .

قال : أنسمعون مني إن قلت لكم شيئا ؟

فقالوا : نعم ، لولا أنت فما عزنا الله عز وجل ؟

قال لهم : إني خفيت أن تخرجوا إليهم فيقول بعضهم لبعض : هؤلاء النبية
وبشرونا إليكم بالأسباع ، هؤلاء المؤمنون ، هؤلاء الذين هم بول فيبينهم ، هؤلاء
الذين أنطق الله لهم الكتاب ، هؤلاء الذين قبض الله أرواحهم فقلت في قتلهم
من وراء أي الظلم ، هؤلاء الذين أنطقوا في قتلهم ثلاثين سنة ، ولما عدوا نسا
فإذا سمعتم ذلك كله أدر كنتم العجب فإذ عجزتم بأعنتكم العبد الضالكم فإني
بشيء أقول الله عز وجل الذي هم عليه الجليل فإني الحق الصبور .

فقالوا له : صدقت والله يا عيسى يا تلميذا فما ترى من الرأي ؟

قال لهم : يخاف الله تعالى أن يخرجوا إلى قتلهم .

فقالوا له : يا عيسى يا تلميذا ان يبق لنا أمرا أكابره فامضوا ويدخلوا الجنة
سررا وهو القادر على ما يشاء فمجدوا الله تعالى يدعون الله ويكونون والملائكة
يؤمنون على عظمهم حتى قبل الله دعاءهم وقبض أرواحهم أي ألامهم بقوتها
طال الحال على الملك أراد الدخول عليهم فخرجت عليهم من الكهف ربح
عاصف ففرقتهم .

وذكر في عرض القرآن أن أصحاب التكوي بين عيسى ومحمد صلى الله

عليهما وسلم وأن قوما من الجن الذين ظنوا أنهم : فبألت عن خصال إن

أخبرتنا فلما أن الإسلام حق وأن محمدا نبي .

٧

فقال : سلوا .

فقالوا : ماذا أقوال السموات ومفاتيحها ، وقبر مشى ، ومغذّر قومه ليس من
النفقين ، وخسة أحياء في الأرض لم يكونوا في الأرحام ، وما يقول الديك والنرس
والصفدع والحمار والتمبر ؟

فكس عمر رأسه فقال : لا عيب بعمر إذ سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم .
فوثبوا فقالوا : نشهد أن الإسلام باطل ومحمد غير نبي .

فقال سلمان : ففوا قليلا وتوجه إلى علي : أنت لكل مضلة أغث
الإسلام .

قال : وما ذاك ؟ فأخبره فأقبل يرسل في بررة رسول الله ﷺ فاعتنقه عمر
فقال : أنت لكل مضلة وشدة .

فقال علي : لليهود : سلوا فإن النبي ﷺ على ألف باب من العلم فأخبركم
بشرط أن تؤمنوا .

فقالوا : نعم فمد لهم عن ذلك فقال : أقوال السموات للشرك لأن المبدأ لا يتبل
عنه منه عمل ومفاتيحها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، والقبر المائى
حوت يونس مشى به سبعة أبحر ، ومغذّر قومه من غير النفقين نملة سليمان
قالت : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ، والخسة الذين لم يكونوا في الرحم :
آدم وخواء وناقصة صالح وكبير إسماعيل وعصى موسى عليهم السلام . ويقول
الدراج في صياحه : الرحمن على العرش استوى ، والديك : اذكروا الله يا غافلين
والنرس : انصر عبادك المؤمنين على الكافرين ، والحمار : امن الله العشار ،
والصفدع : سبحان ربى المعبود المسيح في الحج البحار ، والحمار : اللهم انى مبغض
محمد وآل محمد .

وقال اثنان : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

وقال الثالث : بقيت لي خصة هي قوم ماتوا ثلاثمائة سنة ونيسا ثم

أحياهم الله .

فقال علي : هم أصحاب الكهف وقد أنزل الله تعالى قرآنا فيهم فإن شئت

قرأتها عليك .

وقال : ما أكثر ما سمعت قرآنكم إن كنت عالمهم فأخبرني عن أسماءهم

وأسماء آبائهم ومدنيتهم وملكنهم وكلبهم وجملهم وكهفهم وأحوالهم .

فقال : حدثني رسول الله ﷺ أنه كان بأرض دومة جدينة يقال لها :

أنسوس ويقال لها في الإسلام طرخوس فملكها صالح فحسات والمشر أسرم

فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له : دقوانوس جبار كافر فأقبل بمسكبه

حتى أخذها دار مملكته وبني فيها قصرا .

فقال : صدقة لي .

قال : فرسخ طولاً وقرسخ عرضاً من الرخام فيه أربعة آلاف أسطوانة

من الذهب وألف قنديل من الذهب بسلاسل فضة ومزبر طوله ثمانون ذراعاً

وعرضه أربعون فرسج بالحومز ومن يمين السرير ثمانون كرسيًا من الذهب

يجلس عليها بطارقه ومن شماله مثلها يجلس عليها قضائمه ومراققه ويجلس على

السرير ويضع التاج على رأسه .

قال اليهودي : ثم كان تاجه ؟

قال : من الذهب له سبعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضيء كما يضيء الصباح

في الليلة الظلماء واتخذ حسين ملاماً من أبناء البطارقة فنقطهم بمناطق الديباج

الأحمر ولهم مزارويلات من النر الأحمر وتزجهم ومطجهم وأعطاهم أعمدة الذهب

وأقامهم على رأسه واصطنع سقة غلمان من أولاد البطارقة فاتخذهم وزراء فما يقطع
أشراً دونهم وأقام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره .

فقال : أخبزي من الثلاثة عن يمينه والثلثة عن يساره فأخبره كما سرفي
الآية . وإذا جلس في صحن داره واجتمع للناس عنده دخل ثلاثة أئمة في يدي
أحدهم جام من الذهب مملوء مسكاً وفي يده الآخر جام من النضة مملوء من ماء الورد
وعلى يده الثالث طائر فيقع في جام الورد فيتمرغ فيه فيحمل ما في الجام بريشه ثم
يصيح به الثالث ثلاث مرات فيطير فيومع في جام المسك فيتمرغ فيه فيحمل ما فيه
فيطير فيومع على تاج الملك فيتمغن ريشه عليه فتكث الملك كذلك ثلاثين سنة
من غير أن يصيبه هذاع ولا وجع ولا حى ولا لعاب ولا مخاط فأعجب بنفسه
ومنا فطنى وتجر وادعى الربوبية ودعا وجوه قومه . فن أجابه أعطاه وخلع عليه
ومن لم يتابعه قتله وأقام يعبد من دون الله وبينما هو على سريره والتاج على رأسه
جاءه بعض بطارقه فأخبره أن عساكر القرس غشيتة فاعتم حتى سقط عن السرير
وسقط التاج عن رأسه ففكر تمليحاً أن دقيوس لو كان إنما لما حزن ولما كان
ينام وبغفوط وكان النقية الشفة يلهثون كل يوم عند أحدهم وكان يوم تمليحاً
فأكلوا وشربوا إلا تمليحاً فقالوا : مالك ؟

فقال : يا إخوتي وقع في قلبى ما منع عن ذلك وعن النوم .

قالوا : ما هو ؟

قال : تفكرت من رفع السماء سقماً محفوظاً بلا حلاقة ولا دعامة وأجسرى
شمسها وقرها وزينها بالمعجوم وبسط الأرض وربطها بالجبال ومن أخرجنى من
البطن جدينا وغذائى وربائى فملت أن فاعل ذلك غير دقيوس .
فقبّلوا رجله وقالوا : يا تمليحاً قد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا .

قال : يا اخوتي ما اجد حيلة إلا بطرب إن . لا تأسوا ، والأوهى .
 فقالوا : نعم . فباع ثمرنا من جنان بثلاثة دراهم قصرها وتركوا خيلهم ولنا
 صاروا إلى ثلاثة أميال من المدينة قال لهم : يا اخوتاه ذهب . لا الدنيا فامشوا
 على أرجلكم لعل الله يجعل لکم بحرجا وتركوا خيلهم ومشوا سبعة فراسخ
 فسكات أرجلهم ففكر دما لأنهم لا يفتادون ذلك فاستقبلهم راع فقالوا : يا راعي
 أعطاك شربة من ماء وابن ٤

قال : عطيت ما نخبون ولكنني أرى وجوهكم وجوه الذئب وما أظن لكم
 إلا هربتم فأخبروني بصدقتكم فقالوا : دخلنا في دين لا يعمل فيه الكلاب فينجينا
 الصدق فآخبروه فقبل أرجلهم وقال : وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا أريد
 الغنم لأعلمها فوقوا الله يردها لأعلمها فردوا فرجع إصم وتبسم كلبه .
 قال اليهودي : ما كان لون الكلب ؟

قال : حدثني عيسى رسول الله ﷺ أنه أتاني بسواد وأن اسمه قطير .
 فظروا إلى الكلب فقال بعضهم : نخاف أن يفتننا بفتنه فظردوه
 بالحجارة فأقنى وقال : يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوك وأتقرب إلى الله بذلك فتركوه ومضوا
 وصعد الراعي جبلا واشط بهم على كهف .

قال اليهودي : ما اسم الجبل ؟

قال : ستلوس ، واسم الكهف : الكثير . وقيل : حرم وإذا بقى الكهف
 أشجار مثمرة وعين ماء ماكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا
 إلى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يده عليه وأمر ملك الموت

بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ وَوَكُلٍ بِكُلِّ وَاحِدٍ مُلْكَيْنِ يَهْلِكُهُنَّ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ إِلَى ذَاتِ الشَّامِلِ
وَمِنْ ذَاتِ الشَّامِلِ إِلَى ذَاتِ الْيَمِينِ .

وَذَلِكَ الْمَرْوَبُ كَانَ وَدَقُوسٌ فِي عَمُودِهِ وَبِالْمَارِجِ مِنْ عَمُودِهِ سَأَلَ مِنَ الْفَتْيَةِ
فَقِيلَ : اتَّخَذُوا إِلَهًا غَيْرَكَ وَهَرَبُوا مِنْكَ فَرَكِبَ فِي ثَمَانِينَ أَلْفَ فَارِسٍ يَقْتُونُ أَثَرَهُمْ
حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ فِي النَّارِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُعَذِّبَهُمْ مَا عَذَّبْتُهُمْ بِأَكْثَرِ
مِمَّا عَذَّبُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ فَاتَّبَعُونِي بِالْهَيْئَتَيْنِ فَرَدَمَ عَلَيْهِمْ بَابَ الْكَيْفِ بِالرَّصَاصِ
وَالْحِجَارَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَرُّوا لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا لِلْإِلَهِمْ الَّذِي فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْرِجَهُمْ
إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ وَرَدَّ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ عَلَى تَعَامٍ ثَلَاثِينَ وَتَسْعَ وَقَدِ بَقِيَ لِلشَّمْسِ قَلِيلٌ
أَنْ تَتَوَبَّ وَتَقَالَ : لَقَدْ خَفَلْنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ قَوْمًا إِلَى الْمَاءِ فَإِنْ
لَعِينُ غَارَتْ وَالْأَحْبَارُ تَوَيْبَتُ فَأَرَادُوا الطَّعَامَ بِالْوَرَقِ مِنَ الْمَدِينَةِ .

فَقَالَ تَمْلِيخَا : لَا يَأْتِيكُمْ بِهِ غَدِي فَأَبْدَلُ نَهَابِي بِثِيَابِ الرَّامِي وَأَخْذَ عَمِي
الرَّامِي فِي يَدِهِ وَأَنْكَرَ الطَّرِيقَ وَوَجَدَ بِيَسَابِ الْمَدِينَةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَيْسَى رُوحُ
اللَّهِ فَطَقَ يَنْظُرَ وَيَسْمَعُ مَعِينُهُ وَيَقُولُ : أَرَأَيْتُمْ نَافِعًا وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَصَرَ بِأَقْوَامٍ يَقْرَأُونَ
الْإِنْجِيلَ فَاسْتَقْبَلَهُ أَقْوَامٌ لَا يَمْرُفُهُمْ وَدَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ يَهْلِيزُ : مَا اسْمُ مَدِينَتِكُمْ ؟

فَقَالَ : أَفْسُوسُ .

قَالَ : مَا اسْمُ مُلْكِكُمْ ؟

قَالَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

قَالَ : إِنْ صَلَقْتُ نَفْسِي أَسْرَى عَجِبَ إِذْ نَعَى لِي بِهَذِهِ الدَّرَاهِمِ طَعَامًا مَا نَجِبَ

الْخِلَازَ مِنْهَا .

قَالَ الْيَهُودِيُّ : يَا سَلْحَى كَمْ وَزَنَ كُلِّ مِنْهَا ؟

قال : حدثني حبيب محمد عليه السلام أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلاثون حروم .

وقال الخباز : أصبت كنزا فأعطنا نصفه وإلا ذهبت بك إلى الله .
 فقال : ما أصبت كنزا إنما ذلك من ثمن تمر بعطه بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وأهلها يمدنون دقيانوس الملك .
 فغضب الخباز وقال : ألا ترضى أنك أصبت كنزا ولا تعطنا بعضه حتى تذكر رجلا جبارا يدي الرنوية قد مات منذ ثلاث مائة سنة أنشوردي فلهبه واجتمع الناس عليه فأتى به إلى الله وكان عادلا عادلا فقال : ماله ؟
 قال : أصاب كنزا .

فقال الله : لا تخف فإن بيضا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز إلا خسا فادفع إلينا خمس هذا الكنز وأعطنا سائلا .
 فقال : أيها الله ثبت في أمري ما أصبت كنزا وأنا من أهل هذه المدينة .

قال : أنت من أهلها ؟

قال : نعم .

قال : أعترف فيها أحدا ؟

قال : نعم .

قال : سم نفسي له نبحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا .
 قلوا : يا هذا ما نعرف هذه الأسماء وليست أسماء أهل زماننا هل لك في هذه

المدينة دار ؟

قال : نعم أيها الملك اجث مني فبث منه فذهب والناس معه حتى أتى بهم إلى أرفع دار في المدينة يقال : هذه داري وقوم الباب فخرج شيخ هرم استرخى حاجباه من الكبر فزعا مرعوبا وقال : ما لكم ؟

فقال رسول الله : إن هذا الفتى يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ ولففت إلى تلميذا وقال : ما اسمك ؟

قال : اسمي تلميذا بن فسطين .

قال : أعِدْ عليّ ما عاد عليه فانكب على رجليه ويديه يقبلن وقال : هذا جدى ورب المسيح وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك إلى ملك السموات والأرض وقد أخبرنا عيسى بعصمهم وأنهم سيحيون .

فاتبع إلى ذلك الملك فركب وحضر فنزل وحمل تلميذا على عاتقه وجعل الناس يقبلون يديه ورجليه وقالوا : ما فعل أصحابك ؟

فأخبر أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان : مسلم وكافر نصراني فركبا في أصحابهما فلما صارا قريبا من الكهف قال لهم : يا قوم إني أخاف أن يحبس أصحابي وقع حوافر الخيل وحاصلة الأجرم والسلاح فيظنوا أن دقيانوس قد غشهم قفوا قليلا حتى أدخل عليهم فأخبرهم فوقفوا ودخل فاعقنقوه وقالوا : الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس .

فقل : دعوني من دقيانوس كم لبثتم ؟

قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم .

قال : بل لبثتم ثلاثمائة وتسما وقد مات دقيانوس ، وانقضى قرن بعد قرن ، وآمن أهل المدينة وقد جاءوكم .

فقالوا : تلمذنا أتريد أن نصيرنا فتنة للعالمين .

قال: فبما تريدون ؟

قالوا : نرفع يديك وترفع أيدينا قرفعوا ، وقولوا : اللهم بحق ما أوتينا من العجايب في أنفسنا إلا ما قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فأبهر الله ملك الموت بقبض أرواحهم يعني روح اللقطة ، ولمس باب الكهف فأقبل الملك كان بطوفان حول الكهف سبعة أيام لا يجدان بابا ولا منفذا ولا مسلكا فأيقنا بصنع الله الكريم ، وأن حالهم عيرة أرانا الله إياها ،

قال علي : هذا ما كان من نصبتهم يا يهودى سألتك بالله العظيم أوافق ما في

توراتكم ؟

قاله : ما زدت حرقا ولا تقبعت حرقا يا أبا الحسن لا تسمي يهوديا فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمدا رسول الله ﷺ ، وأنت عالم مذهب الأمة .

وعن عبيد بن عمر : كان أصحاب الكهف ثمانية بطريقين مسافرين ذوي ذنائب وكان معهم كلب صديقهم فخرجوا في عيد لم يعظم في زمنهم وركبوا وأخرجوا أنفسهم معهم . وقذف الله تعالى في قلوبهم الإيمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانهم فجلس واحد منهم تحت شجرة فجاهم آخر ثم جاءوا واحدا بعد واحد . فقال بعضهم لبعض : ما جمعكم ؟ وقال آخرون : بل ما جمعكم ؟ ثم قالوا : ليخرج كل فتية فيمتلوا ثم يفتش كل بيتكم إلى صاحبه أمره فذاقنا . ثم تسكبا فذكر كل منهما أمره لصاحبه فأنفلا مبتهلين إلى صاحبهما فذلا : قد اتفقنا على أمر واحد ، إذا جمعيما على الإيمان وإذا الكهف من الجبل قريب نقل بعضهم : « ماؤوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا » الآية . فدخلوا يكلمهم فقاموا ثلاث مائة سنة وأسماء فقدم قومهم فطلبوهم فأعنى الله عليهم آثارهم وكفهم فلم يقدروا فكعبوا

أسماء وأنسابهم في لوح وأنهم تقدموا شجر كذا سنة كذا في مملكة فلان
ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا : قد يكون لهم شأن .

وعن جعفر الباقري كان : أصحاب الكهف ضيافة .

وعن وهب بن منبه : جاء حواري من أصحاب عيسى عليه السلام إلى مدينة
أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له : إن على بابها سمنا لا يدخلها أحد إلا
سجد له فذكره أن يدخلها فأتى حماما قربا منها فمكان يعمل لصاحبه بالأجره
فراى صاحبه البركة فأخبره بأمر الله وتبه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر
السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على هيئته واشترط
على صاحب الحمام أنه لا يعمل في الليل بل يصلى وأتى ابن الملك بأمره فدخل الحمام
فميره الحواري وقال : أنت ابن الملك وتدخل الحمام بهذه المرأة فاستعجب فذهب
ورجع مرة أخرى وقال له مثل ذلك فسه ونهره ولم يلتفت إليه حتى دخلا معا
فأتا بقالوا : إن صاحب الحمام قتل ابنك فآلمه فلم يقدر عليه فسأل عن يصحبه
فدخل له الفتية فآلمهم وخرجوا من المدينة ففروا بصاحب لهم في ذرع وهو على
إيمانهم فذكروا لهم أنهم سموا فأنطلق معهم كلب حتى آوام الليل إلى
الكهف فدخلوه فقالوا : بقيت فيه الآية فضرب الله تعالى على آذانهم فخرج
الملك وأصحابه يقيسونهم حتى وصلوا إلى الكهف فكل من أراد الدخول رعب
فلم يطق فقال قائل : ألسنت لو قدرت عليهم قتلهم ؟

قال : بلا .

قال : فابن عليهم الكهف وأتركهم فيه فيمتوتوا عطشا وجوعا فقبل ذلك ثم
إن راعيا أدركه الطر عند الكهف فقال : لو فتحت وأدخلت غنمي فيه من الطر
فما لجه حتى فتحه ورد الله سبحانه وتعالى إلى أرواحهم من الغداة حين أصبحوا .

وذكر ابن إسحاق أنه لما عظم خطايا أهل الإنجيل طفت الملوك وعبدوا الأصنام وذبحوا لها وفيهم بقايا من دين المسيح معسكرين عبادة الله وتوجيهه تعالى وكان من ملوك الروم ملك يهيى دقيانوس عبد الأصنام وذبح لها وقتل من خالفه وينزل في قرى الروم فلا يترك قرية زبلما أحداً إلا قتله في دينه حتى عبد الأصنام أو يقتله . . .

ونزل أفسوس واستخفى منه أهل الإيمان وهربوا في كل جهة فآخذ شُرطاً من الكفار يقبضونهم فيحضرونهم إلى دقيانوس فيخرجهم بين الشرك والقتل فمنهم من يقبضه على عبادة الأصنام ومنهم من يقتل ويقطع ويحمل قطعه على سور المدينة وأجوابها تمام عناية نصر واشتغلوا بالصوم والصلاة والصدقة والتسبيح والذكر وكانوا من أشراط الروم ويكفوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وجعلوا يقولون : ربنا رب السموات والأرض لن ندمعوا من دونه إلهنا قد قلنا إذا شغلنا اكتشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة . . .

فدخل عليهم الشرط سجداً فأكبر متضرعين إلى الله عز وجل قالوا : ما خلفكم عن أمر الله ؟ فأخبروا الملك فبعث إليهم بأوتى بهم تقيض أعينهم مغفرة وجوهم يغيرهم أن يذبحوا للأصنام أو يقتلوا قال مكسليها وهو أكبرهم سفا : إنا لنألهما ملائكة السموات والأرض مظلمة لن ندمعوا من دونه إلهنا أبدأه التمجيد والتكبير من أنفسنا خالصة أبدأ إلهنا نهد وإياه نسال النجاة والخير فاصنع ما يدا لك وقال أصحابه كذلك . . .

فأمر بنزع ثيابهم وحلّهم من ذهب وفضة وقال : سأفرغ لكم وأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمتنى أن أجعل ذلك إلا أني أراكم شهاباً فصبحت لكم لعلكم تذكرون وترجعون إلى عقولكم فأخرجهم من عنده وانطلق

دقيانوس إلى مدينة قريبة لأسر وتشاوروا واتفقوا أن يأخذوا من بيوت آبائهم
ويتصدقوا ويتزودوا ويبادروا الخروج فانطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل
يقال له بنجلانس يعبثون الله فيه حتى إذا رجع دقيانوس أتوه ليفعل ما بدا له
فعلوا وتبعهم كلب كان لهم. وقال كلب : مروا بقلب فتبهمم فغزوه فماد ففعلوا
ذلك مراراً فقال لهم الكلب : ما تريدون مني لا تخشوا مني أنا أحب أحباب الله
عز وجل فذا مروا أحرسكم

والذي عن ابن عباس : أنهم خرجوا من دقيانوس وتبعهم كلب الراعي كما مر
وأهم سبعة . قال ابن إسحاق : فذهبوا فيه مشتغلين بالصلاة والصيام والتسبيح
والتهميد ابتغاء وجه الله تعالى فجعلوا تلميذا يبتاع لهم من المدينة أرزاقهم ضرراً
وكان أجلمهم وأجلهم إذا رأوا دخول المدينة لبس ثياباً رقيقة كشياح المساكين
فيشتري ظهراً وشراياً ويتحسس لهم الأخبار ثم يرجع دقيانوس المدينة وأسرعظاء
أهلها أن يذبحوا لاطواغيت ففرغ من ذلك أهل الإيمان وتلميذا في المدينة يشتري
الطعام فرجع بطعام قليل يبكي وقال لهم : إن الجبار قد دخل المدينة وأهم قد ذكروا
ففرغوا وقاموا يدعون الله ويتضرعون ويعوذون من الفتنة .

فقال لهم تلميذا : يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم
فرموا رؤوسهم وأعوهم تفيض وذلك عند الغروب ثم جلسوا يتحدثون ويذكر
بعضهم بعضاً فضرب الله على آذانهم في الكهف وعلى أذني كلهم في الوعيد
ونفقتهم عند رؤوسهم .

فتقدم دقيانوس من الغد فلم يجدهم فقال لبعض عطاء المدينة : لقد ساءني شأن
هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا أن بي غضباً عليهم لجهلهم أسرى ما كنت
لأجهل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتي .

يقال عظاما للبدنة فما اكتمت محقق أن ترجم قوما فجودة مودة ومصاة قد
 اجلس لهم ارجلهم في النار لغير الكهف لغيره ولا يلبسوا ذلك غضب غضبا
 جدينا ثم ارسل الى بلقيس فأتى بهم فقال : اخبروني عن ايمانكم المدة
 الذين عصوني :

فقالوا أما نحن فإيمانك فلا نخلفا بقوم من قديمهم فهو ايماننا فاعلمكموها
 فدا سواك للبدنة ثم انطلقوا الى جبل ووجدوا به سبعين نخل من ثمرها فجمعوا ثمرها
 بسد الكهف عليهم ليموتوا جوعا وعطشا فكيف الى الكهف الذي اخبروه قولا لهم
 بظنهم ليقاطعوا بطونهم ما يصنع بهم ثم إن في غنق في بيت الملك يكتمان ايمانهم ما :
 يحدوسون دونهم كقوا اراهم على انهم لهم واخبارهم في الجحيم من رحاص وجلاء
 في قايوت من نخل وجلاء القايوت في النخل لعل الله يفتح عليهم قبل يوم القيامة
 فيعلم الظاهر خبيرهم :

وتعلمت ملوك وملك رجل صالح يقال له : زيد ليس غانما وسبعين سنة فم زب
 الداس في ملكه فكانوا احزابا مكذبا بلذبت ومصدقا في كبر ذلك عليه وتضرع
 الى الله لما رأى أهل الباطل يفتخرون على أهل الحق ويقولون : انما تهبت الأرواح
 فارسل الى من يظن بهم خيرا وأنهم أئمة الخلق فكذبوا فادخل بيته وأغلق بابه
 وليس منكما وجل تحته رماد فجلس عليه فغاب ليله ونهاره بضرع الى الله
 تعالى ويبكي ويقول : ربى قد ترى اختلاف هؤلاء فابست لهم آية تبين لهم :

ثم إن الله الرحمن الرحيم أراد اظهار الآيات لعماده فألقى في نفسه الرأس أن يهدم
 البنيان الذي على فم الكهف ويبقى به حظيرة انعمه واستأجر غلامين قنزا الحجارة
 وهما الحظيرة ونفعا باب الكهف وأحيا الله النجوى فجلسوا فروح من محشرة
 وجوههم طاعة لغيرهم مسلما بعضهم على بعض فكانهم ايتهم فظفروا من ساعدهم

التي بـتة قلوبهم شها إذا أصبغوا من ليلتهم ثم قلموا إلى الصلاة فصلوا يكادتهم ولا
يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء يشكروه. ويرى أن دقيانوس في طلبهم فلما
قضوا صلاتهم قالوا للتلميذا صاحب نفقهم : ما قال للناس فينا أمس هذا الجبار ؟

فقال : قد التستم لتذهبوا لاطوا غيت . فقال لهم مكسليتنا : لا إخوانه اعدوا أنتمكم لإفرو الله فلا تكفروا بدين إيمانكم
إذا دعاكم قدرو الله . ثم قالوا للتلميذا : انطلق إلى المدينة لتسمع ما يقال لنا بها وابتع
لنا طعاما أكثر من طعام أمس فقد أصبحنا جوعا .

فانطلق التلميذا بورتهم لابتع شيا ليراعي في باب الكهف : ووجد بناء
على باب الكهف منه دما فنجب ثم صر ولم يبال حتى وصل إلى باب المدينة مستخفيا
عن أن يراه أحد من أهلها فهرقه فيظن أن دقيانوس حى ورأى على الباب لا إله
إلا الله عيسى روح الله وجعل ينظر إليه مستخفيا عينا وشمالا ومضى إلى باب
آخر فرأى مثل ذلك فغفل فظن أنه أنسوس ولا يرى إلا من
لا يعرف ويحفل إليه أنه حيران .

ثم رجع إلى الباب الذى أتى منه فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول : وأليت
شمرى ما هذا غشية أمس كان المسلمين يحقون هذه العلامة لعل نائم فجعل كسائه
على رأسه ومشى في أسواقها وسمع الناس يحلقون ويوسى بن صرم فزاد تحيرا كيف
يظاير ذكر عيسى وكان بالأمس يخفى فقال : أهاها ليست أنسوس فلقى فتى فقال له :
ما اسم هذه المدينة ؟

فقال : أنسوس . فقال : لعل تبي عيتوتها والله يحق لى أن أسرع الخروج قبل أن يصيدني فيها
شر فندنا إلى الذين يبيعون الطعام فقال لواحد : بيع لى طعاما بهذه الورق فأخذها

فمجب منها فناولها الآخر فجعلوا يتطارحونها من رجل لآخر فتعجبون وقال بعضهم لبعض : أصاب كنزاً قديماً فرعد خوفاً وظن أنهم قد فطنوا به وأنهم يريدون أن يذهبوا به إلى الملك فيقانون . واجتمعوا بجماعتهم فقال : انصبروا حتى أمسكنم ورقاً لا حاجة لي بعاماكم .

فقالوا : من أنت لقد وجدت كنزاً لأولين شاركك فيه وإلا سلماك السلطان يقتلك .

فقال : والله أتد وقتي في كل شيء كنت أحذر منه . فقالوا له : والله لا نستطيع أن نكلمك ولا نجدت ولا يدري عما يقول فطرحوا كساءه في عنقه وسحبوه في سلك المدينة حتى سمع به من فيها وكل من رآه قال : لا أعرفه في المدينة وهو متضد أن أباه وإخوته في المدينة يستقون . إذا سمعوا به وكانوا من عطاء المدينة .

فبينما هو قائم كالخيلان منتظر لهم جروهم للمكي المدينة رجلين صالحين : أدريس وأطيرس وظن أنه مجرود إلى فيقانون فكان يلتفت يمناً وشمالاً ويكي ويسخرون منه كالجنون . ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السماء وإله الأرض أمرغ على اليوم صبراً وأولج مني روحاً منك تؤيدني بها حين هذا الجبار وإنا كنا قد توتقنا على الإيمان بالله ولا نشرك به شيئاً ولا نغرق في حياة ولا موت فلما انتهى إليهما ولا يرى فيقانون سكن وأخذ الورق وعيها منها فقالا : أين الكنز الذي وجدت يا فتى ؟

فقال : ما وجدت كنزاً ولكنه ورق أبي ونش هذه المدينة ولكن والله ما أدري ما شأنى .

فقال له أحدهما : مَنْ أنت ؟

فقال : أنا ، أنا .

فقال أحدهما : أنت كذاب لا نخبرنا بالحق فيكس رأسه للأرض .

فقال بعض من حوله : هذا رجل مجنون .

وقال بعض : يحمق نفسه عمداً لينقلب منكم فنظر إليه أحدهما نظراً شديداً :
أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها وله
أكثر من ثلاث مائة سنة وأنت غلام شاب أتظن أنك تأفكنا وتسخر منا ونحن
شيوخ شُحط وحولك سراة المدينة وولاتها وخزائنها بأيدينا وليس عندنا من هذا
الضرب درهم ولا دينار فوثقك حتى تعترف .

فقال لهم : أخبروني عما أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم ما عندي .

فقالوا : أسأل لا نكتمك شيئاً .

فقال : ما فعل بالملك دقيانوس ؟

فقالوا : لا نعرف على الأرض دقيانوس هو ملك هلك في الزمان الأدل وله
زمان طويل فهلك بعده قرون .

فقال : إني لحران وما يصدقني أحد من الناس لقد كُفنا فية أكرهنا لذلك
على عبادة الأصنام واللذيق لها فهربنا عشية أمس فأتينا الكهف الذي في جبل
بنجلوس فبقينا فيه فلما انتبهنا خرجت لأشترى طعاماً لأصحابي وأحسب الأخهار ،
فانطلقوا إلى الكهف هناك أصحابي .

فلما سمع أريوس قال : لعل هذه آية من آيات الله لكم على يد هذا الفق
فانطلقوا بنا معه حتى برزنا أصحابه فانطلق أريوس وأطيوس وأهل المدينة صغيراً
وكبيراً إلى الكهف ؛ فظن أصحابه أنه ذهبوا به إلى دقيانوس ليطهه عنهم عن

العادة فهم يتوقعون نسمروا أصوات الحوافر والصلاة على الخيل فظنوا أن ذلك
رسل دقيانوس فناموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وثأصوا وقالوا :
انطلقوا إلى تملينا فإنه الآن بين يدي دقيانوس ينتظرنا فإذا أريوس وأصحابه
بباب الكهف فدخل تملينا يبكي فبكوا فسالوه قص عليهم الخبر ففروا أنهم
كانوا نياما ذلك الزمان الطويل أبغضهم الله ليكونوا الآية على قسام الساعة
واللهث فدخل أريوس فرأى ثابوت نحاس مختوما بخاتم مضى ودعا جماعة من علماء
للمدينة وأمر بفتحه فوجد لوحين من رصاص مكتوباً فيهما : مكسلينا ومكسلينا
وتملينا وأرطوس وكطونين وديرويس وديرويس ومطيريس .

وروي أن أسيما تملينا وميلوتا ومويرا وأريوس وفواس وسرطوش
ونطلايش كانوا فتيمة هربوا من ملكهم دقيانوس فجدبهم إلى هذا الكهف
فسد عليهم وكتبنا شأنهم ليعلم من يفك حلقتهم فوجدوا الله أن أروام
آية تدل عن اللهث ورفقوا صوتهم بالتسبيح والتحميد فدخلوا الكهف فوجدوا
جلوساً مشرقاً وجوههم لم تقبل ثيابهم فخرؤا سجدوا وأحبرهم الفتية عما لقوا من
الملك دقيانوس .

فبعث أريوس وأصحابه إلى الملك تندروليس : أن أعجل لتري آية من
آيات الله تدل على صدق اللهث ، فتية ماتوا منذ ثلاث مائة وأكثر بعثهم الله
سبحانه فذهب همه وقال : أحمدك اللهم رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح
لاك تطولت على ورحمتي ولم تطفئ النور الذي جعلت لأبائي فركب وركب معه
من في المدينة حتى أتوا مدينة أنسوس فسار معه أهلها نحو الكهف فلما رأى
تندروليس ومن معه هاتهم وبكى وهم جلوس يسبحون الله تعالى ويمجدونه ثم

قال النعجة لقد درو ليس : نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيمك بأفقه من شر الجن والإنس .

فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا فقام فجعل ثيابهم عليهم وجعل كلاً منهم في تابوت ذهب فلما أمسى وقام أتوه في منابه فقالوا : إنا لم نخرج من ذهب ولا من فضة بل من تراب وإليه نصره فتركنا على الأرض كما كنا . فضل . وقيل : جعلهم بعد هذا في تابوت من ساج وحجبههم الله بالعرب بعد ذلك فلا يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر أن يُتخذ على باب الكهف مسجد يصلى فيه وجعل لهم عيداً عظيماً يوتى في كل سنة .

وقيل : لما حملوا تمليحاً إلى الملك قال له : من أنت ؟

قال : رجل من هذه المدينة خرجنا منها منذ أيام وذكر منزله وأنا سأ لا يعرفهم وقد سمع الملك بفقية ذهبوا في الزمان الأول وأسماءهم مكشوفة في لوح في خزائنه فدها به فغظرت فقال : ما اسمك ؟

قال : تمليحاً فوجده مكتوباً فذكر له أسماء الهاقين فقال : هم أصحابي فركب ومن معه إلى الكهف فقال : دعني حتى أدخل على أصحابي وأبشرهم فلا يخرجوا فدخل فبشرهم فأناهم الله وأناهم وأعمى أترهم عن الملك وأصحابه فلم يهتدوا إليهم والله أعلم .

وقال جماعة من قومنا : إن النبي ﷺ سأل ربه أن يريه أصحاب الكهف فقال الله تعالى : إياك إن تراهم في الدنيا ولكن ابث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقل رسول الله ﷺ : كيف أبث إليهم ؟

فقال : أبسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلي الثاني عمر

وعلى الثالث عليا وعلى الرابع أباذر ثم ابع الرضاء المسفرة لسلیمان بن داود عليهما
 السلام فإن الله تعالى أمرهما أن تطيبن قلبك قبل النبي ﷺ ما أمر به فطبتهم الریح
 حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف فلما دنوا من الباب قلعوا سمعه فحجروا مقام
 الكلب فنبیح عليهم حين أبصر الضوء ونفس وحمل عليهم فلما رأهم حرك رأسه
 وبصبع بذيئه وأوما برأسه ادخلوا الكهف فدخلوا فقالوا : السلام عليكم ورحمة
 الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا : وعليكم السلام وعلى
 محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتم وجلسوا
 يعبدون وآمنوا بمحمد ﷺ وقبلوا دينه وقالوا : أقرئوا محمداً من السلام
 وحدوا الله على منه محمداً ﷺ وتوجيه محمد رسوله إليهم ثم جلس كل منهم على مكانه
 في الثوب وحملهم الریح . فهبط جبريل فأخبره بما قالوا كله . فلما أوصطعهم الریح
 إليه ﷺ أخبروا بما قال أصحاب الكهف وما قالوا لهم كله على وفق جبريل
 بعد سؤاله ﷺ إياهم عن ذلك .

ولما قضى الكلام بينهم وبين أصحاب الكهف اضطجعوا فقبض الله
 أرواحهم وذكروا ذلك له ﷺ وكذا جبريل وسيعبدهم الله للهدى فيسلم
 عليهم فنجيبيوته ويرجون موتى . وقيل : يحسون في زمان الهدى وعيسى
 ويخرجون أربعين سنة ويحبون معه لأنهم لم يحبوا . ولما اشتغل القرآن على ذكر
 معييات تكون لرسول الله ﷺ معجزات وكانوا يقولون : ائت بقرآن غير هذا
 أو بدله أمره الله عز وجل بقوله : (وَأَنزِلْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ)
 أى اقرأ القرآن ودم على قراءته فإنه معجز لا يطاق ولا تستمع أقوالهم : ائت
 بقرآن غير هذا أو بدله .

(لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) لا قادر على تبديلها إلا الله تعالى فإنه إن شاء
نسخ آية ببدل أو بلا بدل . وقيل : معنى لا مبدل لكلماته لا مبدل لوعيده
للكفار أى مبدل له بخير أو بدون شيء .

(وَأَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) موضع ميل أى موضعا يلتجىء إليه من
الله إن همت بالانحجاء والميل إلى غيره ومن حكمه ولا مانع لك من عقابه والملاء
له أو لن تجد من دون القرآن حرزا عن عذاب الله وكيد أعدائك من الإنس
والجن والخطاب للنبي ﷺ والمراد خبره أو لكل من يصلح للخطاب .
(وَاصْبِرْ) احبس . (نَفْسِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يهدون (رَبَّهُمْ) وهم : صهيب
وعمار وخباب بن الأرت و سلمان الفارسي وسالم مولى أبي حذيفة وبلال وغيرهم
من فقراء المسلمين وكانت ثيابهم متزوفة مرقمة .

دخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله ﷺ . قيل : وعنده هؤلاء
للأوفون المذكورون وعلى سلمان شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص بشقه
وينسجه . فقال عيينة : أما يؤذك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها إن
أسلمنا أسلم الناس وما ينمنا من اتباعتك إلا هؤلاء فنتعهم حتى تنبلك واجعل
لنا مجلسا فنزل : « واصبر نفسك » إلى آخره .

وروى أن قوما من رؤساء الكفرة قالوا لرسول الله ﷺ : نَحْ هؤلاء الموالى
الذين كَانَتْ رِيحُهُمْ رِيحُ الضَّأْنِ حَتَّى نَجَالِسَكَ فَنَزَلَ : « واصبر نفسك » إلى
آخره . وذلك كقول قوم نوح : « أئْؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبِعْكَ الْأَرْدَلُونَ » .

وعن أبي صالح : قال سلمان الفارسي : لما نزلت في . دخلت على رسول الله
ﷺ وهو جالس على بساط فجلست إلى جنبه وعلى شملة قد عرقت فيها وذلك
في يوم حار فدخل عيينة بن حصن على رسول الله ﷺ فجلس بيني وبينه وفي يدي

خو من أصبه فجعل يذنبى بمرقة حتى أبدى عن البساط قال : يا محمد إنا رؤساء مضر وإن نُسَلِمَ بِنُسَلِمِ الناس والله ما يمنعنا من اتباعك وال دخول عليك إلا هذا وضرباؤه فلو أنك أخرجتهم عليك اتبعناك فإذا دخلنا عليك فأخرج هذا وضرباؤه فوالله إنه ليؤذيني الآن بِن ريمه أن ما يؤذيك ريمه فإذا خرجنا من عندك فأتدّن لم فإن لنا عليك حقا ونحن وجوه مضر وسادات قومنا ثم أنا صاحب مرباعها ورأسها في الجاهلية إلى يومنا هذا وقد كان من قَدَمنا وقدّم آباءنا ما بانك فإننا نكره أن نكون نحن وهذا عندك سواء بمنزلة قتل : « واصبر نفسك » إلى آخره .

وقيل : نزلت في أصحاب الصفة وهم سبائة رجل قراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى نجر ولا زرع ولا خمر يصلون صلاة وينتظرون أخرى ولما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي جعل في أمي من أسرت أن أصبر معهم .

(بالقدّاية) أى في الصبح وقرأ ابن حاتم بالقدوة . قيل : غبطة في الأكل كثير علم فتسكون آل فيه على تأويل التنكير .

(وَالْمَشْيُ) الواحد مشية والمشيئة كالسك والكلية .

قيل : المراد بدعائهم في هذين الوقتين صلاة النجر وصلاة العصر . وقيل : المراد للعبادة مطلقا الصلاة وغيرها في لوقتتين وغيرهما فببر عن سائر الأوقات بذكر الوقتين المتطرفين النهار والليل .

(يُرِيدُونَ) بعبادتهم . (وَجْهُهُ) أى ذاته هو ويقدر مضاف أى يريدون رضاه وكانه قيل : يريدون رضاه وإذا رضى عنهم لم يذهبهم وأثابهم

ولا يريدون بمبادتهم غير الله من عرض الدنيا أو رياء أو ممة . والجملة حال من
واو يدعون .

(وَلَا تَعُدُّ) لا تنصرف وتتجاوز (عَيْنَاكَ) قاعل تعد وذلك من صيغة
نهى الغائب كقولك في نهى عمرو عن القيام : لا يتم عمرو كذا قلت : لا تتم
يا عمرو . ظاهر الكلام نهى العبد والمراد نهى رسول الله ﷺ عن أن يحقر
قراء المسلمين ويعرض عنهم لضغف ثيابهم وتمزقها وترقيعها ووسخ أبدانهم إلى
نظافة الثوب والبدن ، كانه قال : لا تعد يا محمد بعينيك . (عَنهم) وعدا . تعد بنفسه
وتعدى دنا بمن انضمه معنى تنصرف أو تلهو أى لا تنب عينك عنهم أى لا تسكونا
غير معلقين بهم .

وقرى : ولا تعد بضم القاء وإسكان العين وكسر الدال مضارع أعدى
بالهمزة . وقرى بضم القاء وفتح العين وكسر الدال مشددة . وعينيك بياء القنوية
على القراءتين بالنصب على المفعولية وفي القمل تعد ضمير المخاطب والهمزة والنشديد
في القراءتين عندى لاتعدية كانه قيل : لا تجعل عينك نايتين عنهم أى غير
متعلقين بهم أو لا تجعلهما منصرفتين . وزعم أنها لموافقة الثلاثى الجرد وإلا
لتمديا إلى مفعولين وهو مقدر لأصل عدا فإنه مقدر لمفعول بمعنى جاوز فيتمدى
الاتقان بالهمز أو التشديد وأنه معتبر لعمى الفعل اللازم الذى تضمنه عدا فلما
ضمف وأدخلت عليه الهمزة تعدى لواحد . واعلم أن لفظة (عن) أشد في
إظهار المجاوزة من تركها فاختر لا تعد عينك عنهم عن لا تعدم عينك .

(تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من حسن الثوب والأبدان ونظافتها ومجالسة
الأغنياء والأشراف والجملة حال من لكاف في عينك في القراءة الأولى ولا ضمير

عليها في تد وحال من التصدير المستقر في تد النائد إلى المخاطب في القراءتين الأخيرتين
بموجب عينيك فإن في تد عليهما تصدير .

(وَلَا تُطِيعْ) في طرد القراء للؤمنين من مجلسك . (مَنْ أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ
عَنْ ذِكْرِنَا) كمينه بن حسن وأمية بن خلف والمهزقة في أغلقنا للتعبية أي
صيرنا قلبه غافلاً عن ذكرنا فكان بدخولك إلى طرد القراء للذاكرين الله عن
مجلسك ليجالسك هو وأضرابه وليس هذا التصيير جبراً بسبل خذلانا ونخلة
فاختاروا عدم الذكر وغفلوا واختيارهم وغفلتهم غفلتان لله تعالى . ويجوز أن تكون
المهزقة لوجود الشيء على حال أي من وجد قلبه غافلاً عن ذكرنا كقولك أجبنته
وأخجلته إذا وجدته جباناً وخجلاً أو النسبة أي من نسبنا قلبه إلى الغفلة عن
الذكر كقولك : أكرت عمراً أي نسبته إلى الكفر وذلك من أغفلت الإبل
إذا تركتها بلا علامة أي لم نعلمه بالتشديد بالذكر كما علمنا قلوب المؤمنين وليس
ذكر هذه الأوجه خروجاً عن الوجه الأول الذي هو عدم الجبر بل تصرف في
محتملات الآية مع إنبات الاختيار ونفي الجبر وبدل لنفيه قوله : (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)
فهذه طريقة وسخطى حاصلها أنه لا جبر وأنه لا خالق إلا الله :

وقرى "وأغلقنا قلبه بفتح لام أغلقنا ورفع قلب على القاملية أي حبسنا
بفتح الهاء قلبه فاعلمن عن ذكرنا إلهة بالواحدة على معاصيه وإضافة المصدر على
هذه القراءة في ذكرنا من إضافة المصدر لقاعه .

(وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا) مقدماً على الحق ومصادراً عنه فيجعل الحق وراء
ظهوره ومنه القوط لمن يتقدم القوم ويهيئ لهم الماء وفرس فرط أي يتقدم الخيل .
وقيل : للمنى كان أمره تضيقاً وتقریطاً كقوله : يا حشر تى على ما فرطت في جنب الله .
وقيل : إسراراً والآية دلت على أن الداعي في طلب حبيبة وأمية ونحوهما طرد

الفقراء المؤمنين عن المجلس هو غفلة القلوب عن ذكر الله سبحانه واتباع أهوائهم وتقدمهم عن الحق وانهما كهم في الزينات المحسوسات كمنظانة بدن وثوب ولم يعلموا أن الزينة إنما هي الزينة المقولة . وهي امتثال الأمر واجتناب النهي الفائز بها هؤلاء القراء للؤمنون .

(وَقُلِ الْحَقُّ مَبْتَدَأٌ (مِنْ رَبِّكُمْ)) خبر أى الحق ثابت من الله أو الخبر كون خاص أى آت من ربكم لا ثابت ولا آت من جهة أهوائكم فالحق هو ما جاء عن ربكم لا غير ويموز كون الحق قاعلا لمحذوف أى جاء الحق من ربكم فيتملق الجار مجاء المحذوف أو كون الحق خبراً لمحذوف أى القرآن الحق أو ما أوحى إليك هو الحق أو هذا هو الحق فتعلق بمحذوف حال من الخبر .

(فَمَنْ شَاءَ) الإيمان . (فَلْيُؤْمِنْ) ولا يشترط طرد المؤمنين بل يحسن له أن يوافقهم ويعينهم لأمر الدين والدنيا .

(وَمَنْ شَاءَ) الكفر لشرط طرد المؤمنين . (فَلْيَكْفُرْ) فإني لا أطردكم لا أبالي بإيمان مؤمن ولا كافر فإن النفع أو الضرر عائد إلى صاحبه فلا ية تتضمن التهديد وزيادة ولا نسخ في ذلك .

وزعموا من قتادة والسدي أنه منسوخ بقوله تعالى : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » ولا دلائل في الآية على استقلال العبد بفعله لأنه ولو عاق الإيمان والكفر على مشيئة العبد لكن فعله خلق من الله بل مشيئته أيضاً خلق من الله . والاكتساب من المخلوق .

(إِنَّا أَعْتَدْنَا) تحقيق هذا الفعل أن همزته للتعدية وفأوه هو الحرف بعد الهمزة وعينه هو القاء فهو أصل وثلاثيه فقد أى حضر فيقال : أعتدته بمعنى

أَجْفَرْتَهُ وَهِيَ آتَةٌ فَالْمَنَى إِنَّا أَجْضَرْنَا وَهِيَ آتَانَا . (الْقُلُوبُ) الْمُشْرِكِينَ وَاللَّافِقِينَ
(نَارًا) أَخْرُوبِيه .

(أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) فسَطَاطُهَا شَيْءٌ مَا يَحِيطُ بِهِمْ مِنَ النَّارِ وَكَانَ عَلَيْهِمْ
كَالْجِدَارِ بِالْفَسْطَاطِ الْمَضْرُوبِ كَهَيُوتِ الشَّجَرِ وَغَيْرِهِ نَسَاءً بِاسْمِ الْفَسْطَاطِ بِمَجْمَعِ
إِحَاطَةِ كُلِّ بِمَافِي دَاخِلِهِ وَذَلِكَ مُتَقَفًى قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ . أَوْ شَيْءٌ مَا يَحِيطُ بِهِمْ
مِنْ حِطَّانِ جَهَنَّمَ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَعَمْدٌ مُعَدَّةٌ بِالْفَسْطَاطِ نَسَاءً
بِاسْمِهِ وَذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ : « اخْشَوْا نَارَهَا وَلَا تَكَلِّمُون » .

وقيل : السرادق : الحجرة التي تكون حول الفسطاط . وقيل : دُخَانُهَا
وَذَلِكَ أَيْضًا عَلَى التَّشْبِيهِ . رَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : سَرَادِقُ
النَّارِ أَرْبَعَةٌ جِدَارٌ كَشَفَ كُلُّ جِدَارٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَذَلِكَ كُلُّهُ بَعْدَ
الْحَشْرِ وَدُخُولِ النَّارِ وَلَمْ يَحْقُقْ وَقُوعَ ذَلِكَ بَعْدَ لَا عِصَا صَوْرَةٍ بِمَنْزِلَةِ الْوَاقِعِ قَالُوا :
أَحَاطَ وَلَمْ يَقُلْ يَحِيطُ أَوْ هُوَ مُسْتَمْتَلٌ بِمَعْنَى يَحِيطُ .

وقيل : المراد بالسرادق دُخَانُ يَحِيطُ بِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ وَقِيلَ : عَنَقَ مِنَ النَّارِ
يَخْرُجُ وَيَحِيطُ بِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ فَيَجْرِعُهُمْ إِلَيْهِمْ وَذَلِكَ أَيْضًا مُسْتَقْبَلُ بِمَنْزِلَةِ الْوَاقِعِ
طَائِفَاتُ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ وَكْرَمِهِ .

(وَأَنْ يَسْتَقِيمُوا) يَطْلُبُوا الْفَوْتَ بِمَاءٍ لَشِدَّةِ الْغَطْسِ . (يُفْأَتُوا بِمَاءٍ
كَالْهَلِ) أَيْ كَدُرْدِيِّ الزَّيْتِ فِي الْفَلَسْطِ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
(يَسْوَى الْوُجُوهَ) إِذَا قَرَّبَ إِلَيْهَا أَشِدَّةَ الْحَرَارَةِ أَيْ يَحْرِقُ الْوُجُوهَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : الْمُهْلُ : عَكْرُ الزَّيْتِ أَيْ دُرْدِيهِ . فَإِذَا قَرَّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فُرُوعُهُ وَجْهَهُ أَيْ
جِلْدُهُ وَجْهَهُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ .

وقيل : المهل : المذاب من نَحْوِ رَصَاصٍ وَنَحَاسٍ وَفَضَّةٍ . أَيْ ابْنُ مَسْعُودٍ

بقضة وذهب كثيرين فأضر فأذيبا حتى أزيدا وماعا أى صار مائمين كاه قال
 لسلامة : ادع من بحضرتنا من أهل السكونة فدعاهم فقال لهم : أترون هذا ؟
 قالوا : نعم قال : ما رأيانا في الدنيا شيئا للمهل أدنى من هذا الذهب وهذه
 القضة إذا أذيبا حتى أزيدا وماعا. وقال بجاهد : المهل : القميص والدم وإن قلت : كيف
 قال : يغاثوا ولا نفع لهم في ماء كالمهل يشوى الوجوه قلت ذلك تمكم كقوله :
 نَقَرِيهِمْ مُوْ لَهْذَمِيَّاتٍ نَقْدُ بِهِمَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرٍّ أَدِ
 فإن القرى وهو الضيافة لا يكون بالهذميات وهو الأسفة للقاطمة وقوله
 تعالى : « نبشركم ببذاب أليم » على أحد الأوجه فيه وقول بشر بن أبي خازم
 الأسدى :

غضبت نعيم أن يقتل عاصم يوم للنسار فأعتبت بالصيلم
 أى أزيل عقابهم وأرضوا بالسيف أو الداهية والأسر العظيم نزل الداهية أو
 السوف بالعتاب الجارى بين الأحبة وجملة : يشوى الوجوه نعتان للماء والأول هو
 قوله كالمهل أو حال من ضمير الماء المستعار في قوله كالمهل أو من المهل .
 (يَنْسَى الشَّرَابُ) الخصوص بالدم محذوف أى ذلك الماء أو هو (وَسَاءَتْ)
 أى الدار . (مُرْتَفَقًا) أى موضع ارتفاق أى نزول فسكانه قيل : ساءت منزلا كما
 قال ابن عباس وقيل : موضع اجتماع وقيل : المرتفق ما يتكئون عليه أى ساء موضع
 الاتكاء فيها .

وأصل الارتفاق نصب المرتفق تحت الخلد والمرتفق ما يعكأ عليه وذلك تهكم
 بهم لأنه لا ارتفاق لأهل الدار أو استعارة لموضعهم في النار وهو اسم مكان ويجوز
 أن يكون مصدرا ميمها أو نزولا أو اجتماعا أو اتكاء ويجوز كونه مصدرا ميمها
 بمعنى الأحباب ونصبه على الأوجه كلها نصب تمييز الذى هو فاعل في المعنى وهذه

الأوجه كلها ممكنة في قوله حسبت مرفقا بغير هذا، مرفقا مشاء كلمة لقوله بعد :
« وحسبت مرفقا » إذا فسرناها بالتكافؤ .

(إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ)
عملاً (بل نُثْنِيهِمْ عَلَىٰ عَمَلِهِمْ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ الْفِتْنَةِ أَجْرًا وَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)
اسم الأولى وخبرها محذوف تقديره إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم ومن هذه
التي قدرتها هي من التخصيصية لأنه قد يؤمن الإنسان ويعمل صالحاً ولا يحسن ويمحور
أن يكون الرابط العموم على أن المراد يعمل الصالحات عملين بالإحسان والمراد
بإعمالها عاملوها من هذه الأمة وبمن أحسن عملاً كل من أحسن منها أو من غيرها
فهو أعم .

ويمحور أن يكون الرابط من فيكون من وضع الظاهر موضع المضمر ويكون
من أحسن عملاً والذين آمنوا وعملوا الصالحات شيئاً واحداً كأنه قيل : إنا
لا نضيع أجره وما ذكرته من أن من ظاهر هو الذي أعقده من أن الأسماء
الموصولات وأسماء الإشارة أسماء ظاهرة وقال ابن بابشاذ : لا ظاهرة ولا مضرة
بل قسم آخر وأحسن فعل ماض وعمل مفعول به وإحسانه هو إخلاصه مما يفسده
أو ينقصه .

(أَوَلَيْكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ) أي إقامة وخلق والجملة خبر ثان لأن الأولى
أرستاً لبيان الأجر ويمحور أن تكون هي الخبر فتكون جملة : إنا لا نضيع
أجر من أحسن عملاً مترضة بين اسم إن وخبرها .

(نَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ) أي في مواضع تقرب من تحتهم بجانبهم أو تجري من
تحتهم على الحقيقة . (الأنهار) لأن أفضل المنار ما يجري فيه الماء .

(يَحْمَلُونَ فِيهَا) يلبسون الحلى أى يحملون لابسين الحلى أى ما يقزين وقد بينه بقوله : (مِنْ أَسَاوِرَ) بأن من هذه للبيان يتعلق بمحذوف نعت للمفعول ثان ليحلى محذوف .

والأول هو الواو النائية عن التعامل أى يحملون فيها أشياء من أساور أى أشياء هى أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار وهو لباس عريض من نحو ذهب وفضة يلبس في الدراع .

(مِنْ ذَهَبٍ) من اللاتعداد أى أساور مصوغة من ذهب أو للهان أى أساور هى ذهب أو تبيض وعلى كل تعلق بمحذوف نعت لأساور . ومن أجاز زيادة من في الإنشآت أجاز أن تكون من الأولى صلة للتأكيد وأساور . فعولا ثانيا . ونذكر أساور التنظيم وإسهاام أسرها في الحسن . قيل عن رسول الله ﷺ : إن الرجل من أهل الجنة لو بدا سواره لقلب على ضوء الشمس وذكروا أنه ما من أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة : سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وله تعالى : « يحملون فيها من أساور من ذهب » وقوله عز وجل : « وحلوا أساور من فضة » ، وقوله سبحانه : « لؤلؤا ولها سهم فيها حبر » .

(وَيَلْبَسُونَ فِيهَا خُضْرًا) لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة ويفتتح لها القلب مالا يفتتح غيره (مِنْ سُفْدَسٍ) الحبر الرقيق . (وَلِاسْتَبْرَقِ) الحبر الغليظ جمع لهم فيها بين للنوعين تليذذا لهم بما تشهيه النفس وتلذه العين وذكر ذلك ترغيبا في الجنة فيقول وصل إليها بالإيمان والأعمال الصالحات .

وقيل : السندس : المنسوج المذهب وذكر بعض الكافرين أن استبرقا معرب استبرط بالفارسية .

(مُتَكِنِينَ فِيهَا) أى فى الجنة حال من وأو يلبسون وهى مقارنة ويقدر مثله لؤلؤا يحلون فإن ما تلبسهم اللانسكة الأساور معكثين واللائسكة قاعدون وكذا يلبسون الثياب الخضر وهم متمكثون وذلك تشرىف عظيم أو حال مقدرة وذلك بأن يدخلوا الجنة فتمسكثوا وبعد ذلك يلبسون الثياب الخضر ويحلون الأساور أو حال مقدرة من الماء فى لهم .

(هَلَى الْأَرْبَابِ) جمع أربكة وهو السرير بشرط أن يكون فى بيت عزيز بالثياب والختور للعروس . وخص الاتسكاه لأنه هيئة الملوك والمستعنيين .

وذكر بعضهم أنه يعانى الرجل زوجته قلدر عمر الدنيا لأجله ولا يملها . وعن ما ذن جيل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الرجل من أهل الجنة ليرتفع فى تسكاه واحدة سبعين عاماً . ومن ابن عباس : إن الرجل من أهل الجنة ليعكى على أحد شقيه ينظر إلى زوجته كذا وكذا سنة ثم يعكى على الشق الآخر وينظر إليها مثل ذلك فى قبة حراء من لا قوة لها ألف باب وله فيها سبع مائة امرأة . ثم زاد الله الرحمن الرحيم للجنة طراوة وتعظيماً بقوله : (نعم للثواب) المنصوص بالدخول أى الجنة ونعيمها . (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) منزلاً أو متكاملاً وسر كلام فى ذلك .

(وَاضْرِبْ لَهُم) أى للكفار مع المؤمنين أو للكفار والمؤمنين . وقيل : مثل بعيضة وأصحابه وسلمان وأصحابه . (مَثَلًا) مفعول به لا ضرب أى ضع لهم مثلاً . (رَجُلَيْنِ) بدل من مثلاً أو بضمتين اضرب معنى [اجعل فيكون] مثلاً مفعولاً ثانياً ورجلين مفعولاً أول والرجلان من بنى مخزوم من أهل مكة أحدهما مسلم وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد المليل وهو زوج أم سلمة قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ والآخر كافر والأشد هو بشين معجمة ودال مشددة

وقيل : الأسد بمهمة وتخفيف وكذا الآتي لأنه واحد وهو أخوه الأسود بن عهد الأشد وقيل : هما أخوان في بني إسرائيل أحدهما مسلم .

وقال ابن عباس : اسمه يهوذا وقيل : تملينا وكافر اسمه قطروس قيل : هما المراد في قوله تعالى : « قال قاتل منهم إلى كنانة قرين » ورنما من أيهما ثمانية آلاف دينار .

وقال عهد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني : رجلان اشتراكا في ذلك واقعة جاء فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار وهو الكافر فقال صاحبه : اللهم إن فلانا قد اشترى أرضاً بألف دينار وإني أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم إن الكافر بنى داراً بألف دينار فقال المسلم : اللهم إنه ابتقى داراً بألف دينار فأنا أشتري منك داراً في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم تزوج الكافر امرأة فتأتى عليها ألف دينار فقال المسلم : اللهم إنى أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم اشترى الكافر خدماً ومطاعاً بألف دينار فقال المسلم : اللهم إنى أشتري منك خدماً ومطاعاً من الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار .

وقيل : قال : اللهم إنى أشتري منك الولدان المخلصين بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم أصابته حاجة شديدة فقال : لو أتيت صاحبي أو قال : أخي على الخلاف هل هما أخوان أو رجلان مشتركان الله ينادي بمعروف فجلس على طريقه حتى مر به في حشمة فتمرض له قائماً فنظر إليه فعرفه فقال : فلان ؟ قال : نعم قال ما شأنك ؟ قال : أصابني حاجة بمدك فأنتيك لتصيرني بخير فقال : ما أمل مالك ؟ وقد انقسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال : أنتك لمن الصادقين .

وضم لامه وتشديدها وبها المذكر في قوله أكله وإسقاط تاء التأنيث من أنت ورد الألف المحذوفة لأجلها .

وقرى الجنتين أنت أكلها بضم الكاف والهمزة جيمها في أكلها وهو أيضا ما يؤكل .

وإن قلت : قد جلت الهمزة في أنت لتعديده وأصله ممتد لواحد بلا همزة فأين الثاني بعد وجودها ؟

قلت : محذوف أى أنت أكلها صاحبها أو جانيه وحذف لأن المقام ليس مقام التعلق بذكره وقد يقال : لا يقدر أصلا أى لم يستق الكلام .

(وَلَمْ تَظَلِّ مَعَهُ شَيْئًا) أى لم تنقص من أكلها أى من ثمارها شيئا قط بل تاتى كل عام بثمارها واثرة لا كسائر الحنات تاتى في عام بغلة واثرة وتنقص أو لا تنقص أصلا في عام آخر أو ما فوقه .

(وَفَجَّرْنَا) أنهما أو شققنا (خِلَالَهُمَا) وسطهما أى بين الواحدة والأخرى أو في وسط كل واحدة (نَهْرًا) عينا تسقى به كل واحدة منهما وهو بينهما أو تسقى كل منهما بعين فيها على حدة لتكون مادة لهما لا تضمتان ولا تيهتان وهو أفضل من السقى بالزجر لصعوبته فيمجز عنه ومن السقى بالمطر لأن العادة جارية على انقطاعه .

وقرأ يعقوب وبغرننا بفتحيف الجيم عن التشديد .

(وَكَانَ لَهُ) أى لصاحبها الكافر (كَمَثَرٍ) بضم التاء والميم أى أنواع من المال كالذهب والفضة وقد نمره بهما مجاهد .

وقيل : الثمر : الأصول من قولك : ثمر ماله إذا أكثره وذلك من غلة

الجنة فيكون بهما تام القنى واليسار متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء والفرد
ثمرة بفتح التاء والميم أى نوع من المال ومنه خشية وخشب .

وقرأ ابن عاصم وكان له ثمر يفتحهما والواحد ثمرة يفتحها وهي ثمرة الشجرة
والفخلة ومنه شجرة وشجر .

وقرأ أبو عمرو وكان له ثمر بضم فاء سكان جمع ثمرة بضمها وهي ثمرتها ومنه
يذنة بضم اللام والدال ويدن بضم الدال وإسكان الدال .

وقيل : من كتبته : « واضرب لهم مثلاً رجلين سألني قوله به عزه يوم
الجمعة في الساعة الرابعة في الثاني عشر شقفل من طين بقسم نحاس ويخرجه يريق
الصفصاف ثم رماها في ساقية جارية فأى شجرة شرب من ذلك للمام نجبت
وكثر خيرها بلذان الله تعالى له .

(قَالَ) صاحب الجنتين الكافرون (الصاحبة) المؤمن . (وَقَوْلُ) أى
الكافرون (وَمَا يَرَوْهُ) راجع للمؤمن في الكلام ويحاط به مقابلته من جار إذا رجع :
(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) أغلب عشيرة والمال من الميراث وهو يترجمه ويتصوره
بإلا يمشي بهما واحدة على الفوك بأهل أخوان أبو حماد واحد وأما على القول
بأنهما حشيرة كان فيمكن أن تكون عشيرة أحدهما عشيرة الآخر . وقوله أعز
أولاداً ذكورا وبشر عنهم بلفظ النفر تلويحاً بأهم ينفردون إذا انفرد فهو أقوى بهم
بلا كاليات ويعدل لهذا القول (قوله تعالى) : « إِنَّ تَوْنًا أَقْلَ مَلِكٍ مَالًا وَهَذَا » .
(وَدَخَلَ جَنَّتُهُ) جمع صاحبه المؤمن يطوفه يد فيها يرفاخره بها يدلاً
وإضافة الجنة للماء للجنس فيصدق بالجننتين والمراد الجنتان فالمراد بهما وإعما
أفرد في قوله : « أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا » مراعاة لفظ جنة . وقد يرجع إلى المراد إذ
قال : « لَا جَدْنَ غَيْرَ أَهْلِهَا مَقْلِبًا » هذا ما كتبت أقرأ به معنى الآية .

ويحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى الخلق منزهة الخلق الواحد لا يخلو
أو لعدم فضاءها إلا بزرع هو تقوية لها وشبهه بخلقها أو بخلقها إرادة الخروجه أو
نظراً للتجديد فقط لأن الدخول يكون في واحدة بعد واحدة فليس يكون قد قال في
الثانية : وما أظن أن تبيد هذه أبداً كما قاله في الأولى ويدل ذلك جديهما في قوله :
ولا لأجلين تنوراً منها . . .

ثم ظهر لي وجه آخر وهو أن يراد بالخلق الجاهل لا على طريق الجنس كقبي
الوجه الأول على طريق ما يروى في الدنيا من الكفر ونسج المؤمنين إلى أنه
ليس له في الآخرة إلا النار وما ملكت يدي الدنيا مع اليقين فهو يستحق . . .

(وَكَلِمَاتِهِ لَمْ يَلْفُظْ بِهَا وَلَمْ يَلْفُظْ بِهَا لَفْظٌ) . . .

(قَالَ مَا أَظُنُّ) أي ما أرجح بل أشك أو ما أعلم أو ما أملك . . .

(أَنِّي أَتَيْدُ) نهكته وعلو الجاهل فها هو أو تبيها . . .

(طَاهِرٌ) أي الخلق . (أَبَدًا) الدخول مرة وتكرر ما زل حاله وحالها إلا

على زيادة وتمايز خلقها خلق تروم أنها لا تخفى . . .

ويحتمل أن يريد ما أظن أن تبيد بتيديم السلطة لأنه لا ينفذها بها ويحتمل

أن يريد ما أظن أن تبيد مدة ضيق كلمة على أن الأبد بمعنى مدة حسنة أي في

المؤمن المستقبل كله من عمره . . .

(وَمَا أَظُنُّ) هو مثل الذي هو : (السَّاعَةِ) التي تدعيها لأصحاب المؤمنين

وهو وقت موت الناس بغيرهم كلهم إلا على الدائم الذي لا يموت أو وقت قيامهم

مع قبورهم (قَابِلَةً) كقابلة . . .

(وَأَنِّي رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي) بالفتح بضم روي كما تدعى (لَأَجِدَنَّ) عنده لي

(خَيْرًا مِنْهُمَا) من الجنة إن لم يطمعها في الدنيا إلا لسكران في هذه فهو يعطى

خبرها منها في الآخرة إن صبح يوم الآخرة كما ينبغي وفيه قراءة (تأنيدها) وإن كنت

وقرأ غيرهم من الأجلين خيراً منها بالإنذار على حد ما هي أي من جنق
(مُتَقَلِّباً) يرحلها وماتية لأهلها رابعتان وما أجده بعد البعث - إن صح - كما
تدعي - ثم لا ينبغي ومثليها غير وهو مصدر مبني أي انقلابي إلى ما أجده عنده
بعد البعث - إن صح - خير من انقلابي إلى جنق - هاتين حين انقلبت إلى ما
بالملك والاضطراب إنما هو فله وإنما صح إثباته في الآية للجنيتين وما يجده لأن
انقلاب إلى الجنيتين وما يجده والمراد انقلاب ما أجده عنده خير من انقلاب هاتين
الجنيتين لأن انقلابهما إلى الفناء وانقلاب ما أجده إلى الدوام - لكما تقلب في
مدة انقلب إلى أخرى فهو منقلب اضطلاعاً دائماً.

[illegible]

(مِنْ تَرَابٍ) بَخَلَقَ أَبْيَكُ مِنْهُ فَإِنْ مِنْ تَوَلَدَ مِنْ خَلْقٍ مِنْ تَرَابٍ مَخْلُوقٍ مِنْ تَرَابٍ وَلَوْ كَثُرَتْ وَسَائِلُ تَوَلَدِهِ مِنْهُ هَذَا مَا أَقَرُّ بِهِ الْمَعْنَى وَهُوَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أُولَى مِنْ تَقْدِيرِ خَلْقِ أَبَاكَ مِنْ تَرَابٍ فَالتَرَابُ الْمَادَّةُ الْبَعِيدَةُ لِكُلِّ وَلَدِ آدَمَ .

(مِنْ نُطْقَةٍ) نَفْسُ النُّطْقَةِ الَّتِي كَتَبَهَا ثُمَّ صُرَّتْ حَوَارِثًا فِي الْمَادَّةِ الْقَرِيبَةِ .
(مِنْ سَوَاكَ) مِثْلُكَ وَكَلَامُكَ . (رَجُلًا) أَيْ ذَكَرًا لَا أُنْثَى فَإِنَّهُ قَدْ يُطْلَقُ الرَّجُلُ عَلَى الذَّكَرِ وَلَوْ طَمَلًا أَوْ جَنِينًا أَوْ الْمَرَادُ ذَكَرًا بِالْإِنْسَانِ وَرَجُلًا حَالٍ مُتَقَدِّرَةٍ شَبِيهِةٍ بِالتَّوْبَةِ لِأَنَّهُ فِي حَالٍ تَسْوِيقِهِ يَنْتَقِلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فِي أَزْمَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ غَيْرِ رَجُلٍ حَتَّى تَتِمَّ تَسْوِيقُهُ فَيَتَّصِلُ بِهَا كَوْنُهُ رَجُلًا اتِّصَالًا شَدِيدًا وَمِثْلُ الْمُفَصَّلَةِ وَلَوْ أَقْلٌ مِنْ هَذِهِ قَدْ تَسَمَّى مُقَارَنَةً وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِمَا سَوِيَ بِهِ صَيْرٌ وَإِنَّمَا عُلِقَ الْإِنْكَارُ وَالتَّوْبِيخُ بِالْخَلْقِ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ وَتَسْوِيقِهِ رَجُلًا تَنْبِيْهُهُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ قَدْ كَفَرَهَا وَلَمْ يَشْكُرْهَا وَرَدًّا عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ فِي كَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بَأَنِّ مِنْ قُدْرِهِ عَلَى بَدْءِ خَلْقِهِ مِنَ التَّرَابِ يَقْدِرُ عَلَى إِعَادَتِهِ قِطْعًا .

(لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) اسْتَدْرَاكَ مِنْ قَوْلِهِ : أَمْ كَفَرْتَ كَأَنَّهُ قَالَ : أَنْتَ كَافِرٌ بِاللَّهِ لَكِنِ أَنَا مُؤْمِنٌ بِهِ كَقَوْلِكَ : زَيْدٌ غَائِبٌ لَكِنِ عَمْرُو حَاضِرٌ .

وَلَكِنِ هَذِهِ حَرْفٌ خَفِيفٌ لِلْيُنُونِ لَا عَمَلَ لَهُ أَدْغَمَتْ فُونَهُ فِي نُونِ أَنَا أَصْلُهُ لَكِنِ أَنَا حَذَفَتْ الهمزة مع جر كُنْهَا فَالْفَتْحُ لِلنُّونِ فَأَدْغَمَتْ الْإِلَهِيَّةُ السَّاكِنَةَ أَوْ نَقَلَتْ فَتَحَتْ الهمزة لِلنُّونِ فَحَذَفَتْ الهمزة ثُمَّ سَكَنَتْ النُّونُ وَأَدْغَمَتْ وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ وَكُلُّ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ وَلِجُذْفٍ عَلَى الْأَوَّلِ يُسَمَّى جُذْفًا اعْتِبَاطِيًّا أَيْ حَذْفًا بِلا عِلَّةٍ غَيْرِ التَّخْفِيفِ وَعَلَى الثَّانِي حَذْفًا قِيَاسِيًّا كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فَمِنْكَ ثَلَاثٌ مُبْهَدَاتٌ : الْأَوَّلَى أَنَا الْمُحْذَوْفُ الْخَلْقَةُ . وَالثَّانِي هُوَ عَلَى أَنَّهُ ضَمِيرُ الثَّلَاثِ . وَالثَّلَاثُ لَفْظُ الْجَلَالَةِ وَرَبِّي خَبْرُهُ وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الثَّانِي وَالثَّلَاثِي وَخَبْرُهُ غَيْرُ الْأَوَّلِ .

ويجوز كون هو ضمير الله سبحانه وتعالى ونقظ الجلالة بـه أو مطلق بيان عليه ورثي خبر هو والجملة خبر الأول فيكون مبتدأ نطق قال ابن هشام :
والأول أظهر .

ويجوز كذلك كون هو ضمير الذات الواجب الوجود الخالق السوي مبتدأ ونقظ الجلالة خبره والجملة خبر الأول ورثي خبر ثان لهو أو بدل من لفظ الجلالة وألف لكنها مثبتة في الوصل على قراءة ابن عاصم بإثباتها في الوقف أعني الألف بعد اللون والباقيون يحذونها في الوصل ويثبتونها في الوقف كذا قال أبو عمرو الداني .

وقرأ أبو جعفر ويعشوب في رواية عنه كابن عاصم ووجه قراءتهم توبيخ إثبات الألف عن الهمزة المحذوفة أو لإجراء الموصل مجرى الوقف .

وروى عن أبي عمرو أنه وقف بالهاء وحذف الألف وهي عاء السكت .

وقرأ أبي بن كعب لكن أنا بإثبات الهمزة على الأصل .

وقرأ ابن مسعود لكن أنا لا إله إلا هو رثي بإثبات الهمزة .

وقرأ بعض لكن هو الله رثي بسكون اللون وطرح أنا .

(وَلَا تُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) في عبادة ولا في غيرها كما أشركت أنت هو الله

والشيطان به في العبادة وكما سويته بغيره في عدم القدرة على البعث أو في عدم

البعث وسكن غير نافع وابن كثير وأبي عمرو ياء رثي .

(وَلَوْلَا) حرف توبيخ وتنديم داخل على قلت المذكور بعد . (إِنَّا) مطلق

قلت المذكورة بعد .

(دَخَلْتَ جَنَّتِكَ) الإضافة للجنتس أو للحيطة أو زلها منزلة الجنة واحدة

لأنها تقول لها قولاً واحداً عند الدخول من أحدهما .

(قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ) خير لمخدوف أي الأمر ما شاء الله أو الذي في جنتي
من خير وصلاح حال ما شاء الله أو هذا ما شاء الله أو مبتدأ مخدوف الخبر أي
ما شاء الله كائن وما موصولة ويموز أن تكون شرطية مخدونة الجواب أي
ما شاء الله كائن فتكون مقفولة لتمام

(لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) لا قوة لي على دفع الضرر عنها وحفظها وعما بها وتدبير
أمرها إلا بالله أي إلا بمونة الله وإقداره ولو لم يشأ الله أن تكون كما هي لخربها
ولم يؤخر فيها عمارتك وحفظك وتدبيرك

قال رسول الله ﷺ من رأى شيئا وأحبه وقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله
لم يضره . رواه البيهقي وقال رسول الله ﷺ : من أعطى خيرا من أهل أو مال
فيقول عند ذلك : ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يرفعه مكرها

وكأله عروة بن الزبير إذا رأى من مائة شيئا يهجه أو دخل حائطا من
حيطانه قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله وكان يتم حائطه المم الرطب فيدخل من شاء
وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج ومعنى يتم حائطه فيه ثلثة ليدخل من
شاء للأكل والشرب وضيقه كان يدخل ويردد ويخرج لبروة . والحائط : البستان
سمي لأنه يدور به الحائط ويتم حائطه يتم بستانه أي يتم في حائطه : بستانه ثلثة .

ومعنى لا حول ولا قوة إلا بالله لا يتحول أحد من مصيبة أو ما يكرهه
ولا يقوى على طاعة أو ما يحبه إلا بالله هذا ما كتبت أقول جمعا بين هذه الآية
وقوله ﷺ : ألا أخبركم بتفسير لا حول ولا قوة إلا بالله لا حول من مصيبة الله
إلا بمصيبة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله هكذا أخبرني جابر بن عبد الله
عبد ربه عن أبيه عن ابن مسعود وهو ابن أم عبد .

ومنه ﷺ إذا وقعت في ورطة قبل : بسم الله الرحمن الرحيم لا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان الله تعالى بصرفها ما يشاء الله من انواع اللام
رواه ابن السني في عمل يوم وليلة عن علي

(١) وقال رسول الله ﷺ: ليسكم نورا من لا حول ولا قوة الا بالله فانها تدفع
تسميتهم وتسمينها من الضمير ادناها الميم
ومن جنس الصادق: هذه الآية « ما شاء الله لا قوة الا بالله » مجلب للنبي
تقاربها بادن الله تعالى (ان قرآن) عطف بام التكلم وصلادوقنا وانبتها نهما
ابن كثير وانبتها في الوصل قالون وأبو عمرو وحذافها وقفا (أنا) تؤكد لفظي

للماء التكلم
وأجاز الزمخشري والقاضي أن يكون ضمير فعل عمل لم يتركب من الضمير في
قوله نصب أفل هوام ووجه ذلك أن أفل ولو كان نكرة لم تكن كالمرأة
في عدم قبول ال لأن اسمي فعل يتروك عن التفضيل وكذا حيث نوبت من
التفضيل بكتوبه تعالى في تسميه عبد الله هو خيرا (أفل) مفعول ثان كثري

بمعنى تكثر
وقري بالرفع فيكون أنا مهذا خبره أفل والجملة مفعول ثان (منك ما لا
وولدا تسمى ربّي) هذا ترج معه رضى الله تعالى عنه وسكن اللواء فهد نافع وابن

كثير وأبي عمرو
(أن يؤمنين) لإيماني (خير لكم من جنّك) في الدنيا والآخرة أو في الآخرة
كما سأل الله أعطى لوجه الله مثل ما يشتري به صاحبه الكافر جنّته ليعطيه الله
من فضله وكرمه جناتا في الآخرة

ويجتمل أن يريد في الدنيا بأن لم يحضره حينئذ الطلب لجنان الآخرة وأفرد
الجهة لما سأل رجة عمى ربي أن يوقني خيرا من جنّك جواب الشرط والاثبات

الياء بعد نون يؤتيني في الوصل قراءة نافع وأبي عمرو وحذفاً وقفاً وأثبتها ابن كثير وصلاً ووقفاً .

(وَيُرْسِلَ عَلَيْهِمُ) على جنتك لكفرتك . (حُسْبَانًا) صرامي . (مِنْ السَّمَاءِ) وهي الصواعق جمع حسبانة وهي الصاعقة وذلك قول ابن عباس أن الحسبان النار وقيل : هو مفرد مصدر كالبطلان والنفران بمعنى الحساب أى مقداراً قدره الله جل وعلا وهو الحكم بخبريها وقيل : مصدر بمعنى مفعول أى شيئاً مما يدخل في الحساب ويمتد به .

وقال الزجاج : عذاب حساب يعنى حساب الأعمال السيئة والقول الذى قبله صالح لإضافة تلك الأقوال كلها .

(فَتَصْبِحُ) تصير في الصبح أو غيره أو المراد إرسال الحساب عليها ليلاً فتصبح بعد الفجر . (صَعِيدًا) مجرد تراب لا نبت ولا شجرة ولا شجرة .

(زَانِقًا) ملساء تزانق بها القدم وأصله مصدر وصف به وكذا قوله غورا في محتملان للتأويل بذات زانق أو بمنزلة أو مزلق بها أو فيها إن جعلناه خبراً ثانياً لأصبح وبذى زلق وبمزلق أو مزلق به أو فيه إن جعلناه نعت صعيداً وبماز أو ذا غورة وعدم التأويل للنهائية .

والذى يظهر لى أن زلقاً كناية عن كونها لا يوجد بها ما يعارض رجل الماشى من شجر أو نخل أو نبات حتى إنه لو كان الزانق فيها حققة لم يجد الماشى ما يشتبك به فيمنعه عن الزانق أو كناية عن كونها سبخة تزانق إذا ابتلت فتأمل .

(أَوْ يُصْبِحُ مَآوِيًا) يصير في الصبح أو غيره أو يصبح بعد الفجر . (غُورًا) يقال : ماء غور وغار داخل في الأرض لا تقاله يد ولا دلو . وعطف

«يصبح ماؤها غوراً» على قوله: لا يرسل عليهم الحيتاناً من السماء «لا تملأ قوله: لا يصبح ماؤها غوراً» من إرسال الصوامق لأن إرسال الصوامق لا يكون سبباً لإصباح الماء غوراً.

وإن فسرنا الحيتان بغير الصوامق مما مر جاز المطف على تصبح صغيراً وتلقا وقد قال بجواز المطف عليه ولو فسرنا الحيتان بالصوامق لإمكان أن تؤثر الصوامق بإذن الله في الماء بالإغارة كما تؤثر يافث في الشجر والنخل والنبات.

(مَنْ تَسْتَطِيعْ لَهُ) أي لذة المصبح غوراً (طَلِباً) رداً ومعالجة في رجة بحيلة ولا ينبغي إن شاء الله ما في ذلك من المبالغة إذ جله غير مستطوع لنفس طلب رجع الماء فضلاً عن أن يستطوع وجهه وذلك حال من لم يبق له مطمع في أمر من الأمور حتى كان طلبه كالحال لدم جندوته أو للزاد لمن تستطوع له طلباً نائماً فذلك كله من كلام المؤمن رضى الله عنه لصاحبه الكافر.

ثم أخبرنا الله الرحمن الرحيم عن الواقع من حال جنة الآب الكافر بقوله: (وَأَحِيطَ بِشَرِّهِ) أي لئلا يساق أو يمتنع على أي أحيط على شره بالهلاك أو

أحيط بشره كناية عن هلاك شره، كقولك: أحاط به العدو إذا أردت الإخفاء بهلاكه لأنه إذا أحاط كان غالباً وإذا كان غالباً كان مهلكاً فإن إحاطة للفرقة بالشيء يلزم منها هلاكه في الجملة فاستعمل بمعنى الإهلاك والتميز ثم رأت النخل والشجر والزرع أهلكك يملك النخل والشجر والزرع بإرسال الحيتان من السماء وإغارة الله كما أئذره لصاحبه بقولهم: «لنؤذي النخول» به.

ودوى أنه أرسلت على مجته نار من السماء فأحرقها ويحتمل أن يراد بالثر ماله كله من عروض وأصول كذا الترمذي والشيخ الساق واللاحق يدلان على الأول وعلى أن الراد الأصول.

١٠ (فَأَصْبَحَ يُتَلَّبُ كَفِيَّةً) قَالَ شَيْخُنَا الْمَلْجَأُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يُونُسَ ذَكَرَهُ اللَّهُ
بِالْمَصْلُوحَاتِ فِيمَنْ عِنْدَهُ : إِنْ الْمَلَى أَصْبَحَ يَضَعُ يَتْلِبُ الْخَلْقَ كَفً عَلَى ظَهْرِ أُخْرَى
ثُمَّ يَضَعُ ظَهْرَ هَذِهِ الْأُخْرَى عَلَى ظَهْرِ الْأُولَى ثُمَّ يَضَعُ ظَهْرَ كُلِّ فَيُطْلِقُ الْأُخْرَى
فَيُجْعَلُ أَنَّهُ قَدْ تَلَّى ذَلِكَ تَحْتِيقًا فَيَتَلَّى قَوْلَهُ : (عَلَى مَا أُنْفِقُ فِيهَا) بِقَلْبٍ لَتَضَمُّهُ
مَنْهُ الدَّمُ وَالْفَلَمُ فَهَكَذَا قِيلَ : لَأَصْبَحَ مُغْلِبًا عَلَى مَا أُنْفِقُ مِنَ الْأَمْوَالِ فَرُشْرَاشًا
وَعَارِقًا حَتَّى إِذَا يَتْلِبُ كَفِيَّةَ ظَهْرِكَ لِيُطْلِقَ أَوْ يَتَلَّى بِحَالٍ أَوْ مَقُولٍ لِأَجْلِ مَحْذُوفٍ
أَوْ فَاصْبَحَ يَتْلِبُ كَفِيَّةَ رَأْسِهِ أَوْ نَدِيمًا عَلَى مَا أُنْفِقُ فِيهَا

١١ نَوَيْتُ جَعَلَ أَنَّهُ لَمْ يَتْلِبْ حَقِيَّةً وَلَكِنْ كَفِيَّةً وَتَلَّى فَبَعَثَ عَنْ يَدَيْهِ يَتْلِبُ بِقَلْبٍ
لِلْكَفِ كَذِبًا لِيَعْرِفَ أَنَّ رَأْسَهُ يَتْلِبُ فِي الدَّمِ وَتَلَّى بِقَلْبٍ كَفِيَّةً وَيَضَعُهَا فِي الْجِلَّةِ
١٢ (وَهِيَ تَخْلُوبَةٌ) بِالسَّاطِلَةِ (عَلَى نَعْرُوشِكِ) شَقْرَةً بِأَنَّ دَقْعَ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ
مَا فَوْقَهُ أَوْ دَقْعَ السَّقْفِ عَلَى الْأَرْضِ وَخَطَّ الْجَيْشُ عَلَى السَّقْفِ أَوْ الْعُرُوشِ
مَا يَنْبَغِي لَهُ بِرُكُوزِ الشَّجَرِ الْقَنْبُجِ وَقَعَ فَلَمْ يَنْبَغِ عَلَيْهِ شَجَرُ الْمَلِكِ

١٣ الْخَلْقُ : إِنْ قَرَأْتَ عَلَى نَدَى ظَلَّ لَهُ حَاضِيَةٌ وَهُوَ بِحَاوِيَةِ الْأَكْفَرِ بِالْقِيَامِ إِلَى
قَوْلِهِ لَا عَرُوشَ لَهُ تَرَابَهُ يَتَلَطَّامٌ وَسَقَاتُهُ وَحَاوِيَةٌ وَزَرْعُهُ وَكُلُّ مَا يَتَلَابَسُ فِيهِ
وَمِنْ أَرَادَ ذَلِكَ تَلَبَّسَ يَوْمَ الْحَمِيرِ وَبِوَسْمِ الْجَمَّةِ فَإِذَا كَانَ نِصْفُ الْيَوْمِ مِنَ لَيْلَةٍ
فَلْيَتَلَبَّسْ كَمَا تَلَبَّسَ فِي مَسْطَرِحِهِ مِنْ بَنَاتِهِ وَيَلْبَسُ فِي خُرْقَةٍ قَبِيضٍ وَيَلْبَسُ فِي الْمَوَاضِعِ فَإِنَّهُ
يَرَى الْمَيِّتَ وَلَا يَجْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَجْعَلُ فِيهِ يَكْتَشِرُكَ بِطَغْيٍ وَنَجْوَةٍ
(وَبَقُولُ يَا كَيْدِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي الْعَدْلَ) نَدَمَ عَلَى الشَّرِكِ مَلَى حَيْثُ شَأْنُهُ

١٤ الْإِعَاظَةُ بِشَرِّهِ وَتَحْيِي أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْ أَخِيهِ لِلْسُّلْمِ نَحْسُهُ وَقَوْلُهُ نَدَمَ عَلَيْهِ نَدَمَ تَوْبَةٍ
لَا تُضْلَعُ لَهُ صَدَقَ أَخِيهِ بِمَا تَوَقَّعَ وَسَكَنَ لَهُ رُبِّي فَوَيْرَ نَافِعٍ وَإِنْ كَثُرَ رَأَى عَمْرٍ
وَجَلَّةٌ يَقُولُ مَطْرُوفَةٌ عَلَى جِلَّةٍ أَصْبَحَ يَتْلِبُ كَفِيَّةَ عَلَى مَا لَحِظَ فِيهَا أَوْ خَيْرَ لِحْظٍ فِيهَا

وجملة البهائم والطيور حال أي وهو يقول: وقيل يجوز وقوع المجاميع ومير فروع
 جلاء: ولو كانت مشجراً جرياً من قلبه كما قال الشاعر: *أشجار من قلبه* *أشجار من قلبه*
 (وَأَلَمْ تَكُنْ) اقرأ جزءاً من القرآن ولم يكن تأنيده التهديئة لأن مير فروع
 ولو كان مؤثلاً لكان غلبه على الظهور وهو أنه من جنس، تنج كونه وعرفهم
 فيكون. كما في قراءة الجمهور: *وَأَلَمْ تَكُنْ* على قوله: *وَأَلَمْ تَكُنْ* أي لم تكن
 للمكانر التام: لم يكن قولي: (لَمْ تَكُنْ) خيلاً للبداهة الذي هو قوله: (لَمْ تَكُنْ) والجملة
 فيها التكرار: *وَأَلَمْ تَكُنْ* أي لم تكن. *وَأَلَمْ تَكُنْ* أي لم تكن. *وَأَلَمْ تَكُنْ* أي لم تكن.
 أي: وأما على قراءة الجمهور فيتمين لأن يكون في خبر ليس يكون في قوله: *وَأَلَمْ تَكُنْ*
 غير ذلك من أجل الاسم الظاهر التامة والجملة خبراً عن قوله: *وَأَلَمْ تَكُنْ* أي لم تكن.
 (بَنَصْرُونَهُ) نت لفتة على النفي ولو كان على القفل لكانت في نصرة: *وَأَلَمْ تَكُنْ*
 تخليقاً لما يلق عليه يكون أو يصح وصف حاله من فتنة وفتنة لهم ليكون في نصرة
 الخبر.

(مِنْ هَذِهِ) أي لم تكن له جماعة يصرفه على ذنوب (التي جعلها) ملاك
 غيره فيردوها له لم يصفوا عنها الملاك قول وقوله: *بِإِذْنِ الْقَاهِرِ عَلَى ذَلِكَ هُوَ إِشْرَاقُ*
 وحده.

(وَأَمَّا كُنْ مُنْتَهِيًا) لنفسه بقوة فهو التي لو يدفع عنها وذلك قد
 جاز على أن يكون قد دفعه لعدم توبة على أن يكون قد دفعه على ما فات
 من الدنيا.

ويجوز على الثاني أنه يكون النفي لم تكن له جماعة تنصرف من ذنوب الله
 فلدفع عنه عذاب الآخرة وما كان ينصرفا بنفسه على دفعه.
 (وَأَمَّا كُنْ) أي في ذلك المقام الذي هو الإجابة بشيء: (الْوَلَايَةُ) النصرة.

وقرأ حزة والكسائي بكسر الواو أى السلطان والملك (اللهُ) وحده لا يقدر
أحد على نصره بدمره أو المنع عنها أو لا يقاب أحد على الملك والسلطان فيمنع
الله منه تعالى فى الدنيا والآخرة من ذلك وذلك تقرير انوله : « ولم تسكن له
مئة ينصرونه من دون الله » أو هناك النصرة أو السلطان لله ينصر بهما أولياؤه
على أعدائه كما نصر المؤمن على الكافر بالإحاطة بشموه وتقدير مائه . ويدانسه
قوله بعد : « هو خير ثوابا وخير عقبا » أى عاقبة لأوليائه وقيد الإشارة بهنالك
إلى يوم القيامة أى لا يقول أحد أسر أحد يومئذ ولا ملك لأحد يومئذ كقوله :
« لمن الملك اليوم » أو الإقبال يومئذ إلى الله وحده ويعرض العابدون لغيره عما كانوا
يبدونه وفيه على هذا تلويح إلى أن قوله : « لا إلهنى لم أشرك بربى أحدا » إنما هو
لخضوعه وجزع وتلطف على الدنيا لا توبة .

(الحق) نعت لفظ الجلالة ولا يمنع إطلاق النعت والمنوت فى أسماء الله
باعتبار الألفاظ وإنما يمنع إذا أريد المعنى .

وقرأ الكسائي وأبو عمرو كما قال أبو عمرو الداني إلا حزة والكسائي كما
قبل بالرفع نعتا للولاية . وساغ ذلك لأن الحق مصدر نعت به المصدر يصلح
للمؤنث ولو لم يكن فيه علامة تأنيث .

وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التقطع أو على المنعوية الطبقية المؤكدة
للمضمون الجملة الذى هو ايس نفس معناها كقولك : أنت ابنى حقا أى أبقى الحق
المذكور .

(هو خير ثوابا) وغيره فان . ثواب مخلوق للمخلوق قابل ناقص فان بخلاف
ثواب الله أو هو خير ثوابا من غيره لو كان غيره فى الآخرة قادرا على الإثابة فهو
الرحمن الرحيم يثبت المؤمن على إيمانه وعمله يوم القيامة كصاحب ذلك للكافر

بما لا يحظر في القلب ولا حساب الجنة للكافر المذكور ولا لدنيا جيماً في مقابلة ثوابه يومئذ .

(وَحَقُّ عُنَّا) عاقبة المؤمنين بأن يردم إلى نعيم عظيم لا يفتى ويشقى فيظق قلوبهم من أعدائهم الكفرة كصاحب الجنة يا ذهاب أموالهم وإدخالهم النار .
وقرأ عاصم وحمة يسكون القاف تحقينا .

وقرى عني بالإسكان وألف التانيث والفتى واحد وهو الصبر والرجم .
(وَضَرِبَ) اذكر . (لَهُمْ) أى لقومك وفيه ما سر . (مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) هو صفة غريبة أو اذكر لم ما يحائل الحياة الدنيا في بصرها وزوالها بضرمة لا يغبر عنها .

(كَذَّابٌ) خبر محذوف أى من كاذب والجملة مستأنفة لبيان المثل للأمر بضره أو مقول ثان لا ضرب بمعنى صبر أو التكافى اسم مقول أول ويشمل ثان أو التكافى يدل على مثل .

(أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ) عطف على محذوف أى فضت مدة بسيرة فاختلط أو نزل ما بين الإنزال واختلاط منزلة القدم لقلته جداً إن جعلنا الاختلاط اختلاط عروق القواف بالماء ومبالغة في ترتيب اختلاط الشجر ببعضه ببعض بسبب الماء إن فسرنا الاختلاط باختلاط الشجر ببعضه ببعض أو لأنه لا مدغم أصلاً إن جعلنا الاختلاط اختلاط نفس الشجر بالماء أو القاء بمعنى ثم إذا فسرناه باختلاط العروق بالماء أو اختلاط الشجر ببعضه ببعض .

(بِهِ) أى بالماء والماء للإصاق أو المية .
(نَبَاتُ الْأَرْضِ) أى التصق بالماء أو اقترن معه والاصدق واحد أو التصق به عروق النبات أو اقترن معه ويجوز كونها السببية أى اختلاط النبات ببعضه

يتمش أو عروقاً بسبب الماء وذلك بأن كثرت الأعصاب والعروق والأوراق فالتفت
 وذلك فيما بين نبتة وأخرى وفيما بين أوراق نبتة وأوراقها وعروقها والمزائج النبات
 ما في ساق وما في ساق له
 وإذا جدت المياه للإلتصاق أو التماس كان في الكلام قلب أهله فاختلط نباتات
 الأرض لأن الأحق بإسناد الاختلاط إليه ما حدث على الآخر وثقته القلب
 للميلان في كثرة النبات حتى كان يتمش شيئاً إلى الماء ولأن كلام من المختلطين
 مجاور الآخر
 (قاصح) المطف على مخدوف أي طفت مدة فأصبح أو الفناء بطن لم
 والإصباح على الوجهين بمعنى الصبورة أي نصار . (مسيماً) أي تمشوماً أي مقروفاً
 ومقروفاً أو مقروفاً للنبات
 (تذكرة) تذكرة وتنقل من موضع لأخر . (الزجاج) وقراء عروقها والكتاف
 الريح بالإفراد وقراء ابن عباس تديره بضم الداء وكسر الراء من أنفوي يفتح ذري .
 والأصل في الكاف ونحوه مثل وشبهه ونحو ذلك من أدوات التشبيه الداخلة
 على الفرد أن تدخل على التشبيه لفظاً أو تدويراً نحو ك أو كدبيب أي كمثل
 ذروي شيب وقد تدخل على غير التشبيه كلفاء الآية إذ ليس المراد تشبيه حال
 الدنيا بالماء ولا بجزء مقدر بل تشبيه حالها في تغيرها وبهيمتها وما يعلوها من الحلاك
 والفتنة بحال النبات الحاصل من الماء يكون انحصر فاصراً شديداً المنقطة ثم يبلس
 فتطيره الريح كان لم يكن فذلك تشبيه عز كتب من حيثيات منزعجة فقد يبين أن من
 جعل الكاف فيها داخلة على مشبه به محذوف تديره كمثل ماء فيها انهموا ظاهراً
 لأن التشبيه به ليس من الماء ولو بالتجارب القليلة بما رتب على إزاله بل التشبيه به
 هو الماء والريجات عليه وأيضاً هو التدوير لا حاجة إليه ولا يجوز المقصود بخلاف

التنبيه في كتيب بيان الحقائق المذكورة فيه ما وقع فيه من الاحتجاج بالحق
الذي هو الحق في كل زمان ومكان في كل عصر

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُتَدَبِّرًا) قادراً قدوةً على كلِّ شيءٍ، وإليه
الاستيلاء وإنتهاها، تأسست بهيئته كلُّ شيءٍ من خلقه وملكه وملكوت

[illegible]

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) أى أعمال الخير ووصفت بالبقاء لبقاؤهن بعد موتها
وهى ثوابها فى الآخرة فإنه لا يفنى . وبالإصلاح لأنها مقبولة فى مرتبة طهيتها للثواب
وذلك يشمل لأواع الخير كلها من اعتقاد وكلام وعمل كالإيمان والصلاة والصوم
والحج والزكاة والصدقة والحمد والتسبيح والتكبير وقراءة القرآن والتعليم
والعلم والمرض والأسر بالمعروف والنهي عن المنكر . كما قال قتادة : شئ ما أريد
به وجه الله كما روى ابن عباس .

وروي عنه أيضا : الباقيات المالحات : قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وعنه أيضا الصلوات الخمس . وعنه الصلوات الخمس وتلك الكلمات . وعن الحسين : الفرائض .

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ : استكفروا من قول الجاهليات الصالحات
يقول : ما من إيا رسول الله ؟ قل : التكبير والتسليم والحمد لله ولا

حول ولا قوة إلا بالله . من ابن المسيب الباقيات الصالحات قول المبد : الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله العلي العظيم أخرجه مالك في الموطأ موقوفاً عن ابن المسيب .

قلت : وقد ورد في الحديث أنه لا يضرك بأيهن ابتدأت . فيجوز : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فيصدق عليهن أنهن الباقيات الصالحات على أى ترتيب . وقد ذكرت في صحيحى أذكاء حسنة وثواباً . ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس كما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ) من المال واللبنين فاعلموا أنها خير فارغبوا فيها .

(ثَوَابًا) جزاء أى جزاؤها خير عند ربك من المال واللبنين لأنه تام دائم .

(وَخَيْرٌ أَمَلًا) مصدر بمعنى اسم مفعول أى مأمولاً أى ما يرجو الآتي بهن

من الثواب في الآخرة خير من ذلك .

(وَيَوْمَ) عطف على عند أو مفعول لا ذكر محذوف أو يقول : ونقول لهم

يوم إلى آخره ومفعول هذا القول على هذا الوجه هو قوله : لقد نحذف أى

جثمتونا إلى آخره وعلى الوجهين الأخرين يكون قوله : لقد جثمتونا الخ مفعولاً

لنقول مقدر مستأنف بعد قوله صفأ أى نقول أو يقول لهم : لقد جثمتونا أو مفعولاً

لحال أى قائلاً : لقد الخ . وصاحب الحال ربك أو قائلين : لقد فيكون صاحب

الحال ضمير نقادر أو حشرنا أو نائماً لنقول . والقول حال من الواو في عرضوا أو

هاء حشرنا أى مفعولاً لهم : لقد جثمتونا الخ .

(نُسِفَ الْجِبَالُ) بالنون والتشديد ونصب الجبال أى نصيرها سائرة في الهواء ونجعلها هباء منثوراً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن طاهر بالتاء مضمومة وفتح اللثاء التحتية والتشديد ورفع الجبال . وقرئ تنسيف بالتاء مفتوحة وكسر السين وإسكان اللثاء التحتية ورفع الجبال .

(وَتَرَى) يا محمد أو يا منى تاتى ثمة الرؤية مطلقاً .

(الْأَرْضُ) بالنصب وقرئ وتترى الأرض بضم التاء والضاد .

(بَارِزَةً) ظاهرة ليس عليها ما يستترها بكونه عليها وكونها من ورائه كجبل وبقاء وشجر ونهات لزوال ذلك كله .

وقيل : المراد أنه يبرز للوقت منها وما فيها من كنز فيقدر مضاف إلى وتترى الأرض بارزاً مضمونها أو محورها أو مطروقتها أو نحو ذلك أو يقال : إنه من إسناد ما للحال للمحل فما لا حال فهو للبرزوز والحال الموقى والتكبريز والحل الأرض .

(وَحَشَرْنَاكُمْ) جمعناكم إلى الوقت بالشام اختسابهم والهاء الكفار بدليل قوله : لا بل زعمتم الخ ولو كان الحشر يوم المؤمنين والكفار وسائر الحيوان . وقيل : لا يحشر إلا الملائكة والإنس والجن .

ويحوز عود الهاء للمؤمنين والكافرين فيكون الخطاب في زعمهم للجموع لا للجمع والمراد به الكفار .

(قَمَّ مُنَادِرٌ) لم يترك يقال : غادره وأغدره تركه . ومنه المدر وهو ترك الوفاء والغدير الماء الذى خلفه السيل .

وقرئ يفادر بالثناة التحتية أى لم يترك الله (مِنْهُمْ أَحَدًا) بلا حشر بل حشر لكل .

(وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ) كما يمرض الجنيد على السلطان فمرهم أو يختبر
حالمهم أو لو أمرهم بأمسه فالآية على التمثيل ولو كان الله سبحانه لا تخفى عليه
خافية وأمره يدرهم أبدا كانوا

ولما عثر عن الحشر والمرض وعدم المفارقة بعبارة الماضي دلالة على أن حشرهم
والمرض وعدم المفارقة أمر لا يد منه كأنه قد وقع ومضى . ولما كانه مضي فإذا
يلم أوجىء بالحشر وعدم المفارقة بعبارة المضي للدلالة على أنهم يحشرون كلهم قبل
تسوية الجبال وپروژ الأرض ليعاينوا سيرها وپروژها والواو في وحشرناهم لامطف
ويتبادر كونها حالية على تقدير قد وبدون تقديرها على الخلاف في جواز كون
الجلال حلة فعلية فعلها يفاض متعريف مجرد من قد وحرف النفي .

(هَذَا) أي مصطفين لا يحب أحد أحدا لأنهم صنف واحد . وقيل : الزاد
صفا صفا : كل منهم صنف . وقيل : معنى صفا صفاين بأرجلهم أي قائمين . وقيل
للناس كلهم أو الذكرى البعث .

(لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا جِئْتُمَا كُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فرادى عرابة جفلة غدر مخنونين
لا مال ولا ولد . قال رسول الله ﷺ : إني أنبأكم أيها الناس تحشرون إلى الله حُمَاة
عُرَاة غرلا كما بدأنا أول خلق نبيه وعدا علينا إنا كنا فاعلين ألا إن أول الخلق
يكلم يوم القيامة إبراهيم . ألا وإني يؤتى برجال من أمي ويؤخذ بهم ذات
النهار فأقول : يا رب أصحابي . فيقول : إني لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما
قال العهد الصالح : «وكنيت عليهم شيئا ما دمت فيهم» - إلى - الحكيم «
فيقول : إني أنبأكم أن يزاولوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . فأقول : سبحا سبحا
أي بدأ . والبقرة : الجلدة التي تقطع من الذكر . قيل : المراد بهم الذين ارتدوا
من العرب ومنعوا الزكاة . قالت عائشة : الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى

بعض أهل قول: الأثر أشد أن يهتكم ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .
 وفي رواية عنها : أما يهتكم الناس يومئذ بقصمهم من بعض ؟ قل يا أيها المشركون
 أن ينظر بعصمهم إلى عورة بعض . (١)
 (ب) (لجرود الاعتدال من قصه الخوف) كذا قال (رحمه الله) أن يهتكم من
 الشبهة (أن كن تجادل لكم مؤيدون) وماذا نؤيدونك البتة (أ) أو وقت الوفاء
 يومئذ البتة وزعم أن الآية إما يكذبون في دعواه ، هي البتة . (٢)
 (ووضيح الكتاب) جنس الكتاب كتاب المؤمن في عيشة وكتابه
 الكافر في شقاء . ويجوز كون المراد الكتاب الواحد الذي كُتبت فيه أعمال
 الخلق كلها . ويجوز أن يراد بوضع الكتاب وضع الحساب فيكون عمله بالخالفون
 ما أجزأهم من الشؤ والكتابين أجلا وأما أن يكون المراد وضع الكتاب في ذلك
 الميزان .

(قَتَرِي الْمُبِرِينَ مُشْفِقِينَ) خائفين قاتلين (مِمَّا فِيهِ) من الذنوب .
 (وَبِقَوْلِهِمْ) عند معادتهم (يَا وَيْلَتَا) خلاصة كقول القائل :
 وإني أتساءل وأظنهم . والقول : القتل كما كانوا يظنون أنهم قاتلون ما بين
 الملائكة . والقول مصدر لا فعل له من القتل . وقيل : قتله والجمعى ملك .
 (مَا لِهَذَا الْكِتَابِ) ما مبتدأ استغفانية استغفام فليكن واللام جارة
 الاسم الإشارة محلا وتعلق بمحذوف خبره .

(لَا يَذَرُ) لا يترك من ذنوبنا (ضَيِّقَةً) أي خضلة أو نكتة متدهرة
 (وَلَا كِبِيرَةً) أي أخصاها (إِلَّا عَذَابًا وَأَعْقَابًا)
 روى عن ابن عباس أن الضيقة : التيسم ، والكبيرة : التهمة . ولعل مراده
 التيسم والتهمة عند منعتي التيسم أو التهمة عند العظمة أو عصية غيره أو

حكاية مصيبيته أو حكاية غيره أو عند مصيبة غيره أو في القبرة أو عند الأذان أو في المسجد أو في مجلس الذكر أو القرآن .

وقيل : لا يكون شيء من ذلك كبيرة إلا ضحك الإنسان عند مصيبيته بنفسه وعن سعيد بن جبير الصغيرة : المس والقبلة ، والكبيرة الزنى ، وقال سهل بن سعد : قال رسول الله ﷺ : إياكم ومحقرات الذنوب فإن محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا وانما جاء كل واحد بمود ما نضبوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لموبقات أى مهلكات .

(وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاقِرًا) في كتابهم قليله وكثيره وصغيره وكبيره أو وجدوا جزاءه حاضرا حيث كتبت صفائهم ووقبوا بها لأنهم لم يحتسبوا الكبار . وكان الفضيل إذا قرأ : « يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » قال : ضجروا والله من الصغائر قبل الكبار .

(وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا) أى لا يكتب على أحد ما لم يفعله ولا يذب به بلا ذنب ولا يزيد في عقابه على ما أوجبه ذنبه ولا ينقص من ثواب مؤمن .

(وَإِذْ) واذكر يا محمد إذ (قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) اخضعوا له أو اسجدوا له سجود انحاء لا وضع جبهة تحية له أو اسجدوا لله عند آدم أو إلى جهة آدم وذلك كما نسجد إلى الكعبة .

(مَسْجُدُوا) له . (إِلَّا إِبْلِيسَ) استثناء منقطع فإن إبليس ليس من الملائكة لكن لما كان ناشئا فيهم عابدا بعبادتهم مخاطبا بمخاطبتهم حتى استثناه ولسببا أن قوله تعالى : « اسجدوا » شامل له بالقصد والقرينة ولو كان موجبا إلى الملائكة .

(كَانَ مِنَ الْجِنِّ) الجملة مستأفة لتعليل أحوال بدون تقدير قد . وبتقديره

وهو أبو الجن وواحد منهم كما أن آدم أبو البشر وواحد منهم هذا هو الصحيح وعليه الجمهور . وهو قول الحسن ويدل لذلك قوله : وذريته فإن الملك لا ذرية له ولا تطابق عليه ولو بمعنى أتباعه ويدل له أيضا قوله : (فَتَقَى) خرج .

(عَنْ أَمْرِ رَبِّي) إياه بالسجود فالأمر مصدر أو عن الأمر الذي أزمه الله من الأمور وهو السجود فليس بمصدر . ووجه الدليل من ذلك أن قام العطف الإضافة على جملة تدل غالبا على أن ما بعدها مسبب عما قبلها فكأنه قيل : فسق عن أمر ربه لأنه من الجن لا من الملائكة ولو كان منهم لم يفسق فإن للملائكة مسطورون عن العصية .

وقال بعضهم عن ابن عباس : إن نوعا من الملائكة يقال له : الجن خلقوا من نار السموم وآتهم للرادعنا وإن إبليس منهم .

وقال بعضهم عن ابن عباس : إنه ملك رئيس على للملائكة . ولما خالف الأمر مسخ وطرد وغير وكان شيطانا بالسخ وحكم بعض أصحابنا بالكفر كفر للشرك على من قال : إنه ملك . وذكر الزمخشري أن كونه ملكا لم يثبت عن ابن عباس . وقيل : إن الجن اسم لفريق للمفسر الذي لا يرى سواء كان من الملائكة أو من الجن للقابل للإنس والاستثناء على هذا باق على انقطاعه وعلى القولين قبله متصل .

(أَمْتَحِدُونَهُ) أي اتلمسون بعقده من أمر ربه فتتخذونه بعد ذلك والاستفهام إنكار ونسب . (وَذُرِّيَّتَهُ) عطفا على الهاء أي وأولاده . وقيل : أتباعه سمما ذرية مجازا .

(أَوْ إِيَّاءِ مِنْ دُونِي) تطيعونهم من دوني أي تلونهم بالطاعة من دوني . (وَتَمَّ لَكُمْ دَعْوُكُمْ) يريدون هلاككم في الدنيا والآخرة . فقر الله عز

وجل الناس عن اتباع إبليس بعد أوله القديمة بينه وبين أيهم المتصلة إليهم وذكر
قصة إبليس المذكورة بعد ذكر التحار للكاثر بحته على صاحبه المؤمن تهيبها
لافتخاره بأن الافتخار من صنيع إبليس إذ قال : « أنا خير منه » الخ ونصل
بينهما بالترديد في الدنيا بسرعة زوالها ولا تكرر قصة في القرآن إلا لتسكتة
وسكن الياء من قوله من دوني غير نافع وأبي عمرو .

(يَسْأَلُ لِقَاءَ إِبْنَيْ) أقسمهم بالسعي فيما بهلكتها وفاعل يسئ ضمير مستتر
حائد إلى مبهم نسره قوله : (بَدَلًا) وهو تميز أى بدلا من الله والخصوص بالذم
محذوف تقديره إبليس وذريته .

(مَا أَشْهَدْتُهُمْ) ما جعلتهم شاهدين أى حاضرين . وقرئ ما أشهدناهم
تعدي لاثنيين بالهمزة والثاني هو قوله : (خَلَقَ) وهو مصدر مضاف لمعولة
وكذا الذى بهد والهاء عائدة إلى إبليس وذريته فكانه قيل : ما أشهدت إبليس
وذريته خلق (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ (أى ما أشهدتهم خلق
السموات والأرض ولا أشهدت بعضهم خلق بعض فسيلا عن أن أتوى بهم
وأستعين بهم على خلق السموات والأرض وعلى خلق أنفسهم فكيف يكونون
أهلا لعبادة مع أنهم ليسوا بخالقين ولا معبدين على الخلق وإنما يستحق العبادة
الخالق والإشراك في استحقاق العبادة بسفازم الإشراك في الخلق .

وقيل : الهاء في أشهدتهم وأنفسهم قائدة للمشركين فيكون الكلام على
طريق الالتفات من الخطاب إلى الانبياء أى ما أشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم
بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آتوا تبهم الناس كما يزعم عبيدة وأمية :
والتبادر رجوع الهاء إلى إبليس وذريته . وقيل : هي عائدة إلى الملائكة

فأما خلق الإنسان فمن الغراب بواسطة خلق أبيهم منه وهم من نطفة نوح أما الجن
فمن نار السموم بواسطة أبيهم الأول وهو إبليس . وقيل غيرهم يوم بدأ الأول من
نطفة كيمي آدم بأزواجه
قال مجاهد عن الشعبي : إن الله أفاض ذلك يوم إذ أنزل جلال الله صاحب الجبال
سائين أوراخ فقال : أخبروني هل لإبليس زوجة ؟ فقلت : لا . فقلت ذلك للعرس
ما شهدت به يريد أنه لم يتزوج . فالتفت إلى حطوره العرس عن عدم وجود العرس
وبعد من وجود العرس عن عدم الزوجة قال : ثم ذكرت قوله عن رجال أذا فتحت مغفله
وذريته . فقلت : لا ، فتكون ذرية إلا عن زوجة . فقلت : نعم له زوجة . . .
وقيل : إن إبليس وذريته يدخلون أذنابهم في أديارهم فتكون في أديارهم
بينهم وبين الجنة البهية عن مجاهد عن الحسن

وقيل : إن في السموم الحيوان ذكر ؟ وفي اليسرى رجلان يمشيان خلفاً بعضهم يتكلمون
بلسان البيض المذكور

قيل : من ذرية إبليس وإبليس وولطان وهو صاحب الطهارة والصلاة يرسوس
فيهما والمطاف ومرة وبه يكنى . وزنبور وهو صاحب الأسوار يزين الأمن والحلف
الكاذب وملاح السليم . وتبور وهو صائب الصائب يزين خش الوجه وأطم الخلد
وشق الجيب . والأمور وهو صاحب الرزق يتفخ في ذكر الرجل وفي عجز المرأة
وقبيلها ويزين للمرأة ولو كانت قبيحة حتى تكون أجمل من الجميلة . ومطوس وهو
صاحب الأخيار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يحذرون لها أصلاً . وداسم وهو
الذي يدخل مع الإنسان بيته إذا لم يعلم ولم يذكر الله فيه مكره ما ترك العيال ولم
يرفوه وما وضعوه في موضع لا يحسن وما أقصدوا فيه مكرهم ويغفل عنهم . . .

قال الأعمش : ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فأرى مطارة .
فأقول : ارضعوا وأخضعهم . ثم أذكر فأقول : داسم داسم .

وقد أخرج الربيع بن حبيب رضى الله عنه بسنده والترمذى عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ : إن لوضوء شيطانا يقل له : الوهان فأتقوا وسواس الماء لكن فى رواية الربيع لبدء الوضوء .

وأخرج البخارى ومسلم عن عثمان ابن أبى العاص قلت : يا رسول الله إن للشيطان قد أحال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على فقال رسول الله ﷺ : ذلك شيطان يقال له خرب فإذا أحسسته فعمود بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثا فقلت فاذبه الله عنى .

وأما الملائكة فأجسام نورانية خلقهم الله تعالى من حيث شاء أو من نور . وقد روى أن جبريل ينفس فى بحر من نور فينفض فيخلق الله من رشاشه ملائكة . وروى أنهم يخلقون من الصلاة على رسول الله ﷺ .

(وَمَا كُنْتَ تَتَّخِذُ الْمَضِلِينَ) انهم عن دين الله والمضلون هم المشركون أو إبليس وذريته على الخلاف فى مرجع الماء المذكورة فيكون من وضع الظاهر موضع المضمر ذمًا لهم واستبعادا لأن يتخذهم الله عضدا وهذا مع ما يملأه تصريح بنى اتخاذهم عضدا بعد التلويح إليه بنى إثمهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسهم من حيث إن إحضارهم ذلك اعتضاد بهم .

والعنى : كيف اعتضد لدينى بمن يصد عنه وقد مر أنه قيل : الهام المشركين . وبطلان قراءة بعض وما كنت بفتح الهمزة خطابا لرسول الله ﷺ أى : لست تلقت إلى نصر الدين بهم طمعا فى قولهم : لو أسلفنا لأسلم الناس ولا يصح لك ذلك :

وقرأ على متخذنا بالتورين فيكون للضلين منصوبا على الضعولية وهو الأصل والإضافة تخفيف عنه .

(عَصْدًا) أعصاها في نصر الدين أو في خلق السموات والأرض وخلق أقمهم ، وهذا الوجه الثاني إنما هو على قراءة ضم الفاء .
وقرى بإسكان الصاد تخفيفا . وقرأ الحسن بنقل ضمها إلى العين فتكون ساكنة تخفيفا .

وقرى عضدا بضم العين والصاد وبفتحة جمع عاضد كدم وخدم وراصد ورصد من عده إذا قواه .

(وَبَوْمَ) أى واذكر يوم . (يَقُولُ) الله عز وجل للكافرين وقرأ حمزة بقول بالدون .

(نَادُوا) هذا أمر . (شُرَكَائِي) أصناف الشركاء لنفسه على زعمهم تويضا وتقريبا .

(الَّذِينَ زَعَمُوا) أى زعم أنهم شركائي أو أنهم شفاء بمنونكم من المذاب والراد ما عبدوا من دون الله . وقيل : إبليس وذريته أو هو وأتباعه فإن المشركين زاعمون بعبادتهم أنهم شركاء لله إذ عبدوه كما يجب الله .
(مَدَعَوْهُمْ) هذا إخبار أى نادوهم استغاثة بهم .

(فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لعدم حضورهم فكان قيل : فلم يجردوهم في تلك الحال فضلا عن أن يستجيبوا لهم بالقرآن ويستقرنون بهم في النار أو غابوا عنهم فدعواهم فغفروا فلم يستجيبوا لهم لأنهم لا طاقة لهم أن يدعوا عن أنفسهم فضلا عن أن يدعوا عن غيرهم .

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين المشركين وشركائي الذين زعموا شركاء لي وم

الأولئك أو إبليس وقريبه أو إبليس وأتباعه ، وقيل : أهل الهدى وأهل الضلال .
ويناسبه إجازة الزمخشري أن يريد الملائكة وعزيراً وعيسى وصريح وعابديهم .
(مؤلفاً) اسم مكان من وبق يبق أى ذلك أى مكان الملاك جعلوا
مشاركين فيه وهو النار وخلاكم هو المذاب للشديد .

وقال ابن عباس : هو واد من أودية النار كان بينهم شركة يجمعون فيه
للمذاب .

وقيل : شهر يسيل نازا على حافته حيات وعقارب مثل البغال الذم .

ويجوز أن يكون مصدراً ميبياً وهو مقتضى قول الحسن : موبقا عداوة من
وبق إذا هلك تشبه العداوة بينهم اشتدتها بالهلاك فسموها باسمه ، أو سمي السبب
وهو العداوة باسم السبب وهو الهلاك فإن العداوة في الجملة سبب للهلاك ، أو سمي
للازوم باسم اللازم أو هو من مجاز الأول كقوله تعالى : « إني أراي أعصر
خمرأ » جعلنا بينهم عداوة فتول إلى عذاب شديد كأنه هلاك وتلف كقول عمر :
لا يكن حبك كلفاً ولا بنضك تلفاً . أى لا يكن حبك حباً شديداً كالشيء
المكتسب المبالغ فيه بل أحب هوناً ما أو لا يكن حبك يجر إلى التكلف ولا يكن
بنضك يجر إلى التلف لشدة بل أفة هوناً ما .

وقال الفراء : أبين الوصل أى جعلنا وصامم في أديا هلاكاً يوم القيامة
فليكون بينهم مصدراً مضافاً للتفاعل بخلاف تفسير غيره فإنه ظرف وإذا جعلنا
الضمير في قوله بينهم عائداً إلى أهل الهدى وأهل الضلال أو إلى الملائكة وعيسى
وعزير وصريح وعابديهم فالمراد بالسانة البهيمة لأن المؤمنين في مكان أعلى وهو
الجنة والكفار في مكان أسفل هو النار .

(أَأَمُّ مُؤْمِنُونَ) على يسرها بالوقوع فيها

اسم مكان أى موضع انصراف وهو من الصرف اللازم بمعنى الرجوع عن الشيء .

وَالْحَالِ يَخْدَعُ عَنْهَا مَهْرًا لَهَا لِحَاظِ بَرِّهِمْ وَيُغْتَرِبُ الْخَارِجُ بِاللَّهِ مِنْهَا أَوْ

لأن فلائكم يسوقهم إليها -

وكم زان قدر عذوف أي تظنوا أنهم موافقوا فواقعوا فلم يجدوا أن

منهم من لا يظنوا به من كل جانب وقد وقع فيه فها هو أو لأن اللانكحة

وَمِنْهَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا وَغِيَرًا حَالًا مِنْ مَعَهُمْ فَأَوْتَقْنَاهُمْ إِنْ

وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَبِّكَ فَقَالَ غَدًا أَوْفِيكَ وَجَاءَ الْغَدُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَآتَيْنَاهُ الْبَرْقَ زَيْدًا وَمَا الْقَوْمُ فِيهِ إِلَّا لَعِينٌ

المجلد الثاني: التاريخ والسياسة

وَأَجْرُورٍ وَمُطَرِّفٍ بِالْقُدِّيمِ وَالْقَبِيلِ

(ولقد صرفنا) بينا. (في هذا العرايم للناس) من هذا المال الذي جعلوا له

میرزا محمد رفیع ای میرزا فی ہذا القیاس ان لیسای مایحہ جون ایہا ہی یل مثل من

الذي يضمن متعلقاته بمخروف حال من النعمان ويحسب ان يكون ايمان اي

ما يحتاجون إياه وهو يتقو كل مثل والنمل هذا الدوع

(وَكَانَ الْإِنْسَانُ) الجنس الكافر. وقال ابن عباس: أراد البغير.

الحارث لأنه يجادل في القرآن . وقيل : أبي بن خليف .

(أكثر من) يمكن من الجليل بالهاطل كالجو وأما لا يمكن منه فلا

يدخل في الكلام لأن التفضيل إنما يكون بين مشغرين في صفة.

(جَدَلًا) خصوصاً بالباطل وهو تمييز ومحور أن يراد بالإنسان الكافر وغيره.

وما جدل الجدل بالباطل وغيره بمعنى أنه أكثر خصومة فتدخل اللائكة في لفظ

شيء لأنهم قد قالوا : « أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » فإنها جدال عاتبهم الله عليه فيها قيل ولا تقول : إنه جدل معصية هذا ما ظهر لي من جواز إرادة العموم في الإنسان والجدل ثم رأيت الخازن قال : وقيل : إن الآية على العموم وهو الأصح .

روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلا فقال : ألا تصليان فقلت : يا رسول الله أغشنا بيد الله تعالى فإذا شاء بشنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا حتى سمعته وهو مول يضرب نحره وهو يقول : وكان الإنسان أكثر شيء جدلا .

(وَمَا مَنَعَ لَكَ) أراد الحقيقة الصادقة بالآ أكثر أو يقدر مضاف أي وما منع أكثر الناس وأراد الكفار أو كفار مكة .
(أَنْ يُؤْمِنُوا) أي من أن يؤمنوا .

(إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى) وهو رسول الله ﷺ والقرآن والوحى . وتسمية ذلك هدى مبالغة في اتصاف ذلك بتسبيه في الاعتقاد حتى إنه نفس الهدى أو الهدى الإرشاد بذلك أعنى برسول الله ﷺ والقرآن والوحى وإذ متعلق بمنع أو يؤمنوا .

(وَيَسْتَغْفِرُوا) معطوف على يؤمنوا أي ومن أن يستغفروا (رَبُّهُمْ) من ذنوبهم كأنه قيل : وما منع الناس من الإيمان والاستغفار ولك أن لا تقدر من فيكون المصدران مفعولين لمنع لكن ثانيهما بواسطة المطف وهو مصدر يستغفروا فإن منع يجوز تعديه لاثنيين والأول للناس .

(إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ) فاعل منع في تأويل المصدر .

(سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) هذه الإضافة بمعنى في أو لام الاستحقاق ويقدر مضاف آخر بل الاتقان أى إلا طلب إتيان مثل سنة في الأولين أو انتظار إتيان مثل سنتنا أو تقدير إتيان مثل سنتنا في الأولين أو معنى عذاب الاستئصال .

(أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر .

(قُبُلًا) وقرأ الكوفيون قبلًا بضمين وقرأى بفتحين وهما لسان فيه ومعنى ثلاثانة واحد وهي المائنة واللقاية وعن مصادر والنصب على النعوية المطلقة أى إتيان مقابلة خفيف للضارب أو يضمن أى معنى يحال أو حال مهاللة أو بالتحويل بالوصف أو بتقدير مضاف أى ذا قبل لا فوى قيل صاحب الحال العذاب أو الماء فى آتيتهم .

ويجوز فى قراءة الكوفيين كونه جمع قيل كرهول ورسول ونذير ونذر فيكون حالاً من الماء ومعناه أنواع .

وزعم بعض أن معنى قبلًا يكسر ففتح أو ففتحين أو ضمين فحة وليس ذلك المنع جبراً لولا م قاصدين إتيان سنة الأولين أو إتيان العذاب قبلًا ولكن المعنى أنه قد أوضح الله عز وجل لهم ما يأتون وما يذرون وزال عذرهم فبقى أن تأتيتهم سنة الأولين أو العذاب قبلًا ثم جعلوا كآهم هالون بإتيان سنة الأولين أو العذاب وأن انتظار ذلك هو المانع لوضوح الأمر ويقدر لفظ قبلًا لثانى الأول أو يحمل المذكور له ويقدر مثله لياى .

(وَمَا نُزِيلُ لِلْمُتَرَلِّينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) المؤمنين بالجنة ورضى الله سبحانه وتعالى .

(وَمُنْذِرِينَ) مخوفين للكافرين والمذمومين بالنار وسخط الله .

(وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) كطرب الآيات تفتاً بعد ظهور المعجزات

وكأنهم قال من قصة أصحاب الكهف وفي القرآن والروح وقولهم : « أبيت الله
بشرآ رسولا » وقولهم : « ما أنتم إلا بشر مثلنا » ونحو ذلك .

(لِيَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الَّذِينَ يَلْبِسُوا بِالْجَدَالِ أَوَّالًا بِالْبَسْطِ) للقرآن والوحي
عن مترها ويطلبوها ، من قولك : دحضت قدومه أي زلقت وأدحضتها أزالها
عن موطنها .

(وَاتَّخَذُوا آيَاتِي) أي القرآن .

(وَمَا أَنْذَرُوا) ما اسم موصول والرباط مقعول فان محذوف أي وما أنذروا
وهو العتاب بالنار والأول هو الواو لأن أنذر قد يفسد لاثنين ويجوز تقديره
مجرورا بالباء على التثنية أي وما أنذروا به وهو العتاب بالنار .

وإنما قلت على الآية لأن الموحصول لم يجر بالباء ولم يكن تاملا مستويين
معنى ولفظاً أو معنى .

ويجوز كون ما مصدرية فلا يحتاج لربط أي واتخذوا آياتي وإنذارهم .

(هُزُوا) استهزاء وهو للفعول الثاني لا تخذ .

ويجوز كون ما تالية وهو ما متعولا ثانياً ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي
واتخذوا آياتي هزوا وما أنذرناهم بأنهم يحق أن يستهزأ به بل بأسر عظيم حتى يجب
أن يتأهبوا له فتكون الواو لئلا كذا ظهر لي أنه يجوز وما مر أولى لسلامته
من الحذف .

وقرى هزوا بشكون الزاى وهو ما يستهزأ به وليس ذلك قراءة حمزة وخلفه
إلا في رواية حميفة ولذلك لم يذكرها أبو عمر والداني ولذلك ذكرها القاسمي
غير منسوبة إليهما ولو صحت عنهما عنده لأستدعا إليهما .

(وَمَنْ أَظْلَمُ) الاستفهام إنكارى أي لا أظلم لنفسه .

(يَمْنَنُ دُكْرًا) وعظ .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) (فَأَعْرِضْ عَنْهَا) لم يذكروها فلم يؤمن .

(وَأَنسَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها وفي أن

الحسين واليحيى لا يدان بها مع هؤلاء النصارى . نسيان ترك وعدم مهالة لادخال عن
الحافظة لأنهم يتذكرون كثيرا مما عملوا ويحفظون كثيرا إلا أن يشبه عدم المهالة
به ينسونه . وأسند التقديم للبهدين لأن أكثر الأعمال في الجنة ما للبهدين بأسند التقديم

إلا أولها فها هو فعل قلب أو جهة أو جارية أخرى .

(إِنَّا جَمَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً) جمع كنهان أي غطاء جمع قلب يوزن أصلة

أصله أكنفة قلت كسرة التنوين الأول فكاف وأدغم التنوين في التنوين والمراد

الكثرة وليس جبراً على الحقيقة . وعن أن يفهم القرآن به حقائق الله وتعالى بل

خفلان يسوء اختصارهم لأنهم كما يقول : « وطبع على قلوبهم » أي خذلوا .

والجدة مسيئة لتجمل قوله : أعرض وقوله : نسي ونسيهم الجدة في قوله على قلوبهم

وما بعده عائدة إلى مَنْ نظراً لما هنا من عدد الأمراد لا نظراً لفظها .

(أَن يَفْقَهُوهُ) أي من أن يفهمه أو من أن يفهمه لفهمين أكنية معنى

ميرانج أولئك أن يفهموه خذفت لام التمجيد ولا الهاتمة ومعه تكلف . وأولى منه

أن يحيل مفعولاً لأجله على حذف مضاف أي كراهة أن يفهموه ومعه يفهموه يعلموه

والهاء عائدة إلى آيات ربه وذكرت وأفردت لأنها بمعنى القرآن .

(وَفِي آيَاتِهِمْ وَقْرًا) صمما بينهم أن يستنبهوه حق استماع وهو الاستماع

للحوادث القلب المترتب عليه العمل بمنفعي المسروع وفي آياتهم مطوف على قوله :

على قلوبهم ووقراً مطوف على أكنية عطف بمسولين على معمولي عامل .

(٩ - هـ - بيان الزاد)

(وَأَن تَدْعُهُمْ) يا محمد (إِلَى الْهُدَى) الحق والقرآن والوحى .

(فَلَن يَهْتَدُوا) أى لن يطاعوكم فيما دعوتهم إليه لجل الأكنة على

قلوبهم والوقر فى آذانهم .

(إِذَا) جواب لدعائه ~~وَلَمَّا~~ إِيَّاهُمْ وجزاء له على تقدير قوله : ما لى لا أَدْعُوهم

عِان حرصه على إيمانهم يدل عليه .

(أَبَدًا) تحقيقًا لا تقليدًا لأنهم لا يفتقرون ولا يسمون لجل الأكنة

والوقر المذكورين وذلك فى أقوام علم الله أنهم لا يؤمنون .

(وَرَبُّكَ الْغَفُورُ) البليغ المغفرة كثرة وِعَظَمًا .

(ذُو الرَّحْمَةِ) المتصف برحمة الدنيا والآخرة .

(لَوْ يُوَاخِذُكُمْ) فى الدنيا . (بِمَا كَسَبْتُمْ) من الذنوب .

(لَعَجَّلَ لَهُمُ الْمَذَابَ) فى الدنيا ألا ترى يا محمد كيف أضرت قريش على

الكفر وعداوة الرسول والقرآن والوحى فلم أعجل لهم المذاب واللام فى لهم بمعنى

إلى أو للاستحقاق .

(بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) وعد أو زمان يوعدون إليه أو مكان يوعدون أن يمدوا

فيه فموعد مصدر أو اسم مكان أو زمان وذلك وعد بدر أو وقته أو بدر أو وعد

القيامة أو زمانه أو مكان يحشرون إليه من الموقف وهو النار واللام للاستحقاق

ولهم خبر وموعد مبتدأ أى لهم موعد للمذاب أو لمذابهم موعد .

(لَن يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا) منجى أى نجاة أو مكان نجاة أو زمانها

يقال : وأل بهيمة مفتوحة أى نجاة . ويقال : وأل إليه كذلك أى النجاة فكأنه

قيل ملجأ أى للنجاء أو مكانه أو زمانه والماء فى من دونه راجعة لموعد . والجملة

فدت موعد .

(وَتِلْكَ الْقُرَى) قرى عاد وثمود ونحوهم. القرى نعت تلك أو بياته أو بدله
كما لا يخفى. وتلك مبتدأ خبره (أهلكناهم) أو موصوب على الاشتغال بمحذوف
يفسره أهلكناهم.

وإن قلت: كيف صح الإخبار بأهلكناهم أو الاشتغال فيه مع أن الماء فيه
ليست لتلك القرى؟

قلت: الماء لتلك القرى على أن تلك القرى بمعنى الناس الساكنين فيها
تسمية للحال باسم المحل ولأحد للتجاوزين باسم الآخر أو يقدّر مضاف أي وأهل
تلك القرى قبل أو التقدير: تلك أهل القرى على أن أهل بدل لتلك ويحذف
محذوف فاجب عنه المضاف إليه وزاد بوجه آخر هو المفعول

(لَمَّا ظَلَمُوا) أنفسهم بالشرك والطغيان كما ظلمت قريش أنفسهم بذلك
(وَجَعَلْنَا إِيْمَانَهُمْ) مصدر جنى من أهلك أي لإهلاكهم أو زمان
لأنه مكان أي لموضع إهلاكهم تأو زمانه وبذل المصدر قراءة أي بكر هذا كالمثل
يفتح اليم وإبقاء اللام على الفتح بعد اللوا لأنه لا يفتح للام كاليم على أنه من هلك
على أنه مصدر لأن المصدر من يفعل بكسر العين كيهلك فوايه الفتح كما قال
ابن مالك: في غير ذا عينه ينتج مصدرا.

وقرأ حفص هذا والمثل يفتح اليم وكسر اللام شذوذا لأن القياس فتح اللام
لأنه مصدر من هلك يهلك.

ويحتمل أن يكون اسم مكان أو زمان فلا يشذ لكسر قول ابن مالك:
وسواء اكسر.

(مَوْعِدًا) أي موعدا المهلكهم لا يتخلف بتبديل ولا تأخير ولا تقديم
فاعتبروا بهم ولا تغفروا بالإمهال فإذا جعلنا المهلك مصدرا فالموعد مصدر

في أبواب الدين وتقول : لا بدع في أن يأخذ نبي عن نبي وإنما الذي لا يقصور هو أن يأخذ عن غير نبي ما هو من أمر الذين .

وإن قيل : إن الخضر ليس نبيا كما هو مذهب أكثر أهل العلم لم ير علينا لأن الله سبحانه هو الذي أمره بالاجتماع مع الخضر ووصفه له بالعلم وأوحى إليه أنه أعلم منك .

وأبضا علم الخضر علم الباطن وعلم موسى علم الظاهر فلم يفتقد فلم يمنع أن يكون واحد من الأمة أعلم من نبيا في غير العلم للتعبد به نبيا ثم إن الخضر إن كان من بني إسرائيل فهو من أمة موسى إذا قلنا بقول الأكثر : إنه غير نبي ولا يكون أحد من الأمة أفضل من نبيا ولو احتص بشيء عنه وإن لم يكن من بني إسرائيل فقد قال الله تعالى إني إسرائيل : «وَأَنى فضلكم عن العالمين» أي على زمانكم .

(لِقَاءُ) يوشع بن نون بن أفراتيم بن يوسف على الأصح وهو ولي عهد موسى بعد موته وإنما سماه نبي له لأنه كان يتبعه بحلمه ويأخذ منه العلم .

وقيل : قتاه هو أخو يوشع .

وقيل : قتاه : عبده . قال رسول الله ﷺ : ليقتل أحدكم قتاه وفتاه ولا يقتل : عبدي وأمي .

ويدل الأول ما رواه البخاري ومسلم عن سعيد بن جبهر قلت لابن عباس : إن نونا البسكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بن إسرائيل فقال ابن عباس : كذب عدو الله حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فمستل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فمستل

الله عليه إذ لم يرد العلم إليه أى إذ لم يقل : الله أعلم أكان أحد أعلم منى أم لا
فأوحى الله إليه : إن لى عبداً بجميع البحرين هو أعلم منك .

قال موسى : يا رب فكيف لى به ؟

فقال : تأخذ منك حوتا فتجعله فى مكثل وهو الزنبيل . وقيل : الزنبيل :
الذى يسع خمسة عشر صاعا . وأقول : هو متاع يعمل من الخوص ونحوه يحمل فيه
التراب ونحوه .

وروى : تجمله فى متاعك فحيثما فقدت الحوت فهو ثم وأخذ الحوت فجعله فى
مكثل فانطلق ومعه فتاه يوشع بن نون ففصر الفتى بيوشع .

وروى الحسن بن حماد عن سعيد بن جبهر : جالست عند ابن عباس وعنده
نفر من أهل الكتاب . فقال بعضهم : يا ابن عباس إن نوفل بن كعب يزعم
عن كعب أن موسى الذى طلب العلم إنما هو موسى بن ميثا . قال ابن عباس :
كذب حدثني أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ تسليما أن موسى بنى لإسرائيل
سأل ربه . قال : يا رب إن كان فى عبادك أحد هو أعلم منى فدائى عليه فقال : نعم
فى عبادى من هو أعلم منك وهو الخضر فأذن له فى لقائه .

وروى هارون بن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال : سأل موسى ربه ال :
يا رب أى عبادك أحب إليك ؟

قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى .

قال : فأى عبادك أوفى ؟

قال : الذى يقضى الحق ولا يثبغ الهوى .

قال : فأى عبادك أعلم ؟

قال: الذي يدعني علم الناس إلى حله عني أن يصيب كلمة تهدي به إلى الذي
أو تترده عن ردي .

نقال : فهل في الأرض أعلم مني ؟

قال : نعم .

قال : يارب من هو ؟

قال : الخضر .

قال : فأين أطلبه ؟

قال : اطلبه على الساحل عند الصخرة التي يتقلب منها الحوت حيناً فتزود
ممكاً مملحاً وخبزاً تأخذ حوتاً في مكثك حيث قدته فهو ثم .

وروي عن العوفي عن ابن عباس : لما ظهر موسى وقومه على مصر أزل قومه
مصر فأنزل الله سبحانه عليه أن ذكرهم بالأمم الله فخطب قومه وذكر ما آتاهم الله
من النور والنعمة إذ نجاهم من عدوم واستخلفهم في الأرض وقال : كلم الله نبيكم
تسليماً واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاهم من كل ما سألتموه فنيبكم نبي
أهل الأرض وأنتم تقرؤون للتوراة فلم يترك نعمة أنعم الله عليهم بها إلا ذكرها .

نقال : رجل من بني إسرائيل : قد خرجنا الذي يقول فيل على وجه الأرض
أعلم منك ؟

قال : لا . فباب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله فبث الله إليه جبريل عليه
السلام فقال له : يا موسى يقول الله لك : يا موسى ما يدريك أين أضع علي ؟ إن
لي عبداً بجميع البحرين أعلم منك .

فسأل موسى الله أن يريه إياه فأوحى الله إليه : أن ائت البحر فانك تجد علي
شاطئ البحر جوتاً نخذه وإدنه إلى فتاك ثم أزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت

وذهب منك ثم تجد المبدأ الضال فذهب فاحذر الخوف لا تملأه وتكون له قفاه ولزما شاطئ البحر بمشيان يوماً وليلة .

وروى أنه لما خطبهم وذكرهم بالنعم وقع في قلبه أنه لا أعلم منه . فغاب الله عز وجل عليه فكان ذلك .

وروى أنه لما فرغ من الخطبة مضى قاتبه رجل فقال: هل تعلم أخذاً أعلم منك؟ فقال: لا . فغاب الله عليه وقال: عهدي الخضر أعلم منك فأذن له في لقائه . وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: ذكر موسى الناس يوماً حتى فاض الميزون ورقَّت القلوب ثم ولى فأدركه رجل فقال: لا رسول الله هل في الأرض أعلم منك؟

قال: لا . فغاب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه سبحانه وتعالى وقال: بلى . قال موسى: أي ربي أين هو؟

قال: بمجتمع البهترین خذ حوتاً ميفاً فلوث بدفع فيه الروح فهو ثم . وفي رواية: تزود حوتاً فالحا فإنة حيث تقتل الحوت تقتل ذلك . وقال انقلبه كما قال الله :

(لا أبرح حتى أبلغ) خبر أبرح محذوف أي لا أبرح أشهر أو لا أبرح سائراً دلالة حاله وهو السفر عليه ودلالة حتى فإنها تستلزم النفي .

ويحوز أن يكون من برح الذي لا خبرة . والأول معناه لا أزال أفعل كذا والثاني معناه لا أزل من السهر والطلب ولا ألقهما .

ويحوز على الوجهين أن يقدر مضاف أي لا يبرح مسدداً موجوداً أو عن الوجود فكان الفعل بياء الغيبة لأن السهر ظاهر والظاهر من قبل الغيبة ولما حذف وناب عنه المضاف وهو بياء التكلم كان الفعل بهمة التكلم .

(تَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ) موضع الجمع بين البحرين أى الموضع الذى جمع الله فيه بين البحرين هو أيضاً الموضع الذى أراد أن يجمع فيه موسى وأخضر ويجمع اسم مكان على القياس .

وقرى بكسر الميم الثانية على خلاف القياس كالمشرق والمغرب بكسر اللام واللام . والبحران : بحر فارس والروم مما يلي المشرق قاله قتادة وهو المشهور . وقال محمد بن كعب : بحر طنجة . ويبحث بأنه لا بحر يومئذ عند طنجة وإنما كان عندها في زمان ذي القرنين بعد ذلك . أخرجه إليها ذو القرنين من بحر الشام لينصل به بين أهل الأندلس وأهل السوس وكانوا يضرون أهل الأندلس إلا إن صح أن أخرجه هو رجل يسمى ذا القرنين كان في زمان إبراهيم لا ذو القرنين الآخر . وعليه فالحق في الموضع جمع البحرين لأنه سمي ما يلي السدين اللذين بقاها ذو القرنين هناك مما يلي الجزائر بحرا وما يليهما مما يلي السوس بحرا ولكل أحد السدين خط الماء والآخر لاقى إلى المكان فيما أظن .

وذكر القزويني أن في آخر الأندلس جمع البحرين الذى ذكره الله سبحانه في القرآن وأن غرق جمع البحرين ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرون فرسافاً . وقلبي مائل إلى هذا وإلى الفضائل المنسوبة إلى الأندلس كلها .

وقيل : بحر الرابطة ؛ وتنب هذا القول لابن جرير شعبة .

وقيل : البحران : موسى أخو هارون وموسى أخضر قوتس الخو خازون بحر العلم الظاهر وموسى أخضر جزر السلم لما طعن سكانه قال : لا أبرخ حتى أبلغ موضعاً نجتمع فيه أنا وأخضر . وعدى أن هذا وأخراجه لا يجوز القول به وأراد بالعلم .

(أَوْ أَمْعَى) أسير أو أثبت في السير ولا أنفك عنه والمطف على أبلغ أو على جمع أى أو أبلغ مفعلي حُبب (حُبَّبًا) ظرف أى زمانًا طويلًا فإذا مضيت حُبَّبًا ولم أجد المطلوب رجعت .

وقال ابن عمر : الحُبب : ثمانون سنة .

وقال مجاهد : سبعون .

وقيل : سنة .

وقيل : مائة وهو مفرد .

(فَلَمَّا بَلَغَا) موسى وفناء (تَجَمَّعَ بَيْنَهُمَا) أى جمع بين البحرين وإضافة جمع إلى الظرف وهو بين إسماعى انساع وذكر بين إنما هو تأكيد والأصل : فلما بلغا فجمعهما أى جمع البحرين ولك أن تقول إضافة بيان وإضافة عام لخاص وإن بين هنا ليس ظرفًا بل مصدر بمعنى الوصل وأن تقول جمع مصدر وبين ظرف أو مصدر بمعنى الفصل .

(نَسِيَا حَوْتَهُمَا) فضيا ولم يحمله يوشع كما فعله ولم يخطر بهال- موسى فيقول له : هل حملته فالنسيان واقع على نفس الحوت وكذا إن قلنا : إن يوشع نسيه وراه موسى متروكًا في موضعهما أو مسدودًا من محله أو نسيها أن يذكر فيه يوشع .

وقيل : نسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله ونسي يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر .

وقيل : الناسى يوشع وأضوف النسيان إليهما لأنهما تزوداه أسفرها وقيل : جكم على المجموع لا على الجميع .

وقيل : نسيا أمر حوتهما وهو أنه حيث يقف ثم الخضر . والمعنى : أن هذه

للعلامة التي نصها الله الرحمن الرحيم له لم تخطر بباله حين بلغنا الجمع . ويجوز أن يكون النسيان للترك فليس مقابل الحفظ لكنه على غير عمد كما يقول : زيد حيوان وتريد من جملة المهوران الفاطن .
 (فَاتَّخَذَ) الحوت بعد أن حي وانقلب إلى البحر . (سَبِيلَهُ) مفعول أول .
 (فِي الْأَخْرِ) متعلق باتخذ أو بمحذوف حال من سبيل أو من المفعول الثاني وهو قوله : (مَرَبًا) .

ويجوز كون اتخذ متعديا لواحد وسربا حال من سبيل وهو مذكور يسلكه من مشى فيه ولا يفرق لأن الله سبحانه أمسك الماء عن موضع سلوكه وكان واسعا وطالها بقدر ما يمشى فيه الإنسان ولم يلق كما رواه كعب عن رسول الله ﷺ فيجوز أن يكون السرب بمعنى الموضع المتجوف المستطيل كما يحفر في الأرض غير جهة السفلى . روى عن ابن عباس : اضطرب الحوت في الطين وتسحب حتى وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر إلا يمس حتى صار صخرة .
 وعن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما انتهيا إلى الصخرة وضما رأسيهما فناما واضطرب الحوت في المكمل وخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله فيه مَرَبًا .

وعن قتادة : رد الله تعالى على الحوت روحه فخرج من المكمل حتى أنقى إلى البحر فجعل لا يملك مكانا إلا صار جامدا طريقا يسا .

وعن الكلبي : توحا يوشع بن نون من عين الحياة عند الصخرة ولا علم له بأنه عين الحياة فانقض على الحوت في المكمل ماء من ذلك فجى فخرج منه حتى وقع في البحر فكان يضرب بذنبه في الماء وهو يحمر ولا يضرب شيئا إلا تيبس .

قال عبد الرحمن بن زيد : أى شئ أعجب من حوت كان دهرها من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا وكان شق حوت لأنه أكل نصفه وأهل ذلك البحر يرونه ويصطادونه ويتبركون به وكان مشويا وذلك معجزة لموسى أو الخضر .

قال أبو حامد الأنديسى : رأيت سمكة تعرف بفصل الحوت فى مدينة سبتة وهو الحوت الذى محبه موسى ويوشع حين سافرا فى طلب الخضر طولها ذراع وعرضها شبر وترى نصفها بجانب واحد ونصف رأس وعين واحدة من رآها من الجانب المأكل استقذرها ومن رآها من الجانب الصحيح أعجبته جدا والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الرؤساء ولا سيما اليهود .

وعن محمد بن كعب : سار إلى الصخرة التى دون نهر الزيت وعندها عين تسمى عين الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا إلا صار حيا فلما أصاب السمكة دوى الماء وبرده ورشاشه اضطربت فى المكفل وخيمت ودخلت فى البحر .

(فَلَمَّا جَاوَزَا) موسى وفقاه مجمع البحرين (قَالَ) موسى . (لِفَتَاكَ) يوشع بعد ما سارا من مجمع البحرين يوما وليمة وروى الآية والغداة إلى الظهر . (آتَيْنَا) اجل (غَدَاءَنَا) آتينا أى حاضرا وهو الخبز والحوت المملح والغداء ما يتفدى به ولذلك قيل : سارا إلى وقت الغداة من ثاى يوم وأنه أول النهار كالمشاء لما يؤكل آخر النهار عشية أو فى أوائل الليل .

(لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا إِذَا) بدل أو بيان أو نعت لسفرنا .

(نَصَبًا) مفعول لقينا وهو التنبه قيل : لم ينصب حتى جاوز الجمع ولما جاوزه إلى غد وغدا وظهره ألقي عليه الجوع والاصب قول : لم يمت موسى ولم يجمع فى سفر غدر هذا ويؤيده قوله هذا بعد قوله : فى سفرنا . والمراد بسفرنا هذا سفره من عند الصخرة . وقيل : سفره من بلده إلى وقت قوله ذلك .

قيل : لموسى خمسة أسفار : سفر المروب قال : فقررت منكم لما خفتكم .
 وسفر الطرب قال الله تبارك وتعالى : فلما جاءها نودى أن بورك من في النار
 ومن حولها . وقال : نودى من شاطئ الوادى الأيمن . وسفر الطلب قال الله
 سبحانه وتعالى : فأوحينا إلى موسى أن لمسه يهاديها إنكم متبعون . وسفر
 العجب قال الله عز وجل : حرمة عليهم أربعين سنة يقيمون في الأرض . وسفر
 التنبؤ قال الله جل وعلا : لقد قمينا من سفرنا هذا نصبا . ألمنى الله عليه الجوع
 ليطلب الغذاء فيرجع إلى موضع مطلبه .

(قَالَ) فناء (أَرَأَيْتَ) أنه أو أخبرني ما أصابني . (إِذْ أَوْفَيْنَا) ملنا .
 (إِلَى الصَّخْرَةِ) وضمنا أنفسنا إليها وهي صخرة الجمع التي رقدوا عندها . قيل :
 هي الصخرة التي دون نهر الزيت كما رأيت وإذ متعلقة بمحذوف أى ما أصابني
 إِذْ أَوْفَيْنَا إِلَيْهَا .

(فَأَمَّا) الفاء لتعasil أو وابطة لمحذوف . قلت : ما بالك قدامي . (نَسِيتُ
 الْحُوتَ) عند الصخرة أى فقدته أو قد رأيت امتلاكها بها ووجهه في البحر
 فنسيت أن أذكر ذلك لك قيل : لما رآنى ذلك قدام ليخبر موسى نفسى حتى سار
 إلى ظهر غد وصلى الظهر .

(وَمَا أُنْسِيهِ) أى الحوت تمدى نسي إلى الاثنين بالمدزة أى ماضى
 ناسيا إياه (إِلَّا الشَّيْطَانُ) ليوسوس لى وليس تصيهره ناسيا خلق للسميان فيه ؛
 فإن الخلق الله لا سواء ولكن اللغى : ما نسيت في نسيانى إياه إلا الشيطان
 وسارسه .

(أَنْ أَذْكَرُهُ) أتفكر فيه فأجده مفقوداً فأخبر موسى بفقده لأن فقده دليل المطلوب أو أنت أذكر أمره لموسى وهو انقلابه حياً إلى البحر . وقد قرئ أن أذكره .

وقرأ ابن مسعود : أن أذكره . وأن مصدرية والمصدر بدل اشتمال من هاء الإنسانية .

وقرأ حفص : وما أنسانيه بضم الهاء كما قرئ بضمها في سورة الفتح في قوله تعالى : « عليه الله » فإنه ضم هاء عليه .

ووجه قوله : أرايت أنه لما طلب موسى الحوت ليعتدي ذكر يوشع ما رأى من أسر الحوت أو ذكر نسجته إلى تلك الغاية وهي ظهر اللقد أو غدوه فندش فطلق يسأل موسى : ما أصابني حتى نسيت ذلك ثم رجع على نفسه فقال : ما أنسانيه إلا الشيطان .

وإن قلت : كيف نسي الأمر العظيم من انقلاب حوت مشوى ما كول نصفه مضى عليه زمان مجعول في المكفل حتى مضت تلك المدة مع ما جعل له من أمره أمانة على المطلوب الذي سافرا من أجله ؟

قلت : استعاد مشاهدة أمثل ذلك من المعجائب وأكبر منها عند موسى وآسة أنس بهن فأعانه ذلك على قلة الاهتمام فتأثرت فيه وسأوس الشيطان فاعتذر بإنساء الشيطان إياه أو لما رأى ذلك استغرق في التفكير في كمال قدرة الله سبحانه وتعالى .

وعلى هذا الوجه الأخير إنما نسب الإنسان إلى الشيطان ههنا لنفسه بأنه لا يقوى على الشيطان في الجملة أو لأن عدم جمعه بين التفكير في كمال قدرة الله جل وعلا وذكر أسر الحوت معدود من نقصان البشري .

(وَاتَّخَذَ) الحوت . (سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) مثل « واتخذ سبيله في البحر سرّاً » أى اتخذ الحوت سبيله في البحر سبيلاً يحار فيه الدناظر حتى إن ذلك السبيل نفس العجب مبسالة أو عجباً بمعنى محبوب به أو ذا عجب أى يتمجب منه الدناظر وذلك من كلام الله سبحانه وتعالى معترض بين كلام يوشع وكلام موسى قيل : كان السالك الحوت سرّاً ولومى عجباً .

وأجاز القاضى أن يقدر اتحاداً عجيباً على التمولية المطلقة وهو وجه كريم .
وقيل : اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً بـ « رجوعها » إلى الصخرة أى اتخذ سبيلاً عظيماً يوصله إلى الغضر أو اتخذ اتحاداً عجيباً أو اتخذ حال كونه متعجباً منه على أن عجباً حال بمعنى اليقظة العائدة إلى موسى : .

ويجوز أن يكون ثم كلام يوشع في قوله : « في البحر » ثم زاد يوشع قوله : عجباً مفعولاً مؤكداً للجملة ومفاعلة محذوفين أى أعجب عجباً بأن يكون قوله عجباً من كلام موسى أى قل موسى عجباً .

وإن قلت : كيف نصح أن يكون للنبي : اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً ولما يرجع إلى الجمع ؟

قلت : المراد عند صاحب هذا القول أنه قيل ذلك بعد الرجوع وأن قوله : « فارتقا على آثارهما » لا يمتا إليه جواز الإخبار عن شيء متأخر قبل الإخبار عن شيء مقدم ولكن غير هذا القول أولى .

(قَالَ) موسى (ذَلِكَ) أى نسيان الحوت أو ما قصصت على يا يوشع من انقلاب الحوت الميت حياً إلى البحر متخذاً سبيله فيه سرّاً .

(مَا) أى الذى (كُنَّا نَبْتَغِ) نطلب لأنه دليل على مطلوبنا وهو لقاء المبتدئ

الصالح . أثبت الياء في الوصل نافع وحذفها في الوقف وكذا أبو عمرو والكسائي وأثبتها في الوصل والوقف ابن كثير وقراءة نافع أولى اتباعاً لأصل المصحف .
(فَارْتَدَّا) أي رجع موسى ويوشع وهو مطارع رد أي ردهما الله فارتدا أو ردهما ذلك المذكور من أسرار الحوت فارتدا .

(كَلَىٰ آثَارِهِمَا) عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاءا فيه بطآن آثارهما .
(قَصَصًا) حال من ألف ارتد أي مقتصين أو مفعول مطلق لحال محذوفة
أي يقصص آثارهما أو قاصين آثارهما قصصاً أي يقبعانها لاتباعاً أو مفعول مطلق لارتد لتضمينه معنى القصاص أي رجعا في طريقتهما حتى أتيا الصخرة التي كلفا عندها .

(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ دِيَارِهِمَا) وهو الخضر عند الجمهور .

وقيل : اليسع . وقيل : إلياس . وقيل : هو ملك من الملائكة . والصحيح الأول وهو الذي ثبت عن رسول الله ﷺ وأصحاب التواتر .
وسمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضها فلذا هي تهنئ بجمعه خضراء والفروة قطعة نيات محترمة بالاسم . رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ .

وقال مجاهد : لأنه إذا صلى الخضر ما حوله وروى عنه إذا مشى . وقيل :
ذلك بانيه وكسبته أبو العباس وإسمه بانيا به عليه السلام كان من بني إسرائيل .
وقيل : من أبناء الملوك التاركون لدينهم وبذلك آياهم وبعثه نوح بن يعقوب بن عباس
ابن شافع بن أرغش بن سام بن نوح عليه السلام والجمهور أن اسمه موسى .
يروي أن موسى ونذاه وجهده عند الصخرة بعد الرجوع إليها متعطياً بثوب
فسلم عليه موسى فقال الخضر : وأني بأرضك أي أرضك هذه . وروي : بأرضنا
السلام . قال : أنا موسى .

قال : موسى بنى إسرائيل ؟ : فقال : نعم .
 قال : نعم أتيتك لتعلمنى ما علمت رشداً .
 قال : إن لك فى بنى إسرائيل شغلا وفى القفورة كفاية أمرنى ربى بذلك .
 وقيل : وجدها على طنفسة خضراء على وجه المنياء فتوشعها بثوب أخضر
 قائما يصلى .
 وقيل : اتبعا سبيل الحوت فى البحر فوجداه يصلى على طنفسة خضراء فى
 وسط الماء .
 وقيل : اتبعا الحوت سبيله فى البحر حتى خرج بهما إلى جزيرة فإذا هما بالخضر
 فى روضة يصلى قائما من خلفه فسلم عليه موسى فأنكر الخضر السلام فى ذلك الموضع
 فرفع رأسه فعرفه فقال : وعليك السلام يا نبي بنى إسرائيل .
 فقال : وما يدريك أنى نبي بنى إسرائيل ؟
 قال : أدراى بك الذى أدراك بى .
 وقيل : وجد مصلها على الماء كما مر فسلم عليه فقال : بأرضنا السلام ثم رجع
 رأسه واستوى جالسا فقال : وعليك السلام يا نبي بنى إسرائيل الخ .
 فقال : لقد كان لك فى بنى إسرائيل شغل .
 قال موسى : إن ربى أرسلنى إليك لأتبعك وأنتم من علك ثم جلسا يتحدثان
 فجاءت خطانة فحملت بمقارها من الماء .
 قال الخضر : يا موسى خطر ببالك أنك أهم أهل الأرض وما علك وعلم
 الأولين والآخرين فى جنب علم الله إلا أبل من النساء الذى حملته الخطانة
 فى مقارها .

وقيل : إنما كان المذكور من قصة الخطانة بعد ما كانوا في السفينة وجلسوا في قرقورها .

وعن الكلبي : بلغنا أنهم لم يفرقوا حتى بعث الله طائراً فطار إلى المشرق ثم طار إلى المغرب ثم طار إلى السماء ثم هبط إلى البحر فتناول من البحر بمنقاره وها ينظران قتال الخضر لموسى : أنعم ما يقول هذا الطائر ؟ قتال موسى : وما يقول ؟

قال : يقول : ورب المشرق ورب المغرب ورب السموات السبع ورب الأرضين السبع ما عليك يا خضر وعلم موسى في علم الله إلا قدر الماء الذي تناولته من البحر في البحر .

(آتَيْنَاهُ رَحْمَةً) الوحي أو النبوة وقال الأكثر : الولاية ولم يكن نبياً عند الأكثر وهو الصحيح .

واستدل من قال بأنه نبي بقوله : « وما فعلته عن أمري » أي بل بالوحي . وأجيب بأن المراد بل بالهام واختار الشيخ عمرو التلاي أنه نبي والمراد بالولاية هنا كونه وإياها لله سبحانه وتعالى .

وجلة آتيناه رحمة (مِنْ عِنْدِنَا) نعت لعباد أو حال منه . أو من الضمير المستقر في قوله : « من عبادنا » لأنه معلق بمحذوف نعت .

(وَآتَيْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلَماً) عندنا . المعنى : مما يختص بنا ولا يعلم بقوله وإكتماب وهو علم الباطن وهو علم الغيب بعلومه الله الهاماً .

(قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي) بإثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف عند نافع وأبي عمرو وأثبتها فيهما ابن كثير .

(يَمَّا خُلَّتْ) أى مما حلك الله وظل متعلقة باتبع أو يحذف حال من

الكاف .

(رُشِدَا) مفعول ثان لتعلم والمفعول الثانى لمعلم محذوف والأول المثناة الموقوفة

الذئبة عن اللفاعل أى مما علمت إياه . وكل منهم من المتعدى لواحد وإنما تمديا
لاثنين بالتشديد .

ويجوز أن يكون رشداً مفعولاً من أجله لا تتبع على أنه من رشد اللازم
ليتحد الفاعل ومعناه إصابة الظلم والفلاح . والصواب لا من المتعدى إلا عند مجز
عدم اتحاد المفعول لأجله وعمله فى الفاعل أى لترشدي .

ويجوز كونه مفعولاً مطلقاً لمحذوف أى أرشد رشداً بالبناء لفاعل من اللازم
أو للمفعول من المتعدى .

وقرأ أبو عمرو يفتعثن . وقال القاضى : قرأ بذلك أبو عمرو ويقتوب وانظر
كيف نادى موسى مع ما آتاه الله من العلم للفرحين استجمل نفسه أعني نسب
نفسه إلى الجمل واستأذنى أن يكون تابلاً له . وسأله أن يرشده ويؤمن عليه بهليم
بفض ما عليه الله عز وجل .

ولما قال ذلك قتل له الخضر : كفى بالتواة علماً وبيني وبينهم إسم أهول شغلا
أو غير ذلك كما مر يقال له موسى : إن الله أمرنى . فخير قال له الخضر ما حكى
الله تعالى عنه بقوله : (قَالَ) أى قال الخضر لموسى : (إِنَّكَ لَن تَجِدَ طَوْعَ مَعِيَ)
وقرأ حفص هنا وفى الآيتين بفتح الهاء .

(صَبْرًا) أكد نفي الصبر بالجملة الاحتمالية وإن وكون نفي بلان ونفي الاستطاعة
فإن نفي الاستطاعة على الشيء . أو أكد من نفي الشيء . لأن نفي استطاعته يصح . متذكراً

ومحالا وعلى ذلك يقول : (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) أى كيف
تصبر على ترك إنكار ما لم يحط به علمك واختبارك مما هو منك بحسب علم الظاهر
الذى تعبدت أنت به معروف بحسب علم الباطن الذى تعبدت أنا به وأنت نبى
شديد غلوظ فى النهى عن المنكرات .

روى البخارى أنه قال : يا موسى إني على علم من الله علميه لا تعلمه وأنت
على علم من الله علمكه لا أعلمه . وخبرنا تمييز محول عن الفاعل بمعنى العلم أو بمعنى
الخبر بفتح الخاء والهاء أى لم يحط به الخبر الذى جاءك من الله لأنه إنما خبرك بعلم
آخر أو بمعنى الخبر به بفتح الباء أو مفعول مطلق أنت لم تحط به بمعنى لم تختبره .
(قَالَ) موسى للتضرع (سَتَجِدُنِي) وسكن هذه الهاء غير نافع .

(إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا) على ما لم أحط به خبراً غير منكرك عليك وقيد
بالمشينة لأنه لا يصدر فعل من مخلوق ولا ترك إلا بمشيئة الله تعالى ولأنه لم يكن
على ثقة من نفسه فى الصبر الذى وعده . وهكذا عادة الأنبياء والأولياء لا يشتون
إلى أنفسهم طرفة عين قال رسول الله ﷺ : من تمام إيمان المرء أن يستغنى فى
كل أموره ولأنه عالم بصعوبة الأمر فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعاد
شديد . فإن لم يطقهما فليس بمخلف لوعده لأنه قد قال : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ولا سيما
إن أخلفه ناسياً وإن التسهان لا يقدح فى العصاة أو قيده بمشيئة المتبرك أو قيد
لذلك كله .

(وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) عطف هذه الجملة على المفرد وهو صابراً كأنه قيل :
ستجدنى إن شاء الله صابراً وغير عاص لك أمراً ولك متعاق بمحذوف حال
من أسراً أو أمراً مفعول أعصى لتضمنه معنى أخالف أى لا أخالف أمرك ويجوز
عطف الجملة على ستجدنى .

(قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي) صاحبتني حيث أمتشي .

(وَلَا تَسْأَلْنِي) وقراً غداً نافع وابن عامر يأسكان اللام وتخفيف النون وحذف الياء ابن ذكوان وصلاً ووقفاً بخلاف عن الأخفش عنه وأثبتها للباقون فيها وكذا رسمها (عَنْ شَيْءٍ) فملقه مما تذكره ولم تعلم وجهه .

(حَتَّى أَهْدِيَ لَكَ) أى حتى أهدى لك (مِنْهُ) متعلق بأحدث ومن الابتداء أو متعلق بمحذوف حال مما بعده ويقدر مضاف أى من بيانه أو يقدر الكلام مكذا .

(ذِكْرًا) في بيانه فإذا أحدثته لك لم نحتاج بعد إلى السؤال عنه كما تقول : لا أعمى الله إن شاء الله إلى أن أموت ومعلوم أنه لأمعصية بعد الموت قبل موسى شرطه كما يتأدب المتعلم للعلم .

(فَانْطَلَقَا) يمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها ومعهما يوشع فالخضر يعلم في نفسه سبب طلب السفينة وموسى ويوشع لا يدريان ولو علما أن طلبها للركوب وسببه هو ما يذكر بعد من خرقها وقتل الغلام وإيمان القرية ومقتل أن الخضر لم يعلم ذلك أيضاً أو علم بعضه فقط ولكنه أراد ركوها رجاء الحكمة تجري على يده فزأوا سفينة فأشاروا إليها فجاء بها أصحابها فعرفوا الخضر فمعلوم بلا أجره رواه أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ .

وقيل : إن أهل السفينة قالوا : إن هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج فقال أصحابها : سام بالصوص ولكن أرى وجوه الأنبياء . ولما كانت في جلة البحر أخذ الخضر رأساً فقلع لوحاً . وقيل : لوحين من قبرها مما على الماء وبقي الماء لا يدخلها بإذن الله تعالى ولجل موسى يحشو الموضع بثوبه .

وقيل : قلع من جانبها مما فوق الماء مما يلي الماء فجعل موسى يحشو ذلك بثوبه كما قال الله سبحانه وتعالى : (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ) ومعهم يوشع وإنما لم يذكر لأنه تابع لموسى فهو كزاد الإنسان وسائر مقطعاته ولأن المقصود بالذات موسى والخضر .

(أَخْرَقَهَا) أى الخضر وهى جديدة وثيقة (قَالَ) موسى : (أَخْرَقَهَا) استفهام إنكار وتوسيع .

(لِنُفِّرْ قَدَمَهَا) وقد أحسنوا إلينا وحلونا بلا أجره وذلك ظلم عظيم ولو حلونا بأجرة ولم يحسنوا إلينا . وإنما قل : لنفرك أهلها لأن غرقها سبب ملزوم لدخول الماء فيها ودخوله فيها مفرق لأهلها ولأن لنفرك لأم الضرورة أى أخرقها فيقول أهلها إلى الفرق

ويحتمل التملول بأن غلب على موسى القوم أن الخضر أراد بخرقها خرقهم وذلك أن الحمية على الحق تأخذ المصلح عند معاينة الفساد وكان موسى أشد الناس فى ذلك، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولذلك أنكر عليه ناساً لشرطه مع أنه عالم بأن الخضر هو المعصوم الذى أمره الله سبحانه بالسفر معه وتباعه واقتباس للظلم منه .

وقد روى أنه جره من رجله ليقطعه فى البحر وقد علم أنه لا يضره الماء ولا يفرقه . ويمكن أن يكون جره ليخرجه منها لا إرادة لإعراقه وأظن أن ذلك كله غاب عن غفلة حين رأى ذلك .

وقرى لنفرك بالتشديد للمبالغة وللتأكيد وقرأ حمزة والكسائى لنفرك بفتح الهاء التحتية والراء والتخفيف أهلها بالرفع .

(لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) أى شيئاً عظيماً وهو نعمت لشئنا يقال : أمر الأمر

أى عظم حتى إنه ليكره القتل . وقد فسرناه بخافد فى المكر قيل : لقد أمر أمر
ابن أبى كبشة أى عظم أمر رسول الله ﷺ وأبو كبشة أبوه من الرضاع .
قال ابن عباس رضى الله عنه : لما خرق الخضر السفينة تنهى موسى بفاحمة
من السفينة وقال فى نفسه : ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت فى بنى
إسرائيل أتلو كتاب الله عليهم غدوا وعشيا وأمرهم فيطيعونى . فقال له الخضر :
أريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك ؟

قال : نعم .

قال : كذا وكذا .

قال : صدقت .

وروى أن يوشع قال لموسى - حين قال : أخرقتها الخ - : يا نبي الله اذكر
الشرط الذى بينكما .

(قَالَ) الخضر : (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) فذكر العهد
مع الإنكار والعويص والتأكيد بالجملة الاسمية وإن والتنى بلن .

(قَالَ) موسى (لَا تَوَخَّذْنِي بِمَا نَسِيتُ) ما اسم موصول أو فكرة
موصوفة أى بالذى نسيه أو بشئ . فمجهول ذلك هو الشرط الذى بينهما إذ قال :
فإن انتهت فلا تسألنى عن شئ . حتى أحدث لك منه ذكرا أو مصدرية أى
بنسيانى وعلى الأوجه كلها قد اعتذر إليه بأنه ناس لذلك الشرط ولا مؤاخذه
على القاسى ولا سيما مع مشاهدة أمر لا أطيق السكرت عليه .

قال أبى بن كعب عن النبي ﷺ : كانت الأولى نسياناً والثانية شرطا
والثالثة عدا .

وقال ابن عباس : لم ينس الشرط حين قال : أخرقتها ولكن ذاك من ساريس

الكلام بوجه أنه قد نسي الشرط ليبيط عذره وإنما أراد إذا نسيت شيئاً فلا
تؤاخذني . ولم يرد أبى قد نسيت في هذا الاعتراض .

وقيل : المراد بأنه إن ترك عهد يني لا تؤاخذني ولو تمعدت .

(وَلَا تُرْهِقِي) لا تقسني وإلياء مفعول من مقدم . (مِنْ أَمْرِي) أي لأجل
أمرى وهو النسيان أو أمره مطلقاً في حال اصطحابه معه وهو أولى وهو متعلق
بترهق .

ويجوز كون التقدير : من مقتضى أمرى أو لازم أمرى أي ما يوجب أمرى
من المناقبة على أنها ليست للتعامل فهي متعلقة بترهق أو بمحذوف حال من قوله :
(عُسْرًا) وهو مفعول أول مؤخر لترهق يقال : رهقه أمر وأرهقه أمراً وغشيه
أمر وأغشيته أمراً أي حدث عليه وأحدثه كأنه قول : لا تحمل العسر داخلاً
على ولا يصح أن تكون إلياء مفعولاً أول وعسراً ثانياً لا على نفسه ترهق
بمكلف خلافاً للقاضي وأراد بالعسر المضايقة والمؤاخذة أي لا تُعْصِرْ عَلَى مُقَابَلَتِكَ
بالمناقشة بل يترها بالسحجة وقرئ عسراً يضم للدين والدين .

(فَأَنْطَلَقَا) بعد خروجهما من الحنفوة يشبهان .

(حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ) أي قتله الخضر . قيل : بلغا أبله فوجداهما
جشرة يلعبون فيهم غلام أنظرهم وأضوؤم وجهاً يقتله بأن لوى عنقه . وقيل :
لواها وقلع رأسه .

وقال قوم : أمسك برجله وضرب برأسه الحائط فمات .

وقال سعيد بن جبير : أصبحهُ فذبحه بالسيك .

وقال الكلبي : صرعه فترع رأسه قلماً .

وقال قوم : رفسه برجله حتى مات .

وروي أنه أدخل يده في سمه فاقبله فمات .

وروي عبد الرزاق أنه أغار إليه بلهامة وسبابة ووسطاه وقلع رأيه :

وقيل : رضع رأسه بحجر فات واسمه حوش . وقيل : يوشون : قلل وهب :

لحم أبيه ملامس واسم أمه رجعة .

قال الضحاك : كان يعمل بالقشاد فمأذى منه أبوه وأمه :

وعن الكلبي : كان يسرق المتاع بالليل فإذا أصبح لجأ إلى أبيه فيعطفان

شفقة عليه : لقد بات مفذنا .

وروي أنه كان يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبيه .

وروي البخاري ومسلم واللفظ من أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ :

إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كأزاولو عاش لأرمق أبويه طمينا وكفرا .

وهكذا روي ابن عباس عن أبي بن كعب . وكذا أخير حماد بسنده عن أبي بن كعب

والفناء طاعة تفيد أن قتله متصل بقتله بلا ملة تفكر واستكشاف حال له .

عن طريق الإلهام . وجواب إذا هو قوله (قال) موسى متكررا .

موجبا الضمير على قتله الغلام :

(أَفَنُتَلَّكَ نَفْسًا زَكِيَّةً) طاهرة من الذنوب لأنها لم تبلغ الحلم فلا يكتب

عليها ذنب كما قال ابن عباس : يعني موسى أن الغلام لا ذنب له لعدم بلوغه فلا

يستحق القتل حدا من الذنوب لأنه عار من الذنوب ولا يقصاصا من قتلها : لأنه

لم نره قتل أحدا كذا (يَغْيِرُ نَفْسٍ) .

وظاهره أنه لو أذنب ذنبا موجبا القتل في الجنة كارتا مع الإحسان أو قتل

نفسا لقتل وذلك لم يثبت ولو في شريعة موسى وإسماعيل .

أركان موسى أنه لا ذنب

لغلام ولو عمل ولا يقتل بنفس ولو قتلها لأن فعل الطفل خطأ ولو تمتد فهو غير مذنب ولا قاتل وإن كان قاتلاً فكانه غير قاتل لأنه لا يشمل خطاب النهي عن قتل النفس .

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وورش عن يعقوب زاذكية بألف بعد الزاي وتخفيف الياء . وقرأ الباقون بدون ألف . وتشديد الياء والمعنى واحد لكن في الثانية مبالغة .

وقال أبو عمرو : للزاذكية بألف : التي أذنبت وتابت والزاذكية بدون ألف وبالتشديد التي لم تذب قط ولذلك اختار القراءة بأشائي . وإنما جعل جواب إذا الأولى خرقها فكان حكاية اعتراض موسى على الخضر مصفاة وجعل جواب إذا إذا الثانية حكاية اعتراضه عليه وجعل النفل من جهة شرطها لأن قتل نفس زاذكية بنهر قس أقبح والاعتراض عليه أدخل في القبول فكان جديراً بأن يحمل من عدة الكلام الذي يبنى عليه الجواب ولذلك وصله بقوله (لَنَذُجِثَ شَيْئًا نَكْرًا) بضمين كما قرأ نافع في رواية قالون وأبو بكر وأبو عمرو ويعقوب .

وقرأ الباقون بضم النون وإسكان الكاف وكذا في الوضع الثاني وفي الطلاق وكلاهما بمعنى المكر وهو نمت لشيئا وقوله نكرا أعظم من قوله إمرأ لأن قتل النفس الزاذكية بغير نفس أمر لا يتدارك وخسر السفينتين أمر يمكن تداركه بالسد وإمكان عدم إغراق أهلها وقيل بالماكس لأن إغراق أصحاب السفينتين قتل أنفس وتقتل الغلام قتل نفس واحدة .

وكتب نجدة الحروري إلى ابن عباس : كيف جاز قوله وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الزهاد ؟ فكتب ابن عباس إليه : إن حلت من حال الزهاد ما علمه عالم موسى فلا بد أن تقتل رواه مسلم بمعناه .

ومن قعادة أن النكر أشد وأعظم من الأمر وأنه لما شدد موسى غضبه
الخصم وقلع كتف الألام ليسرى وشر عنها اللحم وإذا على عظم كنفه مكتوب:
كافر لا يؤمن بالله أبدا . ويدل لهذا ما مر من رسول الله ﷺ أنه طبع كافرا .
وروى أن بوشع قال له أيضا في الاعتراض الثاني : يا نبي الله اذكر العهد الذي
أنت عليه .

(قَالَ) الخضر لموسى : (أَمْ أَقُلُّ لَكَ) زاد هنا لفظ لك لزيادة التأكيد
والعتاب لمخالفة للشرط مرتين ولعدم المذرها .

(إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ولعدم المذرها قول ما حكى الله سبحانه
وتعالى منه بقوله : (قَالَ إِنَّ سَأْلَكَ عَنْ شَيْءٍ بِمَذْهَبَا) أى بعد هذه المسألة
أو بعد هذه المرة .

(فَلَا تُصَاحِبْنِي) أى لا تراقبني . وقرئ فلا تصحبني بفتح المثناة الفوقية
وإسقاط الألف أى لا تكن صاحبي .

وقرأ يقرب : فلا تصحبني بضم الفاء أى لا تجامني صاحبك والمراد بأشياء
ما يفعله الخضر . وزعم غير واحد أن المراد بالصحبة . وعلى قوله : لا تصاحبني
بقوله : (قَدْ بَلَغْتَ) وصلت أو كفى به من قوله : وجدت .

(مِنْ لَدُنِّي) عندى بضم الدال وتخفيف اللون عند نافع حذفا للون الوقاية
وإسكان الدال وإشباعها بضم وتخفيف اللون عند أبى بكر وبضم الدال وتشديد
اللون عند الباقين .

(عَذْرًا) في مفارقتك إياي لأنى إذا سألتك بعد هذه خائفك ثلاث
مرات وقد يمسك بهذا ونحوه في أشباه كثيرة على الاختصار على ثلاث مرات

وإنما أخذ موسى نفسه على الثلاث ابتغيا . قال رسول الله ﷺ : رحم الله
 أخى موسى استحيى قول ذلك لو ثبت مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب .
 وروى البغوي ومسلم عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ : رحمه الله
 علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لراى المعجب واسكنه أخذته بن صاحبه زمامة
 فقال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنى عذرا فلو صبر
 لراى المعجب . ولزمامة : الحياض . والشفقة . وكان ﷺ إذا ذكر أحدا من
 الأنبياء بدأ بنفسه كما قل هنا : رحمه الله علينا وعليه . وليس ذلك لازما في كل
 كلامه .

وحكى السهيلي أنه لما حان للتخضر وموسى أن يفترقا قال له التخضر : لو صبرت
 لأثبت على ألف عجب كلها أعجب مما رأيت فبكى موسى .
 (فَانْطَلَقَا تَتَى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) قيل : أنطاكية وهو قول ابن عباس .
 وقال ابن سيرين : أبله بصره بضم المزة والروحة وتشديد اللام وهي أبعد
 الأرض من السماء . وقيل : قرية من قرى الروم ويقال لها : ناصرة وإليها تنسب
 النصارى . وقيل : بجزائر أرمنية . وقيل : قرية في الأندلس .
 (اسْتَطَمَّ أَهْلُهَا) طلبها منهم الطعام ضافة . ومتنفسى للظاهر أن يقال :
 استطمام برد الضمر إلى أهل القرية فوضع للظاهر موضع الضمر إن قلنا : إن
 الجثة جواب إذا وإن قلنا في الجواب هو قال من قوله قال : لو شئت لاتخذت
 عليه أجرا وأن هذه الجثة نعت قرية لم يكن من وضع الظاهر موضع الضمر .

قال ابن هشام : ومن النوع الأول وهو وقوع الجثة صفة لفكرة بدون أن
 تصلح حالا لوقوعها بعد الفكرة المحضة حتى إذا أنيى أهل قرية استطما أهلها
 وإنما أعيد ذكر الأهل لأنه لو قيل : استطمام مع أن المراد وصف القرية لأن

الحديث مسوق فيها ألا ترى فوجدناها جداراً لزم ختم الصفة من ضمير الموصوف ولو قيل : استطاعها كان مجازاً لأن القرية لا استطاعهم حقيقة ولهذا كان هذا الوجه أولى من أن نقدر الجملة جواباً لإذا لأن تكرار الظاهر يعبري حينئذ عن هذا المعنى وأيضاً لأن الجواب في قصة السلام هو قوله : قل لا قوله : فقتله لأن الماضي المقرون بالفاء لا يكون جواباً فليكن قال أيضاً في هذه جواباً لأنها سوفياً مساقاً واحداً انتهى بإيضاح وسبقه إلى ذلك ابن المحاسب .

فتمحصل أن جملة تكرار الأهل كون جملة نعمتا والجواب هو قال كما كان قال هو الجواب في ظاهره فهو ضمير للأهل فقيل : استطاعهم لم يوجد رابط إذ لا يضاف ضمير المصدر ولو كان جائزاً لجاز أن يضرر للأهل ويضاف ضميرهم لصيغة القرية . وقد يقال : يصبح أن يقال استطاعهم وحصل الرابط لأن قولك هم يعود إلى الأهل بقصد كونهم أهل القرية كما حصل الرابط بغيرون لإثبات في قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن » وهي نون يتربصن لأنها ولو عادت إلى النساء لكن لا نطقاً بل بقيد كونهن نساء الذين يتوفون إلا أن يقال بأن ذلك لا يحصل الرابط للموصوف ولو حصله بالبعداً وهذه الآية في المبتدأ وآية الكهف في الموصوف .

وحصل أنه لو قيل : استطاعها لكان مجازاً وهو فرع الحقيقة إنما يدل إليه لكنه فلا يقال : إن القرآن مشعرون بالحجاز وإما المنع من الحقيقة لإطباق اللفظ ، لأنه لا نكته لذلك الحز هنا ولأنه على كل حال خلاف للأصل ولأنه قال أولاً : أنها أهل قرية فهي الكلام على الحقيقة إذ لم يقل : أينما قرية فالتجاوز بقولك استطاعها بعد من الرجوع إداً لتضميد الانصراف عنه .

وكتب الصلاح الصفدي إلى السهكي أبياتاً يسأله عن هذه الآية هكذا :

أسيدنا قاضي النضاة ومن إذا بدا وجهه استجى له القصران
ومن كفه يوم الندى ورامه على طرسه بحران يلتقيان
ومن أن إذا جدت في المشكلات مسائل رأيت كتاب الله أكبر معجز
ومن جملة الإعجاز كون اختصاره وليكنفى بالكهف أبصرت آية
وما هي إلا استطفا أهلها فقد ترى استطامهم مثله ببيان
فما الحكمة الغراء في وضع ظاهر مكان ضمير إن ذاك لسان
فأرشد على عادات فضلك حيرى فقال بها عند البيان يدان
فأجاب بما حاصله أن الجملة صفة . فلو قيل : استطام لم يحصل ربط والمعنى :
وإنما هي على كونها وصفا للقرية ألا ترى قوله فوجدنا فيها جدارا ولم يقل عديم
وأن الجدار الذي قصد إصلاحه وحفظ ما تحته من قرية مذمومة مذموم أهلها
لا صفة للأهل لأنها نصير العناية إلى شرح قال لأهل فلا يكون للقرية أثر في
ذلك ونجد بقية الكلام فيها كما رأيت وقد تقدم منهم إباء للتضييف مع طلبه
واللهناغ تأثير في الطباع فكأن هذه القرية حقيقة بالإمساك والإضاعة فثبتت
بالإصلاح لجرد الطاعة وليست جواباً لإذا وإلا كان محط الكلام ومقصده هو
الاستطام عند الوصول وليس كذلك بل المراد إظهار المجائب من بلوغ اليتيمين
أشدها واستخراج كنزها .

فلو صح أن الجملة ثمت أهل أو جواب إذا صح أن يقال : استطامهم لسكنهم

وجهان يهدى هذا كلامه . ثم قال : وانضاف ذلك من التوائد أن أهل الثاني
يحمل أن يكونوا هم الأول أو غدرهم أو منهم أو من غدرهم .

والغالب أن من أتى قرية لا يجد جهة أهلها دفعة بل يتبع نظره أولا على
بعضهم ثم قد يستقر بهم فليل هذين العيدين الصالحين لما أتياها بقدر الله لهما من
حسن صنيعه استقراء جميع أهلها على التدرج ليتبين به كل رحمة وعدم مؤاخذته
بسوء صنيع عياده ولو قال استطعام تبيين أن يكون المراد الأولين لا غير فأتى
بالظاهر إشارا بقا كيد العموم فيه وأنهما لم يتركا أحدا من أهلها حتى استطاماه
وأبوا ومع ذلك قابلهم بأحسن الجزاء انتهى .

والجاري على الغالب أن يقال الأهل الثاني هو الأول لأنه معرفة بعد أن
ذكر نكرة وأن المراد بهما حقيقة أهلها التي صدقت على واثق في طريقهم في
البلد ويحمل أن يزيد بالأول حقيقة أهلها مطلقا عن قيد المرافقة في الطريق فيها
وعن قيد فرد فرد وبالثاني من يؤمل للاطعام كالرؤساء والأغنياء .

(فَأَبُوا) امتنعوا (أَنْ يَضِيفُوهَا) عن أن يضيفوها أو من أن يضيفوها
أو منعوها الضيف قال أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ : أتيا أهل قرية لنامة
فطافوا في المجالس فاستطام أهلها فأبوا أن يضيفوها .

وروي استطامهم فلم يطعموهم واستضافوهم فلم يضيفوهم روى أنهما ولانها
قبل الترويب طامهم فلم يطعموهم قال قتادة : في هذه الآية شر القري التي
لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه ومن أتى قرية أطمعهم
امرأة من أهلها بعد أن طلبا من الرجال فامتنعوا فدعوا للبياتهم ولعنوا رجالهم
والضيف إنزال الضيف والقيام به .

وقرى ما وأ أن يضيفوها يضم الياء الأولى وإسكان الثانية أى أبوا أن

يقبلوا ضيافتها أي نزولها بهم صيفين يقال : ضاف به أي نزل به ضيفا وأضافه أي قبله مقام به ولم يردده أو عن أضافه كضيفه بمعنى أنزله وأقام به وأخل تركيب الإسناد والمثل والاستناد والإقامة أضافت ظهرة للحائط أسندته إليه وأضاف ظهرة للحائط أسندته إليه وأضاف السهم على الرمية أي مال ،

وقيل : إنهما لم يجدوا في تلك الليلة طعاما ولا ماء وكانت باردة شتوة فالتجأ إلى حائط يكاد يهدم ويستط على خوف منها وقد بناه رجل صالح وهو الجدار المذكور في قوله تعالى : (مَوْجِدًا فِيهَا حِدَارًا) طوله إلى جهة السماء ثلاثون ذراعا بذراع أولئك القوم وهي مائة أذرع بأذرع هذه الأمة وطوله على وجه الأرض خمس مائة ذراع وعرضه خمسة أذرع .

(يُرِيدُ) أي الجدار ، (أَنْ يَنْقُضَ) أي يكاد ينقض واستعملت الإرادة لقرب الانقضاء كقوله :

يريد الرمح صدر بني براء ويعدل عن دماء بني عقيل

كما يستعمل الميم والميم لقرب الفصل يقال عزم الصراج أن يلقا واست أريد بالاستمارة هنا مقابل الحجار المرسل بل أردت الاستمارة القوية العامة للمجازين فإن لفظ الإرادة وضمت للجهول واستعملت هنا في الجماد على سبيل العارية فإن ذلك مجاز مرسل بأن استعمل الإرادة بمعنى مشاركة السقوط لأن إرادة الفعل في الجملة سبب له وملزوم له والعمل مسبب ولازم وهذا أولى من أن يقال شبه كون الجدار حال الضعف بإرادة الحيوان للسقوط فاستمار لفظ الإرادة لذلك للكون استمارة اصطلاحية مقابلة للمجاز للمرسل وينقص يقل أصله ينقض بكسر الصاد الأولى هكفت ودغمت في الثانية . وأيضاً معناه ينكسر وينهدم أو يستط وهو

في الأصل مطاوع قضضته أى كمرته أو هدمته أو أستطته . وانتقاض الطيور
نزولها إلى الأرض . وانتقاض الكوكب هويه للرجم .

ويجوز أن يكون ينقض يفعل بنشيد للام . من النقص فأصوله الذون والقف
وأحد الضادين وهو في الأصل أيضاً مطاوع نقضه أى هدمه ولك إمالة على
المطاوعة فإن نصير الله إياه بتلك الحال من النصف كالشروع في نقضه أو في قضه
فأراد أن يطاوع النقص أو النقص .

وقرى أن ينقض بالصاد للهمة الشدة . وقرى أن ينقص كذلك لكن
بألف قبل الصاد من انقضت السن وانفاقت تشديد للصاد فيهما أى انقضت
طولا وليس الضمير في أراد عائدا للخضر كما زعم من لا معرفة له بوجه إسناد لإرادة
للجدار زاعماً أن الخضر أراد انتقاض الجدار وانتقض الجدار بنفسه أو بنقض
الخضر ثم أقامه بتجديد البناء .

(فَأَقَامَهُ) أى أقامه الخضر بأن مسحه بيده فزال ميله وأهوجاجه وشقته
فكان مستقيماً صحيحاً ملتئماً في قول سعيد بن جبهر .

وقال ابن عباس : هدمه وبناه . وقيل : هدمه بعمود . والذي رواه أبو بن كعب
عن رسول الله ﷺ هو الذي ذكره سعيد بن جبهر .

(قَالَ) موسى للخضر : (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) أى على إصلاحه
أو بنائه وذلك طلب لأخذ الأجرة على طريق القادب يرد الأمر إلى مشيئة وطريق
الكناية عن أنى يريد أن تأخذ عليه الأجر إذ لم يقل : خذ عليه أجراً .

ويجوز أن يكون تنديماً على ترك الأخذ للأجر وتحريضاً على أحده لأهميته
بحالة من الجوع وصلت بهما أن يسألا طعاماً فلم يطعما .

ويجوز أن يكون تعريضا بأن إقامته فضول حيث اشتغل بإصلاح مال غيره في بلد منمه أهله للطعام وهو في جوع شديد وإنه ينبغي أن يشتغل بما يتقون به فإذا أقامه فليطلب عليه الأجرة وأنخذ افتعل من أنخذ كاتبع من تبع فالتاء المدغمة أصل وهي فاء الكلمة . وقال الكوفيون : إنها بدل من همزة أخذ .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو لَتَخِذْتَ بتخفيف للتاء وكسر الخاء ويقال لها البصران . وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص للذال وأدغمه الباقون ويوجد في النسخ اتصال اللام بالتاء في الخط بدون ألف بينهما ولو في قراءة التشديد .

(قَالَ) الخضر لموسى : (هَذَا) أى هذا الوقت (فِرَاقُ) أى وقت إفراق وهذا الاعتراض الثالث سبب فراق أو موجب فراق أو هذا الفراق الذى تضمنه قولك : « إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني » وهو فراق .

(بَيْنِي وَبَيْنِكَ) وإضافة الفراق لبين من إضافة المصدر إلى الظرف على الانساع .

وقد قرأ ابن أبي عملة بقنوين فراق وفتح بينك فيكون بينى وبينك منصوبين على الظرفية .

ويجوز أن يكون بينى وبينك بمعنى وصلى ووصلك بإضافة فراق إضافة مصدر لمصدر أى فراق بينى وبينك وبينى أى وصلى ووصلك ووصلك وصلى فهى إضافة مصدر لفعله أو مفعوله لأن كلا من المتفارقين مفارق الآخر أو مفارقتك بينى ومفارقتى بينك أى مفارقتك وصلى ومفارقتى ووصلك فهى إضافة مصدر لمفعوله وقراءة ابن أبي عملة تدل على الظرفية لأنه لما نون نصب إلا أن يقال : يحتمل للنصب فيها المفعولية للمصدر المفعول .

(سَأْتِبُكَ) سأخبرك (بِتَأْوِيلِ) بفسير وهو تفسير الشيء على خلاف

ظاهره .

(مَا لَمْ نَسْتَطِعْ عِلْمِي صَبْرًا) لأنه بحسب ملك الظاهري منكر .

روى أن موسى أخذ بثوب الخضر وقال : أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال الخضر : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ) أى صارت لهم من أيهم بالإرث أو ثبتت لهم منه إلى الآن والكون هو الكون الذى له خبر أو الذى لا خبر له وعلى كل فقد استعمل لفظ كانت للوضع المضى فى الحال بقطع النظر عن كونها لهم فى المضى أيضاً . ولك أن تقول مستعملة فى المضى ويضمهم منه الاستمرار لأنك إذا أثبت شيئاً لأحد ملكاً فالأصل بقاءه على ملكه حتى يدل ذلك فى الآية دليل على أن المسكين يجوز إطلاقه على من له شيء لا يكفيه أو يكفيه على تضيق وإقتار .

وقال عكرمة : قلت لابن عباس : رأيت قوله تعالى : « أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ » والسفينة تساوى ألف دينار فقال : إن المسافر مسكين ولو كان معه ألف دينار ولهذا قيل : إن المسافر وماله على قلة إلا ما وفى الله . وقيل سموا مساكين لمعجزهم عن دفع الملك ولزمانه خمسة منهم . وقيل : لكل علة وهم عشرة .

(يَفْعَلُونَ فِي الْبَحْرِ) بين فارس والروم . قال كعب وغيره : كانت السفينة لعشرة إخوة زعمى لم تسكن لهم معيشة غيرها ورفقوا عن أيهم خمسة يعملون فى البحر مجذوم وأعور وأعرج وآدر وهو من انتفخت بضعاء ومحوم لا تنقطع عنه الحمى أبداً وهو أصغرهم ، وخسة لا يعملون أعمى وأخرس ومقعد ومجنون وعلى هذا فالحكم على الكل بالعمل حكم على المجموع لا على الجميع فإن خمسة لا يعملون

وناسب الحكم عليهم لاجتماعهم في المسكنية والأب والأم أو في الأب ولرضى
للباقيين بالعمل وأسلم به .

وإن قلت : أين مفعول يعملون ؟

قلت : محذوف أى يعملون للسفينة أى يبحرونها ويوسونها أو يعملون شأنها
أو يعملون ما يؤجرون عليه وهو الحمل فيها فإن لهم الأجرة على ذلك أو لا معمول
له انضمامه معنى يمتثلون .

(فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) بالخرق لثلاثا يأخذها الملك لأنه لا يأخذ السفينة المعيبة
وأعيب فى تأويل مصدر مفعول لأردت أى أردت عيبها أى تصييرها كرهية غير
مقبولة له وللعيب يطلق بمعنى المصدر كما رأيت وبمعنى ما يكره به الشيء .

(وَكَانَ) مثل كان المذكورة وقس عليهما نظائرها .

(وَرَأَاهُمْ مَلِكٌ) قيل : خلفهم لأن رجوعهم فى طريقهم عليه ولم يعلموا
به فاعلم الله به الخضر أنه يأخذ كل سفينة غير معيبة يفرقها وأعلم أهلها بأسر
ذلك الملك وقال : إذا جاوزتم فأصلحوها وانتفعوا بها . وقيل : وراهم
بمعنى قدامهم .

ويحتمل أن يكون وراهم ملك بمعنى أن عليهم بأس ملك وعبر عن ذلك
بوراهم لأن المفلوب المهور يكون غالبه القاهر له وراهم يتبعه والصحيح عندهم
القول الثانى أى قدامهم ملك فى ذهابهم وأما الأول فشكل لأنه إن كان أمامهم
فى ذهابهم فما فائدة الإخبار بأنه خلفهم فى رجوعهم وأيضا فبأخذها حين الذهاب
لا يتربص للرجوع وإن كانوا يرجعون فى طريق غير الأول فيكون خلفهم
فلا يكون خلفهم إلا بعد أن كان قدامهم فبأخذها إذا كانوا مستقبليه فما فائدة
الإخبار بأنه خلفهم ؟ اللهم إلا أن يقال : يأخذها بعد الإخبار لا يأخذ فى عادته

عند الإقبال وذلك الملك هو الجلندى أعنى أنه ملك عمان لأن ملك عمان يسمى الجلندى ولكن الذى حفظت قديما أن الملك المذكور فى الآية ملك من ملوك اليمن .

وذكر بعض أنه جلندى بن كركر . وقيل : مذوال بن جندل الأزدي . وقال ابن إسحاق : مشواه بن خليل الأزدي . وقيل : مزد بن بده . وقيل : جلمهان . وقال شبيب الجاني : هرذ بن ورد . قيل : كان له ثلاث مائة وستون قصرأله فى كل قصر امرأة وهو كافر وقد انتخر به إبراهيم بن مخزومة السكندى على خالد ابن صفوان بن الأمثم بمحضرة أبى العباس السفاح . حضر عنده ليلة وكان يحب للسمر ومفاضة الرجال ففاضوا وتذاكروا مضربا وبين قتال إبراهيم : وأمير المؤمنين إن أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرأ عن أول منهم التيمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شئ له خطر إلا إليهم ينسب ، إن سئلوا أمطروا وإن نزل بهم ضيف أقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المستعربة .

وقال أبو العباس : ما أظن النعمى رضى بقولك ثم قال : ما تقول أنت يا خالد ؟ قال : إن أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت . قال : تكلم ولا تهب أحدا . قال : أخطأ المتكلم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالتيمان والمنذر ونفقنر عليهم بغير الأنام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلا لغة به علينا وعليهم فبنا النبى الاصطفى والخليفة المراضى وأما البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابه والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصدِّيق

والفاروق وذو النورين والرضى والولى وأسد الله وسيد الشهداء، وبنا حرفوا الدين
وأناهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه .

ثم أقول خالد على إبراهيم فقال : ألك علم بلغة قومك ؟

قال : نعم .

قل : فما اسم للعين عندهم ؟

قال : بالجمجمة .

قال : فما اسم السن ؟

قال : الميذن .

قال : فما اسم الأذن ؟

قال : الصنارة .

قال : فما اسم الأصابع ؟

قال : الشناتر .

قال : فما اسم الذئب ؟

قال : الكنع .

قال : فعالم أنت بكتاب الله عز وجل ؟

قال : نعم .

قال : فإن الله تعالى يقول : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » . وقال تعالى : « بلسان

عربي مبين » . وقال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » فنحن

للعرب والقرآن بلساننا أنزل ألم تر أن الله تعالى قال : « وللعين بالعين » ولم يقل :

والجمجمة بالجمجمة . وقال تعالى : « والأذن بالأذن » ولم يقل : والصنارة بالصنارة .

وقال تعالى : « يعملون أصابعهم في آذانهم » ولم يقل : شناترم في صناراتهم .

وقال تعالى : « فأكله الذئب » ولم يقل : فأكله الكنع .

ثم قال لإبراهيم : إني أسألك عن أربع إن أفردت بهن قهرت وإن جعدتهم كفرت . قال : وما هن ؟

قال : الرسول منا أو منكم ؟

قال : منكم .

قال : فالقرآن أنزل علينا أو عليكم ؟

قال : عليكم .

قال : فالمذبح فينا أو فيكم ؟

قال : فيكم .

قال : فاليث لنا أو لكم ؟

قال : لكم .

قال : فاذهب فما كان بيد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم إلا سائس فرد أو فانيج جله أو ناسج برد .

قال : فضحك أبو العباس وأقر غلامه وحباها جيمًا .

(يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ غَيْرَ مَعِيْبَةٍ أَوْ كُلِّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ . قَالَ

بعضهم : وامرئى لو كان يأخذ كل سفينة ما انفلكت ولكن يأخذ خيار السفن ويدل ذلك أنه خرقها لتكون معيبة وقد قرأ أبي وعبد الله بن عباس كل سفينة صالحة :

وقرأ بعضهم كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة فذكروا التفت

المخدوف لدليل في قراءة الجمهور (غَضَبًا) من أصحابها .

وإنما قدم قوله : « فأردت أن أعيبها » عن قوله : « وكان وراءهم ملك »

مع إن إرادة تصييرها معيبة مسببة عن خوف الغصب وذكر السبب يتأخر عن

ذكر السبب لأن السبب لما كان مجروح خوف النصب وكون ما سكيها مساكين
رتب السبب على أقوى الخوفين وأدعاهما وهو كون مساكينها مساكين وعقبه
بالآخر على سبيل التأييد والفهم أو قدم للمناية به .

(وَأَمَّا الْعَلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ) قرأ بعضهم زيادة على ذلك وكان
كافرا . وهذه القراءة وما مر من حديث رسول الله ﷺ في طبع للعلام على الكفر
ومن حديث الخضر في إظهاره كتابة على كتف للعلام أنه كافر لا يوجب الحكم
على العصي بالشرك والنفاق إذا رأينا يفعل أو يقول ما هو شرك أو نفاق في حق
البائع ولا بالبراءة لأن ذلك حكم غوب اطاع عليه الخضر ولم تعهد بذلك .
وقرأ الجحدري فكان أبواه مؤمنان على أن في كان ضمير للشأن أو ضمير
للعلام وأبواه مهتدا ومؤمنان خبره على لغة قصر المثنى .

(فَخَشِيَ) هذا من كلام الخضر كما قبله وما بعده لاحكاية ويجوز أن يكون
هذا إلى قوله رحما من كلامه حكاية عن كلام الله سبحانه وتعالى ويناسبه قراءة
أبي تخاف ربك .

وإن قلت : كيف صح إسناد الخشية والخوف إلى الله جل وعلا ؟
قلت : على معنى قولك : كره كراهة من خاف سوء عاقبة أو خشيا وأما
إذا كانت الخشية من الخضر لا حكاية فإنما خشى لأن الله سبحانه أعلم بحال
العلام وأمره بقتله فظن أو تيقن أن قتله للأمور به قطع للفائدة بصير إليها لوى
حتى بلغ وقد فسر بعضهم الخشية باليقين وأكثر ما تكون عن علم بما يخشى منه
وأصلها خوف يشوبه تعظيم .

(أَنْ يَرْهَقَهُمَا حُلْيَانَا) مجاوزة لحدود الله في حقوق العباد أو مطلقا .
(وَكَفَرَا) لعمه سبحانه وتعالى أو لنعمة أبويه فيهما . وتقدم الكلام على الإرهاق

وعلى مفعوله الأول والثاني ومنه هنا ويزيد بأن المعنى أن يحطهما داخلين الطغيان والكفر فيكون الماء هو للمفعول الأول . قيل : المعنى : خشينا أن يدعو أبويه إلى الكفر فيجيباه ويدخلا معه في دينه من فرط محبتهما فيه .

وقيل : المعنى : خشينا أن يعمل أعمال السوء فيعلم أبواه بها ويرضيا أو يداهنا أو يعيناه ويدخلا النار . وقيل : المعنى : يقرن بإيمانهم طغيانه وكفره في بيت واحد فيكفرا بسببه بعد الإيمان .

وقيل : المعنى : أن يحتكما في بيت واحد فيكون عليهما بلاء وشدة لأن معاشرته غير الجنس عذاب لأنه يدعو للكفر وهما يدعوان للإيمان .

وقيل : المعنى : أن يدخل عليهما عقوقا لطغيانه وكفره فيلقيا منه مشقة فذكر للطغيان والكفر لأنهما سبب العقوق أو المراد أنهما نفس العقوق .

(مَا رَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا) وقراءته نافع وأبى عمرو بإسكان الباء وتخفيف الدال على أنه من أبدل فلي أن قوله خشينا من كلام الخضر بلا حكاية فلا لفظة وإن قلنا بالحكاية ففيه اللغات من التكلم إلى التنبية بين قوله خشينا وأردنا وقوله ربهما .

(خَيْرًا مِنْهُ) أى ولما خيرا من غلامهما المقتول (زَكَاةً) أى طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة وهو تمييز . وفيه دليل على أن المقتول طاهر من الذنوب ولا يدخل النار ولكن هذا أظهر فمعنى ما تقدم في كفره أنه لو بلغ الكفر لمن يؤمن أبدا . وفيه أيضا مقابلة لقول موسى : « أَقْبَلْتُ نَفْسًا زَكِيَةً بِنَفْسٍ » وإنما عد التبدل لاثنتين لغرضين معنى أن يرزقهما ربهما خيرا منه أو لأن الأول على معنى اللام أى أن يبدلها .

(وَأَقْرَبَ رُحْمًا) تمييز أى وأقرب رحما أى رحمة وشفقة لأبويه وبراهما .

وعن ابن عباس : مواصلة للرحم وأبر بوالديه فأبدلها الله الرحمن للرحم جارية ميمونة على نفسها وعليهما أدركت يونس بن متى عليه السلام وتزوجها ابني من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله إليه أمة من الأمم .

وقال جعفر بن محمد الصادق عن أبيه : ولدت سبعين نبيا . وقال ابن جريج : إنه أبدلها الله ابنا مسلما مثلها وإن المقتول كافر وهو المتبادر من ظاهر الآية . قال مطرف وقفاة في هذه الآية : قد فرح أبواه حين ولد وحزننا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فلعرض المبد بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره خيره من قضائه فيما يحب . وقرأ ابن عاصم ويستقوب وأبو جعفر بضم الحاء كالراء .

(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ) اسمهما أصرم وصريم وأل في الجدار واللدبية للمهد الذهن لأن هذا من كلام الخضر مع موسى وذكرهما في قوله تعالى : « أنيا أهل قرية » . وقوله : « فوجدنا فيها جدلرا » من كلام الله سبحانه وتعالى وذلك للمهود الذهن هو نفس القرية التي أنيا والجدار الذي وجدا .

ومن كتب : « وأما الجدار - إلى قوله - صبرا » في قطعة ذهب قديم مدفون وقرأ عليها عشر صرات وجعلها في وسادته ونام على الجانب الأيسر ثم على الأيمن ويقول : يا مظهر العجائب يا دليل كل حائر يا من يرشد كل ضال أرشدني بكرمك إلى ما طلبت فإنه يرى في منامه على ما أراد من كنز وعلى ما خبأ الإنسان وخفي عن موضعه .

(وَكَانَ كَنَزٌ لَّهُمَا) وهو من ذهب ونفضة روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ الكنز ذهب ونفضة رواه البخاري في التاريخ والترمذي مرفوعا والحاكم

ومحمه ورواه الثعالبي عن أبي بكر المصاري بما أخبره به بإسناده عن أبي الهرداء وهو المتبادر من إطلاق الكنز في الآية والدم على كنز الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتها وما تعلق بهما من الحقوق .

وأيضاً يحتمل أن أباهما كنزه لما عند قرب موته بعد أداء ما لزم فيه لما مضى وأما ما ظاهراً يكلفان به بعد وجوده وبلوغهما لحينئذ يزكياهما على ما مضى أو لما أو حتى يحول الحول من حين وجده أو على ما أشبه ذلك في شرعهما . وقال ابن عباس : صحف فيها علم وكذا قال ابن جبر .

وعن ابن عباس في رواية : لوح من ذهب مكتوب فيه : عجبا لمن أيقن بالمولوت كيف يفرح ، عجبا لمن أيقن بالتدرك كيف يحزن ، عجبا لمن أيقن بالرزق كيف ينصب ، عجبا لمن يوقن بالحساب كيف يفتل ، عجبا لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله . إني أعجب أيها الإنسان عجبا . وفي الجانب الآخر : أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت النار والشر فطوي لمن خلقته للنار وأجزيته على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجزيته على يديه .

قيل : هذا قول أكثر المفسرين وفي رواية إسقاط ذكر مسألة الحساب وذكر ما في الجانب الآخر . وكذا روى جعفر بن محمد والحسن إلا أنهما زادا أوله : بسم الله الرحمن الرحيم وقال : لا إله إلا الله محمد عبدي ورسولي .

وقال الكلبي : لوح من ذهب فيه حكمة ثلاث كلمات فقط : عجبا لمن أيقن بالمولوت كيف يضعك ، وعجبا لمن أيقن بالرزق كيف ينصب ، وعجبا لمن أيقن بتقلب الدنيا وأهلها كيف يطمئن إليها . وإذا كان هذا اللوح من ذهب فهو كنز مال وكنز علم أو تذكير .

(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَاحِبًا) واسمه كاشع وكان من الأتقياء قيل : كان سيّاحاً متعبداً وفي ذكر صلاح أبيهما إشارة إلى أنهما حفظا في كنزها لصلاحه . قال ابن عباس والحسين بن علي : حفظا بصلاح أبيهما .

وقال جعفر بن محمد : كان بين الفلامين والأب الذي حفظا به سبعة آباء . قال محمد بن المنكدر : إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده فلا يزالون في حفظ من الله تعالى وستر .

زاد بعض في روايته عنه : وعمرته وعشيرته وأهل دويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم .

قال سعيد بن المسيّب : إني أذكر ولدي فأزيد في صلاتي . وكان إذا رأى ولده قال : يا بني والله لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن تكون في حفظ من الله تعالى وستر ويقول هذه الآية .

قال يحيى بن إسماعيل بن سلمة : كانت لي أخت أسن مني وذهب عقلها وتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا بضع عشرة سنة . وكانت مع ذلك تحرص على الصلاة والطهر فبينما أنا ذات ليلة نائم إذا بباب يبق يدق نصف الليل فقلت : من هذا ؟

فقلت : كجه .

فقلت : أختي ؟

فقلت : أختك .

فقلت : لبيك .

ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالباب أكثر من بضع عشرة سنة .

فقلت : يا أختاه خيرا ؟

فقلت : حمر . أنيت الليلة في منامى فتعلم لى : للسلام عليك يا كعبة .

فقلت : و عليك السلام .

فقال لى : إن الله تعالى قد حفظ أباك إسماعيل بن سلمة جدك وحفظك لأبيك إسماعيل ؛ وإن شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت لك الجنة فإن أبابكر وعمر قد شعما فيك إلى الله تعالى لحب أبيك وجدك إياهما .

قلت : إن كان ولا بد من اختيارى أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وإن الله لا يتعاضده شىء ولو شاء أن يجمعهما إلى ففعل .

فقال لى : قد جمعهما لك فانزلى منزلات ماذهب الله عنى ما كان بى .

وحكى أن بهمن العلوية دخل على هارون الرشيد وقد دم بقتله ما كرمه وخلق سبيله فقيل له : بم دعوت الله حتى نجوك منه ؟

قال : قلت : يا من حفظ الكنز على الصبيين بصلاح أبيهما احفظى بصلاح آبائى .

(مَا رَدَّ رَيْكَ) (لَامُوسَى) .

(اِنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) (هَتَلُ كَالِ الرَّأْيِ) . قيل : وذلك ثمانى عشرة سنة وسمى ذلك أشد لانه شدة وقوة .

(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (لَأَن فِي وَقْعِ الْجُدَارِ ظُهُورُ ذَلِكَ الْكَزْبِ فَيُؤْخَذُ . وإذا أُنْقِضَ لم يظهر الكسر من تحته حتى يكون الغلامان هما الذين يخرجانه باطلاعهما عليه بما شاء الله كحمر الحاجة من الحوائج تحت ذلك الجدار أو ككتابة أو وصاية .

(رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) (مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مُؤَكَّدٌ لِلْجَمْعَةِ وَعَامِلُهُ مَحْذُوفٌ أَيْ رَحْمَتُهُمَا رَبُّكَ رَحْمَةٌ لِحَدَفِ رَحْمَتِهِمَا عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمُ اللَّهِ مَجْرُورًا مُتَعَلِّقًا بِمَحْذُوفٍ نَعَتْ

رحمة أو مفعول مطلق لأراد ربك لأن إرادة الخير رحمة أو حال بمعنى مفعول أى مرحومين من ربك أو بتقدير مضاف أى ذوى رحمة .

ويجوز أن يكون مفعولا لأجله ناصبه أراد وإن قلنا ناصبه ببلغا أو يستخرجا فإنما يصح على عدم اشتراط اتحاد الماعل وكذا إن قيل ناصبه محذوف أى فعلت ما فعلت رحمة من ربك إلا إن قدرنا : فعلت ما فعلت رحمة منى موجودة من الله : أسند الإرادة فى قوله : « فأردت أن أعيبها » إلى نفسه لأنه المباشر لتعويضها معيبة وللقادح مع الله لأنه ذكر العيب وأسند الإرادة إلى نفسه وإلى الله فى قوله : « فأردنا أن يبدلها ربهما » لأن التعديل بإهلاك النفس وإهلاكه بيده وبأخذ الله بدله وإسنادها إلى الله وحده فى قوله : « فأراد ربك » لأنه لا مدخل لتغير الله فى بلوغ الصبيين أو لأن الثالثة فى الخير بخلاف الأولى فإنها عيب وشر والثانية فإنها ممزوجة أو أسند الأولى لنفسه لأنها فى عيب فتأدب مع الله وعبر فى الثانية بصيغة الجماعة تنبيها على أنه من العلماء العظماء فى علم الباطن وعلم الحكمة وأنه لم يقدم إلى مثل هذا العمل إلا الحكمة عاوية وأسند الثالثة إلى الله سبحانه لأنها فى رعاية المصالح فى مال اليتيمين لصالح أبيهما . وحفظ الأبناء فى أحوالهم لرعاية صلاح الآباء ليس إلا لله تعالى أو فعل ذلك فى المواضع الثلاثة لاختلاف حال العارف بالله فى الالتفات إلى الوسائط فى الأولى بلغت إلى واسطة الخارق وهو الخلق وفى الثانية إلى الخلق الواسط وإلى الله وفى الثالثة إلى الله .

(وَمَا مَلَكَهُ) أى ما فعلت ما لم تستطع عليه صبرا فالهاء عائدة إلى ما فى قوله : « ما لم تستطع عليه صبرا » وهذا أولى من عودها إلى ما ذكر أو إلى ما رأيت فأموسى ولو كان الماصدق واحدا .

(عَنْ أَمْرِى) عن اختياري ورأى بل عن إلهام من الله عز وجل ، على القول

بأنه غير نبي أو عن الوحي على القول بأنه نبي والأول أصح كما مر أو ما فعلت ذلك
بمجرد قوتي بل بنصر الله وأمره لي بوحى أو إلهام .

ومبنى أفعال الخضر في اللواط للثلاثة على أنه إذا تعارض ضرران وجب تحمل
أحدهما لدفع أعظمهما وهي قاعدة مبهمة غير أن للشرائع في تفصيله مختلفة فساخت
أفعال الخضر في شرعه لافي شرع موسى وهذا النبي الكريم محمد ﷺ وعليهما
كما ساغ أكل المحرم من نحو اللبث لدفع الموت بالجوع . وكما ساغ لدفعه قول : إلمين
انسين :

وقد قول : إن العنق إنما فعلت ذلك لتظهر رحمة الله تعالى لأنها بأسرها ترجع
إلى معنى واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الأعلى .

وقد استدلل مالك بمخرق السفينة على جواز أخذ المال عن الجاني بدلا من
حده لإصلاحه كما ذكره العلامة أبو يعقوب يوسف في الدليل والبرهان وقد رددت
على المسدول في حاشيتي على ورقة أرسلها بعض الجربيين القناطين بمصر :

ومن فوائد هذه القصة : أن لا يجب المرء بعمله ولو بلغ ما بلغ وفاق به
الأولين والآخرين أو ساوى به الملائكة أو قاتمهم من علم أو عمل ديني أو دنيوي
وأن لا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه فلعن فيه مرأ لا يعرفه فإنه ولو كان منكرا
فإنه يرخس له مقدار أن يثبت أنه منكرف فينهى عنه وإن ثبت حرم عليه التأخير
في النهي ولو لحظة بحسب الإمكان وأن يداوم على التعلم ويقدلل لمعلمه في ما لا يعلمه
ولو فاق معلمه في غير تلك المسألة التي يتعلمها . فإذا ظهرت للتلميذ مسألة لم يتظمر
لشيخه وجب على شيخه التذلل له في حين تفهمه إياها منه لأن ذلك هو الإنصاف
وقبول الحق وحرم عليه استخراجها منه بتخييل أو كبر أو أن يراعى المتعلم وغيره

الأدب في المقال ، وأن يفهم الإنسان الجرم على إجرامه بلين إن عرف أنه يرتدع به أو لم يعرف وبإغلاظ إن علم أنه لا يرتدع أصلاً أولاً يرتدع إلا بإغلاظ .

وقيل : إذا لم يعلم أنه لا يرتدع لا يجب عليه نهيه ، وتصامح المجرم بملهم المهاجرة عنه حتى يتحقق إصراره على إجرامه فليهاجر عنه .

وقد روى عن علي وغيره أن موسى عليه السلام لما أراد فراق الخضر قال له الخضر : استودعك الله .

قال له موسى : أوصني .

فقال له الخضر عليه السلام : لا تطلب العلم لصدّث به واطلبه لتعمل به ، واجعل همك في معادك ولا تخض فنيا لا يمتيك ، ولا تأمن الخوف في أمرك ، ولا تياس من الأمن في خوفك ، وتدبر الأمور في علانيتك ، ولا تذر الإحسان في قدرتك ولا تكن مَشَاءَ في غير حاجة . وإياك والبجاجة ولا تضحك من غير محب ولا تثير الخطائين بخطاأم ، وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم إلى غد ، ولا تنس عيوبك .

ثم قال : يا موسى أتؤمنني على خرق السفينة وكسرها مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين كسرت الألواح ، وتؤمنني على قتل الضلّام ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر ، وتؤمنني على ترك الأجرة على إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غم شعيب لله الملك الجبار وليس هذا الأخوه عيباً بل أمر حسن مرغب فيه .

وروى أن موسى جاء مع فتاه إلى الخضر من لنته ورجما منه إلى التيه .

(ذَاكَ) الذي فررتك عليك يا موسى (فَأَوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ) أصل تسطيع تستطع حدث منها القاء ويقال أيضاً في الآخر استطاع بحذف القاء وذلك تخفيف لقرب مخرج القاء من الطاء (عَلَيْهِ صَبْرًا) تقدم مثل ذلك . والله أعلم .

(فصل)

اختلف : الخضر حتى أم ميت ؟ قال الأكثرون : حتى وافقت علمه الصوفية وحكايات رؤيته ووجوده في مواضع الظهور لا تخفى وتذلك تقول العامة . وهو وإلياس حيان يلتقيان في كل سنة في الموسم يأخذ كل منهما من شجر الآخر بفتح العين وما معمران محبوبان من الأبطال إلا من شاء الله .

وروى محمد بن المنوكل عن سيرة بن عبد الله بن هوازن : الخضر من ولد فارس وإلياس من بني إسرائيل يلتقيان كل عام في الموسم قال عمرو بن دينار : إنهما حيان مادام القرآن في الأرض فإذا رفع ماتا وكان السيب في حياة الخضر أنه شرب من عين الحياة يوم دخل هو وذو القرنين للظلمة فطلب عين الحياة وكان على مقدمة ذي القرنين فوقع على العين واغتسل وشرب منها وصلى شكراً لله تعالى وأخطأها ذو القرنين .

وقال آخرون : إنه ميت لقوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » وقوله ﷺ بعد ما صلى المشاء ليلة : أرايتكم ليلكم هذه فإنه لا يبقى على رأس مائة سنة أحد ممن هو اليوم على ظهر الأرض ولو كان الخضر جها لسكان لا يعيش بعدها . والله أعلم .

(فصل)

يروى أن رسول الله ﷺ وجد راحة طيبة حين أمرى به قل : لا جبريل .
ما هذه الراحة الطيبة ؟

قال : كان ملك عظيم في الزمان الأول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان

له ابن ولم يكن له ولد غيره فسلمه لفؤدب فأدبه وكان بين منزله ومعلمه رجل عابد يمر به فأعجبه حاله فألقه وكان يجلس عنده والمعلم يظن أنه في منزل أبيه وأبوه يظنه أنه عند المعلم حتى شب ونشأ في العبادة .

فقالوا لأبيه : ايس لك ولد غيره لو زوجته فمرض عليه للزوج فأبى ثم عاوده فقال : نعم . فزوجه جارية من بنات الملوك وزفت إليه فقال لها : إني مخبرك بأمر إن سمعتِ وكنتمتِ صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أفسيتِ عذبك الله في الدنيا والآخرة إني رجل مسلم ولست على دين أبي ولست من حاجتي إن رضيت أن تقيمي معي وتتابعيني على ديني فذلك وإن أبيت فالحق بأبيك وأهلك . قالت : بل أقيم معك لما أتت عليها مدة قالوا لأبيه : ما نظن ابداً لا عاقراً ما يولد له فسأله أبوه فقال : ما ذلك بيدي وإنما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء . فدعا المرأة فردت عليه مثل ما رد عليه ولده .

فكسك أبوه زماناً ثم دعا ابنه فقال : أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا لك ترزق منها ولداً فسكره ذاك وألح عليه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة شابة فمرض عليها الخبير الأول فقالت : أقيم عندك ههنا زماناً ثم إن أباه استبطأ الولد فدعاه فقال : ليس يولد لك .

فقال : ليس ذلك بيدي ولكن بيد الله تعالى فدعا امرأته وقال : أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند زوجك ولست تلدين من ابني .

فقالت : ما مسني منذ أخذني وكذلك المرأة التي قبلي . فدعاهما وسألهما فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيَّره وعنفه ففرغ ولم يأمن على نفسه فخرج من عنده وهام على وجهه .

فندم أبوه على ما فعل وأرسل في طلبه مائة رجل في طرق مختلفة شتى فأدركه
عشرة في حزيرة من جزائر البحر فقال لهم : إني أقول لكم شيئاً فإن كنتمتموه
كشف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أنشيتم سرى عذابكم الله في
الدنيا والآخرة .

قالوا له : قل ما شئت .

قال لهم : لست على دين أبي ولا نخبروه بمسكاني ولا نخبروا غيره بمسكاني
فلما دخلوا عليه قال تسعة وجدناه وقال : كبت وكبت فخلعنا عنه . ولما دخل العاشر
قال : ما لي به علم . والتسعة قالوا : بل ظفروا به وإن شئت أتيناك به .
قال : ارجعوا في طلبه وانثروني به .

نخاف الخضر أن يظفروا به فانتقل إلى موضع آخر فرجعوا وقالوا : لم نجده
مقتلهم : وقال لاسرائته : ألسنتي فعلت بأبي هذا حتى هرب فقتلها . وسمعت امرأته
الأولى تخفت من القتل فهربت .

فقال العاشر : ما يؤمنني أن أقتل كالتسعة فهرب فأتى قرية فإذا المرأة الهاربة
في تلك القرية وكانت تحمط فقلت يوماً : باسم الله فسمعها الرجل قتلها : من
أنت ؟ فأخبرته .

فقال لها : يا هذه أنا العاشر فهل لك أن أتزوجك فعمد الله حتى تموت ؟
فقلت : نعم . فتزوجها ثم انطلقا حتى أتيا قرية فيها بمض الفراعنة فأخذا
بيدةً من قصب وقال لها : إذا مت فادفني في هذا البيت ، وإن مت دفنك
فيه ومن تأخر مدا أوصي أن يهدم عليه البيت فلا تقبر مع هؤلاء فمات ودفنه .
ثم بلغ فرعون زماهم أنها تعبد الله وتوحد مأسر أن يؤتى بها فأتى بها
فأمرها أن ترجع عن دينها فأبت مأسر قد ربحنا خمس فلثت زيقا وحلت غليظا شديدا

وأمر بولدها الأكبر والتي في القدرات وكذا للناسي وكان في حجرها ولد
رضيع فأرادوا إلقاءه في القدر فرقت ونازعتهن فيه فتكلم للرضيع وقال لها: اصبري
فلما جميعا في الجنة .

فلما أرادوا أن يلتقوها قالت : لي إليكم حاجة .

قالوا : ما هي ؟

قالت : إذا رميتوني في القدر نصبروا ما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه
عليها فقلوا فلما أسرى رسول الله ﷺ وجد رائحة طيبة فقال : ما هذه الرائحة
الطيبة يا جبريل ؟

فأخبره جبريل بقصتهم وقال لرسول الله ﷺ : هذه رائحتهم .

ثم إن قوما من تلك المدينة ركبوا في البحر لتجارة ورمت بهم الأمواج
فانكسرت سفينتهم فأغرقوا إلا رجلين على لوح فرمت الأمواج بهما إلى جزيرة
من جزائر البحر فخرجا يحولان في الجزيرة فإذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب
بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت إليهما وقال : من أنما ؟
فقالوا : نحن من مدينة كذا وكذا وخرجنا من هذا البحر فانكسرت بنا
السفينة ودفنتنا الأمواج إلى هذه الجزيرة .

فقل : فاعفارا أن تقيا في هذا الوضع وتأتيكما أرزاقكما وإن شئنا
أردكما

فقالا : بل تودفنا إلى مغازلنا .

فقال : على أن تعطياي عهد الله وميثاقه أنكما لا تخبران بشيء مما ترياانه
وأطيعا عهد والميثاق .

فَنظَرَ نَازِئًا سَاجِدًا فَدَعَاهُمَا وَسَلَّمَا فَجَالَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ : أَرِيدَ بَلَدًا كَذَا وَكَذَا
 فَدَعَا السَّعَابَةَ الَّتِي تَرِيدُ بَلَدَهَا فَقَالَ : أَحْلَى هَذَيْنِ حَقٌّ تَضُمُّهُمَا عَلَى سَطْحِ دَوْرَهَا
 فَمَزَمَ أَحَدَهُمَا عَلَى السَّكَنَانِ وَنَزَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَهَزَمَ الْآخَرَ عَلَى الْإِذَامَةِ فَتَزَلَّ مِنْ
 سَطْحِهِ وَخَرَجَ مِنْ بَابِهِ وَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ وَغَادَى بِالنَّصِيحَةِ . فَأَدْخَلَ عَلَى
 الْمَلِكِ وَقَالَ : نَصَحْتُكَ . رَأَيْتُ ابْنَكَ فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَصَنَعَ بِنَا كَذَا وَكَذَا .
 فَقَالَ : مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟

- فَقَالَ : فَلَان . فَبَيَّثَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ مَا قَالَ فَأَنكَرَ وَقَالَ : أَمَا رَكُوبُ الْبَحْرِ
 قَدَّرَ رَكِبْنَا جَمِيعًا فَأَنكَسَرَتْ بِنَا السَّفِينَةُ وَصَرْنَا عَلَى لَوْحٍ وَاحِدٍ فَلَمْ تَزَلْ لَأَمْوَاجٍ
 تَضْرِبُنَا حَتَّى صَرْنَا إِلَى السَّاحِلِ فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ فَلَمْ نَزَلْ نَعِيشُ بِالشَّجَرِ وَالنَّهْثِ
 وَالثَّمَرِ تَرْمِضُ أَرْضٌ وَتَضْمُنُ أُخْرَى حَتَّى أَتَيْنَا مَنَازِلَنَا .

فَقَالَ الْآخَرُ لِلْمَلِكِ : فَكُنْ رِسَالَةَ حَقٍّ أَتَيْتُكَ بِهِ وَتَعْلَمُ أَنَّ هَذَا قَدْ كَذَبَ فَبَيَّثَ
 مَعَهُ رَجُلًا فَرَكِبُوا الْبَحْرَ حَتَّى أَتَوْا الْجَزِيرَةَ فَطَلَبُوا الْخَضِرَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فِيهَا وَرَدُّوا
 الرَّجُلَ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا : هَذَا أَكْذَابُ خَلْقِ اللَّهِ فَأَرَادُوا مَا قَالُوا شَيْئًا قَتَلَهُ وَخَلَّى
 عَنْ الْآخَرِ . وَمَا زَالَ أَهْلُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ يَسْلُوكُونَ بِالسَّامِيِّ فَتَضِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ
 فَيَمُتُّنَّ فَأَدْخَلَتْ جَدَاحِي تَحْتَهَا فَاقْتَلَتْهَا وَرَفَعَتْهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نَبَاحَ الْكَلَابِ
 وَصِيَاحَ الدِّيُوكِ فَتَلَبَّيْهَا فَجَاءَتْ تَهْوِي بِمَنْ فِيهَا وَلَمْ يَبْجِ مِنْهَا إِلَّا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ لَجَعَلَا
 يَلْهُوَانِ فِي حُدُودِ الْمَدِينَةِ فَلَا يَلْقَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَيْرَ صَاحِبِهِ فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ
 اعْتَزَلَا .

قَالَ الرَّجُلُ : أَتَيْتُهَا الْمَرْأَةَ قَدْ رَأَيْتِ مَا أَصَابَ الْقِسْمَ وَإِنَّهُ لَمْ يَفُتْ غَيْرِي
 وَغَيْرِكَ فَصَاهَدَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَلَى السَّكَنَانِ وَقَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَنِي فَخَرَجَ

إلى مدينة من هذه المدن ما كتب عليك وتسكين على حتى ينفي الله من أمره ما يشاء ؟

فعلا ردها إلى مدينة لهمض للفرعنة قيل : هو فرعون موسى فاتخذها لأنفسهما بيوتا وولد لهما أولاد وتطلقت المرأة لآل فرعون فحضنت عندهم فبيما هي ذات يوم تسرح رأس بنت الملك إذ سقط المشط من يدها فقالت : باسم الله تمس من كفر بالله . فتنقلها على ما فصلته في محله هي وزوجها وأولادها في قدر نحاس مقلدة بالزيت إذ أبوا إلا الإسلام . فكل من الرائحة تفوح من حيث جمعوا عظامها . والشهور أنها هي الرائحة التي بلغت رسول الله ﷺ ليلة الإسراء فسأل جبريل عنها فأخبره عليهما السلام ولا تزول تلك الرائحة إلى يوم القيامة .

وكان الخضر في أيام أفريدون الملك على قول عامة أهل الكتاب .

وقيل : كان على مقدمة عسكر ذي القرنين الأكبر الذي كان في أيام الخليل عليه السلام وهو الذي قضى بين القسمة وهي ثم احتقرها إبراهيم عليه السلام لشيعته في صحراء الأردن وإن قوما من أهل الأردن ادعوا الأرض التي احتقرها إبراهيم عليه السلام .

وقيل : إن ذا القرنين الذي على عهد إبراهيم وكان الخضر على مقدمته هو أفريدون الملك .

وزعم بعضهم أن الخضر من ولد من آمن بإبراهيم واتبعه إلى دينه ببابل . وروى ابن إسحاق عن وهب بن منبه أن الخضر هو أرميا بن خلفيا من سبط هارون بن عمران وهو الذي بعثه الله في أيام قاسية بن أرمص ملك بني إسرائيل ورُدَّ بأن قاسية بن أرمص كان في عهد كنفاسب بن هرادست وفي أيام بُنْت نَهَر وبين كنفاسب وبين أفريدون من الدهور ما لا يحمله ذو علم بأخبار الناس وأيامهم وقد صح عنه ﷺ أن صاحب موسى بن عمران هو الخضر .

وقد يقال : كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر صاحب إبراهيم وشرب من ماء الحياة ولم ييمث في أيام إبراهيم ومن بعده إلى أيام قاضية .

وعن أنس بن مالك : خرجت مع رسول الله ﷺ وإذا بصوت يحببني من شعب قال : اطلق وأبصر هذا الصوت .

فانطلقت فإذا رجل يصلى تحت شجرة وهو يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها .

فأتيت رسول الله ﷺ فأعلمته بذلك .

فقال : انطلق فقل له : إن رسول الله ﷺ يقرؤك السلام ويقول لك : من أنت ؟

فأتيته فأعلمته بما قال رسول الله ﷺ .

فقال : اقرأ رسول الله ﷺ السلام وقل له : أخوك الخضر يقول لك : ادع الله أن يحطمني من أممك المرحومة .

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال : ألا أحدثكم بحديث ؟

قالوا : بلى يا رسول الله ﷺ .

قال : بينما الخضر يمشي في سوق من أسواق بني إسرائيل إذ لقيه مكاتب فقال له : تصدق على بارك الله لك .

فقال : آمنت بالله ما قدر الله من أمرى سيكون فامني من شيء أعطيك .

فقال له السائل : أسألك بوجه الله إلا ما تصدقت على .

قل له الخضر : آمنت بالله ما بقضى من أمرى سيكون فامني من شيء أعطيك .

فقال الرجل : تصدق على بارك الله لك فإني أرى الخير في وجهك رجوت

الخير من فطاك .

قال له الخضر : آمنت بالله ما يقضى الله من أمرى سيكون ما مضى شيء أعطيكه إلا أن تأخذ بيدي وتدخلني السوق وتبيعي .

قال الرجل : وهل يكون مثلك يباع ؟

قال : الحق أقول : سأفنى بمظلم سألتني ربي . قد أجبتك فخذ بيدي وأدخلني السوق وبيعي .

فأدخله السوق وباعه بأربع مائة درهم فابث هند للبئاع أيلما لا يستعمله في شيء .

فقال له الخضر : استعمني .

فقال له : إنك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك .

قال : لا يشق ذلك علي .

قال : قم اقل هذه الحجارة من هاهنا إلى هاهنا . وكانت الحجارة لا ينفلها إلا شاب في يوم تام . فقام فنقلها في ساعة واحدة وأمد الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه فقال له : أحسنت .

ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر عليه السلام : إني أريد أن يها ناصحا فآخلفني في أهلي .

قال : نعم إن شاء الله تعالى فاصعدا في شيء .

قال : أكره أن أشق عليك .

قال : لا يشق ذلك علي .

قال : اضرب آيما تقصر أريده ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره إذا هو بالقصر قد شُيِّد بنهاية على ما أراد . فآزاد منه تعجبا وقال له : من أنت ؟

قال : أنا الملوك الذى اشتريت .

قال : سألتك بوجه الله إلا ما أخبرتنى من أنت ؟

فقال له الخضر : إن هذا القسم هو الذى أوقفتنى فى اليهودية . أما الخضر .

سألتنى سائل بوجه الله أن أعطيه فلم يكن مى شئ . أعطيه فأمكنته من نفعى حق
باعتى منك . وبلغنى أنه من سئىل بوجه الله العظيم فرد سائله وهو يقدر على حاجته
وقف يوم التهمة بين يدى الله عز وجل ليس على وجهه لحم ولا جلد .

قال : فأنكب الرجل عليه وهو يقول : أبى أنت وأبى شققتُ عليك ولم أعرفك

فأحكم على فى مالى وأهلى وأحب الأشياء إليك .

قال : أحب الأشياء . إلى أن نغنى سبيل أعبد ربى . وكان الرجل كافراً

فأسلم على يديه وأعطاه أربع مائة دينار وخذل سبيله .

قيل : فأوحى الله إليه : قد نجيتك من الرق وأسلم لكافر وأعطاك مكان

كل درهم ديناراً ولا يخسر مع الله أحد والله أعلم .

(وَبَسَّأَلُونَكَ) أى اليهود أو قريش : أبوجهل وأتباعه بإرسال اليهود لإمام

(عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ) الإسكندر الرومى .

قال وهب : لقب بذلك لأنه ملك فارس والروم .

وروى : الروم والترك .

وقيل : المشرق والمغرب .

وقيل عن النبي ﷺ وعن الزهري : لأنه طاف قرى الدنيا : المشرق والمغرب .

وقيل : لأنه انقضى فى أيامه قرنان من الناس .

وقيل : كان القرنان حسنتين .

وقيل : خديرتين فصلان إلى الأرض . إنه كان له قرنان أى صفهتان .

وقيل : لأنه كان لتاجه قرنان .

وقيل : إنه كان على رأسه ما يشبه القرنين وتواريهما للمامة .

وقيل : لأن صفحتي رأسه من نحاس .

وقال علي : لأنه ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات فأحياه الله وضرب على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله قال : وفيكم منه .

وقيل : كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى .

وقيل : لأنه أدخل الدور والظلمة وأمرها الله بالامتثال له .

وقيل : لأن قرني الشيطان عند مطلع الشمس وقد بلغه .

وقيل : لشرف أبيه .

وقيل : إنه يقاتل بيديه وركابيه .

وقيل : لأنه علم الظاهر والباطن .

وقيل : لأنه رأى في منامه أنه أخذ بقرني الشمس .

ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال : زيد شجاع ينطح أقرانه .

وما ذكرته من أنه رومي هو المشهور .

وقيل : هو عربي من أهل اليمن من حمير .

قال الفخر عن أبي الريحان السمروري المنجم : إنه من حمير وإن اسمه نوار

ابن سمر بن عز بن أنفوس الحميري وهو الذي افتخر به أحد شعراء حمير وقال :

قد كان ذو القرنين قديما مسلما ملصكا على الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمنارب يلتقي أسباب ملك من كريم مرشد

فرأى إهاب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب ونظمة حرم

وهو ولد عجوز ليس لها غيره واسمه إسكندر بن فيلنوس .

وقيل : مازبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح .

وقيل : اسمه عبد الله

وقيل : الصمص .

وقيل : المنذر .

وقيل : أمريدون . ورجح الثلاثي الصمص قال : وليس هذا الإسكندر اليوناني لأن هذا في زمان إبراهيم والإسكندر كان قريباً من زمان عيسى وبينهما أكثر من ألف سنة .

والحق أن الذي قص الله تعالى نبأه في القرآن هو الأول لما ذكر ولأنه من العرب والإسكندر من اليونان ولأنه صالح أو نبي والإسكندر كافر كما قال الفخر الرازي . وهو مسلم إجماع فتبيل : نبي ويدل له قوله تعالى : « قلنا يا ذا القرنين » وخطاب الله تعالى لا يكون إلا مع الأنبياء إلا أن يقال : إنه خطاب بالهام أو على لسان غيره . وقيل : ولي .

وزعم بعض أنه ملك من اللاتكة .

وروى عن عمرو بن الخطاب أنه سمع رجلاً يقول : يا ذا القرنين فقال : اللهم اغفر . أما رحيم أن أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميت بأسماء اللاتكة . قال علي : سخر له السحاب ومدت له الأسباب واسط له النور .

روى أنه قال : وكان عليه الليل والنهار سواء وسهل عليه السير في الأرض وذلك له طرقها . وسئل عنه فقال : أحب الله مأخذه وناصح الله فباصحه رواه أبو الطيلى .

وسأله ابن الكوا : ما ذو القرنين أم لك أم نبي ؟

قال : ليس ملك ولا نبي ولكن كان عبداً صالحاً ملكاً عادلاً وعليه
الأكثر .

وذكر بعضهم أنه إذا سرى يهديه الدور من أمامه ونحوه الظلمة من وائه
وأعطاه الله العلم والحكمة وأبسه الهيبة وملكه الأرض .

قيل : ملك الأرض مؤمنان : ذو القرنين وسليمان . وكافران : نمرود
وبخت نصر .

روى أنه لما مات أبو ذى القرنين جمع ملوك الروم بعد أن دانت له طوائف
ثم مضى إلى ملوك العرب وقهم وأمن حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم رحع
إلى مصر وبنى الإسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام ودخل بيت المقدس وقرب
إليه القربان ثم انحط على أمنيته وباب الأبواب وبنى للهد ودانت له ملوك
العراق والهند والبربر واستول على ملوك القرس ثم مضى إلى الهند والصين وغزا
الأمم الهنيدة ثم رجع إلى العراق ومصر بشهرزور ومات وحمل إلى
الإسكندرية

وقيل : أوصى أن يحمل في تابوت من ذهب إلى لحد في الروم .

وروى أنه كتب إلى أمه وهي في الإسكندرية قبل وفاته بقليل : إذا وصل
إليك كتابي هذا فاجي أهل ملك وأعدى لهم طعاماً ووكلي بالأبواب في منع
من أصابه مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل إليها
أحد فقلت أن الإسكندر عزاهما في نفسه

وروى أنه كتب إليها : أن اهي طعاماً وأسرى منادياً : ائتوا الطعام إلا
من أصابه مصيبة في قريب أو صاعب ففعلت فلم يأت أحد فقالت : لم لا يأتون ؟
فقبل لها : أنت منعتهم ؛ إذ لا أحد إلا وقد أصيب بذلك .

فقلت : رحم الله ابني عزائي في نفسه وهو حي . ويأتي كلام في هذا . وعمره
ثلاثون سنة وقد بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال وهذا هو القدر الممور
من الأرض .

وعن وهب بن منبه أن ذا القرنين رحل من الروم ابن مجوز لما بلغ كان
عهداً صالحاً وقال الله عز وجل له : إني بامتك إلى أمم مخدعة أسخطهم منهم امتنان
بينهما طول الأرض إحداهما عند مهب الشمس يقل لها : ناسك والأخرى عند
مطلما يقل لها : منك وأمة ن بينهما عرض لأرض إحداهما في القطر الأيمن
يقال لها : هاويل والأخرى في القطر الأيسر يقال لها : تاويل وأم في وسط
الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج وماجوج قال ذو القرنين : فارب بأي قوة
أكابرم ؟ وبأي جمع أكأثرم ؟ وبأي لسان أناطهم ؟

قال الله تعالى : إني سأطوفك وأسط لبانك وأشد عضدك فلا يهوانك
شيء وألبسك ثوب هبة فلا يرعدك شيء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما
من جنودك فالنور يهديك من أمامك والظلمة تحوطك من ورائك .

فأطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله مكأثرم
بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى الله ومعبادته فمنهم من آمن ومنهم
من صد فسد إلى من صد فأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجرامهم ويوتهم مدخلوا
في دعوته .

فجند من أهل المغرب جنداً عظيماً وأطلق بقودم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل
ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الأميين
وجند منهم جنداً ثم أخذ ناحية اليسرى فأبى دويل ففعل فيهم كفعله في من قبلهم
ثم عد إلى الأمم التي في وسط الأرض .

فلما كان مما بلى منقطع الترك مما بلى المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس :
ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا أشباه الهائم يفترسون الدواب والوحوش
كالسباع ويأكلون الحيات والمقارب وكل ذى روح خلقه الله فى الأرض وايس
يزداد خلق كزيادتهم فلا شك أنهم سيملكون الأرض ويظلمون علماء
ويفسدون فيها « فهل يجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً قال :
ما مكى فيه ربي خير » وقال : أعدوا الى الصنخور والحديد والنحاس حتى أعلم
علمهم .

فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ ط ل الواحد منهم
نصف الرجل المروع مذا لهم مخالب وأضراس كالسباع والشعر يوارى أجسادهم
يقعون به الحر والبرد ولكل واحد أذنان عظيمتان ينتشر إحدهما ويلتحف
بالأخرى بصيف فى واحدة ويشتو فى الأخرى ويتسافدون تسافد الهائم حيث
للتقوا فانصرف تقاس ما بين الصدفين وحفره إلى الماء وبناه .

قال عكرمة بن عمار الجهني : خرجت من عند رسول الله ﷺ فى اليوم
الذى أخدمه فيه فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف وكتب فتأولوا :
استأذن لنا على رسول الله ﷺ فانصرفت إليه فأخبرته بمكانهم فقال : ما لى ولهم
يسألونى عما لا أدرى أنا عبد لا أعلم إلا ما علمنى الله ثم قال : اثنتى بوضوء ما بينه
بوضوء فتوضأ ثم قام إلى المسجد فركع ركعتين فأتى انصرف حتى بدا لى السرور
فى وجهه فقال : اذهب فأدخلهم وأدخل من وجدت بالباب من أصحابى . فلما
وقفوا عليه قال : إن شئتم أخبرتكم بما أردتم أن تسألونى عنه قبل أن تتكلموا
أو إن شئتم سألتهم وأخبرتكم .
قالوا : أخبرنا .

قال : حيثم تسألوني عن ذي القرنين وسأخبركم كما تجدونه في كتبكم مكتوباً :
 إن أول أمره أنه كان غلاماً من الروم وأعطى ملكاً . فسار حتى انتهى إلى أرض
 مصر فبنى عندها مدينة يقال لها : الإسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك
 فخرج به ثم قال : انظر ما معك .

فقال : أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به .
 فقال : انظر .

فقال : قد اختلطت مدينتي مع المدائن ثم زاد فقال : انظر .
 فقال : أرى مدينتي وحدها ولا أرى غيرها .

فقال له الملك : إنما تلك الأرض كلها وذلك السواد المحيط بها البحر
 وإنما أراد الله أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطاناً فيها فمر في الأرض
 وعلم الجاهل وثبت العالم .

فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدين
 وهما جبلان ليناان يزاقي عنهما كل شيء فبنى السد ووجد يأجوج ومأجوج
 يقاتلون قوماً ثم مضى ووجد أمة من الغرائيق يتاتلون قوما كذراع ثم مضى
 ووجد أمة يقاتلون قوما وجوههم كوجوه الكلاب ثم مضى فوجد أمة من الحيات
 قلتنم الحية الصغيرة العظيمة ثم أتى إلى البحر المحيط بالأرض .

فقالوا : نشهد أن أمره كان هكذا وإنا نجده في كتابنا هكذا .

وروى أنه رجع من بابل وقد أحاط بالسلام به ، وظهرت به آثار الحنّام
 وقد رأى في مقامه أنه يموت فوق أرض من حديد وتحت سماء من حديد ثم
 أخذه العطش والحجى فترشوا تحته أدرع الحديد وظلّوا عليه بالحديد فأيقن بالمرت
 وأوصى إلى أمه أن تعمل وليمة وأن لا يحضرها من أصيب بخليل أو محبوب .

ولما مات وضع في تابوت من الذهب ليحمل إلى أمه بالإسكندرية وله ست وثلاثون سنة وكانت مدة ملكه تسع سنين فقال حكيم الحكماء : لا يشكلم كل منكم بكلام لم يكون للخاصة مذكراً وللأمة واعظاً .

فقام أحدهم فقال : لقد أصبح مستقاس الملوك أسهراً .

وقال آخر : هذا الإسكندر كان يحبس الذهب و صار الذهب يحبسه .

وقال الآخر : المعجب كل المعجب أن القوى قد غلب .

وقال آخر : قد كنت لنا واعظاً ولا واعظاً أبلغ من وفاتك .

وقال آخر : رب هائب أن يذكر سرّاً وهو الآن لا يخاف جهراً .

وقال آخر : يا من صاقت عليه الأرض في طولها وعرضها لم تشعري كيف حالك في قدر طولك منها .

وقال آخر : يا من كان عضبه الموت هلاً غضب على الموت .

وقال آخر : مالك لم يحول عضو من أعضائك وقد كنت تزول الأرض .

ولما ورد على أمه في القابوت شرعت في عمل الوليمة وقالت : لا يحضرها من أصيب بمحسوب أو خليل ، ولم يحضر أحد .

فقلت : ما بال الناس لا يحضرون الوليمة ؟

فقلوا : أنت مفتتهم من الحضور .

فقلت : كيف ذلك ؟

ف قيل لها : قد أمرت أن لا يحضرها من نقد محبوباً أو خليلاً وليس في الدنيا

أحد إلا وقد أصيب بذلك نفث ممس ما بها من الحزن وتسالت بعض تسلية

وقالت : رحم الله ولدى قد عزّاني أحسن تمزية وسلّاني بالطف تسلية .

(قُلْ) مجيباً لهم (سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ) سأفحص عليكم أيها السائلون عن
 ذى القرنين (مِنْهُ) من حاله . وقيل : من الله متماق بأنلوا ويحذوف حال
 من قوله :

(ذِكْرًا) أى خبراً . وللمين هذا وفى قوله « سأنبئك » الحال المنصلة بحال
 التكلم وإن شئت نقل للاستقبال المنصل بحال التكلم بلا مفعلة .
 وقيل : للاستقبال المفعول بقوله : « عليكم منه ذكراً » وقوله : « بتأويل
 ما لم نستطع عليه صبراً » .

وقيل : إنه لم يقل : أما السفينة الخ متصلاً بقوله : « ما لم نستطع صبراً » .
 بل قال ذلك وسكت فأمسكه موسى بشويه وقال : لا أفارقك حتى تخبرنى بأحبره
 وما يدرى أحد مقدار ما يمكنك غير مخبر له لو لم يمكنه .

ودكر الزمخشري أن السين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت
 أنه واقع لا محالة بنى أنها تفيد تأكيد الوعد . وقد صرح بذلك كاقال ابن هشام
 فى قوله تعالى : « أولئك سرّهم الله » لكن ذلك مع الاستقبال فى الآية
 ويجوز أن تكون فى سورة الكهف لتأكيد الوعد بمحصل الفعل بدون استقبال
 وديث لأنه لا مسحة بين تلاوة رسول الله ﷺ على سائليه قوله تعالى : « قل
 سأتلوا عليكم منه ذكراً » وتلاوته عليهم قوله تعالى : (إِنَّا مَكْنُأ لَهُ فِي الْأَرْضِ)
 مهدداً له الأسباب فى الأرض أو مكناً له أسره فيها يتعريف كاشاء .

(وَأَنبَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) أرادته وتوجه إليه مما يستعين به الملوك على
 فتح المدن ومحاربة الأعداء . وما أرادته هو مبقداً له . (سَبِّحًا) ما يتوصل به إليه

التصود من علم أو قدرة وآلة . وفسر بالطريق وبالم يتسبب به إلى كل ما يريد ويسر به في أنظار الأرض وفسر بالبلاغ إلى حيث أراد .

وذكر بعضهم أن الله مز وجل قرب له أنظار الأرض . (فَأَتْبَعَ) سلك .

وقرأ الكونون وابن عامر بقطع الهزة وإسكان القاء غير مشددة وكذا في اللوذين الآتين (سَبَّأً) طريقاً إلى المغرب .

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَذْيَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْجُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) أى في عين ذات حمة . والحمة : الطينة السوداء اللينة . ويقال : حمت البئر أى صارت فيها الحمة .

وقرأ ابن عامر وحمة والكسائي وأبو بكر حامية أى حارة . وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر والحسن .

وعن أبي ذر رضى الله عنه : كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال : لا أبا ذر أنتدرى أين تغرب هذه ؟

قلت : الله ورسوله أعلم . فإنها تغرب في عين حامية . ولامناقة بين القراءتين لجواز أن تكون العين جامعة للطينة السوداء والحرارة .

وقرأ ابن عباس حمة عند معاوية . فقرأ معاوية حامية بالألف وباء . فقال ابن عباس : حمة .

فقال معاوية لعبد الله بن عمر : كيف تقرأ ؟

قال : كما يقرأ أمهر للؤمنين . ثم وجه إلى كتب الأحبار : كيف تجد الشمس تغرب ؟

قال : في ماء وطن . كذلك نجد في العورة .

وروى أنه قال : في ناط أي ماء وطن فوافق قراة ابن عباس وكان رجل حاضرا فأشدد :

فأرى منهب الشمس عند ماء بها البيت
وروى أن ابن عباس وعمر بن العاص اختلفا في القراءة فجعل بينهما كهما فوافق ابن عباس .

و امل غيوبها في ماء وطن إنما هو بحسب نظر بالغ بساحل البحر المحيط بأن يكون قد بلغه ذو القرنين فراها كذلك إذ لم يكن - حيث يقع بصره - غير الماء كما أن راكب البحر يراها كأنها تغييب في البحر ولذا قال : « وجدها تقرب » ولم يقل : كانت تقرب فكأنه قيل : تقرب في ظنه أو علمه غير المطابق أو في الحال التي فيها كأنها تقرب في ذلك ؛ فإن جرم الشمس أضاعف الدنيا وليكن رواية كعب يتبادر منها أنها تغييب في ذلك حقيقة ولو احتملت التأويل المذكور وعلى التأويل قرب الله له ساحل الجانب الآخر غير الذي هو فيه بقدر ما يرى طينه ويرى الشمس كأنها غائبة فيه وتكون العين للبحر المحيط . ويجوز أن تكون في معنى عند أي عند عين حنة .

(وَوَجَدَ عِندَهَا) أي عند العين من الجانب الذي هو فيه (قَوْمًا) لهمهم جلود الوحش وطعامهم ما تظاء البحر وهم كفار .

وقال ابن جريج : هم قوم في مدينة لها اثنا عشر ألف باب وهم كفار . ويقال : إنها جابر سا واسمها بالسريانية حرجيسا .

وقيل : بعضهم مؤمن وبعضهم كافر .

وروى أنهم قوم من نمود آمنوا بصلاح وفيهم كفار لولا ضجيج أهل تلك المدينة لسمع الناس وجهة الشمس حين تهب أي حين تهب . فإن كان هذا

حديثاً عن رسول الله ﷺ فلا إشكال وإلا فما لنا لا نسمع ضجيجهم الغائب لوحدها
عن اسماعيل

(فَلَمَّا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّمَا أَنْ مُذَبِّبٌ) بالفتل على كفرهم (وَأَمَّا أَنْ
تَقْبِضَ بِهِمْ حُتْمًا) بالإرشاد إلى التوحيد وتعليم الشرائع لذلك تخيير له بين
قتلهم ودعائهم إلى الإيمان وقيل : تمذيبهم : قتلهم واتخاذ الحسن فيهم : أمرهم
سماء إحساناً بالنظر إلى القتل وفي مقابلة . وقيل : تمذيبهم : قتلهم واتخاذ الحسن
فيهم : تركهم . وقيل : اتخاذ الحسن : أن يأمرهم ويولمهم الإيمان . وعلى أن فيهم
مؤمنين وكافرين فالمراد بالقوم الكافرون والكلام في التمثيل واتخاذ الحسن
كما أن المراد بالقوم الكافرون والمؤمنون وإما تقسيم لقوله فيهم فالتمثيل للكفرة
واتخاذ الحسن للمؤمنين والأول أنسب بقوله : (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ) نفسه بالكفر
والناسي والإصرار عليهما بعد أن دعوته للإيمان .

(فَسَوْفَ نُمُذِّبُهُ) نقتله إن لم يكن كتابي معطياً للجزية فهو حكم هذه
الشريعة . ظهر كلام بعض أنه قال : الحسن .

(ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رُبِّهِ) للبحث إذا قامت الساعة .

(مَيْعَذُوبُهُ ذَابًا مُكْرَأً) غير ملوف وغير معروف لشدة حال قتادة : كان
يطبخ من أمر على الكفر في القصور فيجتمع عليه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .
وقرى : بإسكان الكف .

(وَأَمَّا مَنْ آمَنَ) وحده حل وعلا .

(وَعَمِلَ صَالِحًا) قبل دعوى أو بعدها

(لَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى) أى جزاء أفعالها الحسنى وهى الجنة وزواها ما فيها

من النعيم أو الإضافة للبيان أى جزاء هو الحسنى ففى الجنة ويجوز أن يكون المعنى جزاء الفعلة الحسنى أو جزاء بقلته الحسنى وهى الإيمان والعمل الصالح .

وقرى بنونين جزاء فيكون الحسنى بده . وقرأ حزة والكسائى ويمتوب وحفص نصب جزاء وتقويته ليكون حالا من الضمير المستتر فى قوله « له » والحسنى على هذا مبتدأ أى لله الحسنى حال كونها مجزياً بها أو مفعولاً مطلقاً . وكذا للجملة المذكورة قبله كقوله : زبد أبوك . طرقة والفاعل محذوف أى مجزبة جزاء بها وهذه الجملة المحذرة مستتفة أو حال من الضمير المستتر فى قوله له أو تمييزاً لفلسفة وبه قال الغراء .

وقرأ بعضهم جزاء بالنصب وعدم التنوين وإعرابه كما مر والحسنى مبتدأ كما مر وترك تنوينه لانتفاء الساكنين وهو شاذ لأن التنوين الذى يحذف الساكن هو تنوين الاسم قبل ابن إذا كان ابن تبتاً له .

(وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) مفعول يقول وفيه معنى الجملة أى نقول له كلاماً يتضمن اليسر أى تأمره بما يسهل عليه ونلین له القول وذلك كالزكاة والخراج لمنافع المؤمنين بعضهم من بعض لأنه هو ولا لمن معه كالم يأخذ أجرة على السد . وقرى بضم السين كالياء انظر كيف فعل حين خذره الله اختار ما هو أبقى بالإسلام وأشد قرباً إلى الله وهو الدعوة إليه .

(ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) إلى الشرق .

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) أى الموضع الذى تطلع عليه أولاً من

محمود الأرض وهو اسم مكان

وقرى بفتح اللام على خلاف القياس فيه أو على أنه مصدر مبهى على حذف

مضاف أى مكان مطلقاً أى مكان طلوعها .

(وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) هم قوم من الزنج لم يعمل الله سبحانه وتعالى لهم من دون الشمس ستراً من لباس ولا ستف ولا بناء ولا شجر وكانت أرضهم لا تحمل البناء . قال كعب الأحبار : أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معائشهم .

وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل : بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم بفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعنا صاحب يعرف اسمهم فقال لهم : أحببنا أن ننظر كيف تطلع الشمس .

فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهينة الصلصلة فغشي على ثم أتت وهم يسمعونني بالدهن فلما طلعت الشمس على اللاء إذا هي فوق الماء كهينة الزيت فأدخلونا سرّاً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجلوا يططادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم .

قال مجاهد : من لا يلبس الثياب من السوفان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض .

قيل : طرفهم مما يل الشمال مجاورون بأجوج ومأجوج قول : إذا طلعت دخلوا أسرابهم وإذا زالت عنهم خرجوا إلى معائشهم وحروهم .
وقيل : لا يخرجون إلا ليلاً .

وقيل : هم عراة إذا طلعت نزلوا في الماء وإذا ارتفعت خرجوا كالبهايم .
وقول : قوم مؤمنون من قوم هود واسم مدينتهم جهلقا وبالسرانية مرقيسا .
(كَذَلِكَ) خبر لحذوف أى أمره معهم كذلك وهذا من باب التخلص

الهدى ويجوز تطبيقه بوجد أى وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً
 كما وجدها تقرب في عين حنة قريبة للنظر في الحائنين هذان الوجهان ظهرا الى .
 وقال غهرى : كما بلغ مغرب الشمس بلغ مظلما فيمتلئ ببالغ الثانى فى الآية .
 وقيل : يتعلق بمحذوف أى حكم فى القوم عند مطلع الشمس كما حكم فى القوم
 عند مغربها وصححه بعضهم .

وقيل : يتعلق بنجمل أى لم نجعل لهم من دونها ستراً كما جعلنا لكم ستراً
 بمحزون وجهال وشجر ولباس فالإشارة إلى ما هو ستر .

وقيل : صفة لمصدر محذوف لوجد أو لنجعل أو ننت قوم أى على قوم مثل
 ذلك القوم الذين تقرب عليهم الشمس بالكفر والحكم عليهم ثم رأيت الوجه
 الأول الذى ظهر لى منصوباً عليه للتشبيخ هو درجته الله والغشى والقاضى
 والمباركة هكذا أى أمر ذى القرنين كما وصفناه فى رضى السكان وبسطة الملك
 أو أمره فيهم كأمره فى أهل القرب من التخيير والاختيار .

(وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا) أى أحاط علمنا بما عند ذى القرنين من جنود
 وآلات وعدة وأسباب ملك . فخبراً تتميز محمول من القائل بمعنى العلم .

والمراد بهذه الجملة تكثير ما عند ذى القرنين من ذلك أحطنا بظواهر ذلك
 وخفاياه البالغة مبلغاً لا يحيط به غهرى لأننى لطيف الظاهر ويجوز أن يراد
 بما لديه ما عنده من الصلاحية لذلك وقائه له ويجوز أن يكون خُبْرًا . فنولاً مطلقاً
 لقضن أحطنا معنا علمنا والخبر هو العلم .

(ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا) إلى جهة الشمال .

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) بين الجهلين الذين خلفتهما سداً لأجوج
 وأجوج والشيبين بالسد الذى بينى حاجراً قسماً أو الذين نجد لأحمد اليوم سدة

بناها ذوالقرنين بينهما لو رأيتهما . وعلى كل حال هما جبلان في آخر الشمال في منقطع
أرض الترك مضياع من ورائهما بأجوج ومأجوج وقد انتخر ملك تلك الجهة
المتصلة بهما على ملك قسطنطينية بأن ملكه وصل سد بأجوج ومأجوج حين
قاتل الترك الموحدون المالكون للقسطنطينية هؤلاء الترك المشركين المدعين أن
ملكهم اتصل بالسدين واسمعان الترك الموحدون بمساكن العرب وغيرهم وبروم
المغرب من الفرنسيين وغيرهم وذلك في حين بلغنى في تفسيرى هذا سورة الأعراف
وتسمى هؤلاء الترك الكفرة بالسك وهو بلغهم القباب لكفرهم .

وذكر بعضهم أن الجبل الذى فيه السد بلى الروم من جانبه الغربى وأن
طوله سبع مائة فرسخ وبتنقى إلى بحر للظلمات .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بين السدين بفتح السين والمعنى واحد
وهما لنتان . وقيل السد بانعم : لما خلقه الله وبافتتح لما عمله الناس لأنه في الأصل
مصدر سمي به حدث يحدته الناس . وقيل بالعكس .

وقيل في الضموم : إنه بمعنى مفعول أى عما فعله الله . وقيل : السدان : جبلا
أرمينية وأذربيجان والصحيح الأول وبين في الآية مفعول به لبلغ . ووقع فاعلا
لتقطع في قراءة بعض « لقد قطع بينكم » برفع بين ووقع مضافاً إليه في قوله :
« فراق بينى وبينك » وهو من الظروف المتصورة لذلك يقال : ولا دليل في ذلك
لجواز أن يكون بمعنى الوصل في « لقد قطع بينكم » وفي « فراق بينى وبينك »
وفى الآية أيضاً على حذف المضاف أى بلغ موضع وصل السدين أى حيث وصل
بينهما أو بمعنى الفصل كذلك أى موضع الفصل بينهما قبل أن يوصل سداً بآخر .
ويحكى أن الواثق بالله بث بعض من يثق به من أتباعه ليماينوا السدين

فخرجوا حتى وصلوا إليه وشاهدوه فوصفوا أنه بناء من كين حديد مسدود
بالفحاس المذاب وعليه باب مقفل .

واقى حفظت قديماً أن سلاماً للترجمان كان حارماً بالسنة كثيرة حتى قيل :
إنه يعرف أربعين لغة ويمجاري فيها ويقول : إنه رأى هذا السد عياناً بعينه الواثق
من خلفاء بني العباس ليتحققه .

فرجع إليه بعد سنتين وأربعة أشهر فأخبر أنه سار ومن معه حتى وصلوا
إلى صاحب السرب بكتاب الواثق فأكرمهم وأنفذ معهم أدلاء .

فصوا حتى دخلوا في تخوم سحرة وساروا إلى أرض ممتدة طويلة كريمة
الرائحة فقطعوها في عشرة أيام وكان معه شيء يشموه لأن رائحتها تأخذ على
القلب وخرجوا منها إلى أرض خراب لا حسيس بها ولا أيس مسهدة شهر .

وخرجوا إلى حصون بالقرب من جبل السد أهلها يتكلمون بالعربية
والفارسية وهناك مدينة عظيمة اسم ملكها خالان أنكس .

فسألونا عن حالنا وأخبرناهم أن أمير المؤمنين الخليفة أرسلنا لنرى السد عياناً
ونرجع إليه بصفته فنسجب هو ومن عنده منا ومن قولنا : أمير المؤمنين الخليفة
وبين المدينة والسد فرسخان .

وسار معنا ناس منهم فرأينا طول السد على الأرض مائة ذراع وخمسين
ذراعاً وفيه باب حديد طوله إلى جهة السماء مائة وخمسون ذراعاً له مضادتان كل
عضادة خمس وعشرون وارتفاعها مائة وخمسون وبأعلاها دورند من حديد
طوله مائة ذراع وخمسون ذراعاً وهي القبة العليا وفوقه شرافتان من حديد في
طرف كل شرافة قرنان من حديد مائلان إلى الشرافة الأخرى كل ذلك من كين

حديد مغيب في نحاس مذاب ولاهبان مرصمان مقلتان عرض كل مصراع
خمسون ذراعا وعلى الباب قفل حديد طوله سبعة أذرع وغلفه ذراع ونصف
وارتفاع القفل من الأرض أربعون ذراعا وفوق القفل بخمسة أذرع معلق تعلق به
مفتاح وطول المفتاح ذراع ونصف وله اثنتا عشرة سِنَّة من حديد والعتبة السفلى
محمكة عشرة أذرع وكل تلك الأذرع بالرشاشي ورئيس تلك الحصون يركب في
كل جمعة في موكب عظيم حتى يأتي الباب وبأيديهم مرزبات من حديد يضربونه
فيسمعون دولا من خلف الباب كالرعد فيعلمون أن هناك حفلة .

وقرب السد حصن طوله عشرة في عشرة وبجانب الباب حصنان كل منهما
مائة ذراع بينهما عين ماء عذب وفي أحدهما بنية من آلات البناء وهي قدور حديد
أكبر من قدور الصابون وهناك بقايا من كين الحديد لُزق بعضها ببعض من الصدا
طول كل لبنة ذراع ونصف في عرض ذراع وارتفاع شبرين وأما الباب والقفل
والدورند فسكانها فُرج منها الآن غير صِدئة وُصِت بأدهان الحكة .

قال سلام الترجمان : سألت من هناك ؟ هل رأيتم قط أحدا منهم .

فأخبروا : أنهم رأوا عددا كثيرا فوق شرفات الباب فهمت دمج عاصف
فرمت ثلاثة طول واحد منهم دون ثلاثة أشبار ولم يخالب . وضع الأنظار
ذو أنياب وأخراس كالسماع وإذا أكلوا بها يسمع لأكلهم حركة قوية ولشكل
واحد منهم أذنان عظيمتان بفترش واحدة وبلتحف بالأخرى .

فكتب سلام الترجمان هذه الصفات كلها في كتاب ورجع إلى الواقع
بالله تعالى .

ويسمى الجبل المحيط بهم قرنان وهو كالحائط لا يصعد إليه وعليه تلوج
أبدا وضباب لا يزول أبدا صيفا ولا شتاء والله أعلم .

(وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَسْكَدُونَ يَفْقَهُونَ) يفهمون (قَوْلًا).

وقرأ حزة والسكسائي بضم اللام وكسر التصادف من ألقاه فالفعل الأول محذوف أى لا يفقهون أحدا قولا .

قال ابن عباس : لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم . قيل : هم للترك . وللشهور أن الترك قوم من بأحوج ومأجوج كانوا حين بقاء السد خارجين عن الجبلين يفقهون فسموا الترك لأنهم تركوا وراء السدين والمراد لا يكادون يفقهون قولا إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الأخرس أو إلا بترجان لقوله عز وجل : (قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّا أَخْلَيْنَاكَ لَمْ تَقُولْ . وفى مصحف ابن مسعود : « قال الذين من دونهم » أى من دون ذلك اليوم : (إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) وقرأ عاصم بهزها هنا وفى الأنبياء وهما عجبيان فالمنع من الصرف للمجبة والعلمية على التثنية .

وقيل : عريبان من أجمع العظيم إذا أسرع أو من أجت النار إذا اشتعلت وانتدت .

وقيل : أجمع النار : ضوءها ونورها شبهوا بها الكثرة أو بالظلم لسرهم فى الأسماء وعلى أنها عريبان من تلك الصبيغ فأصلها الهمة كما قرأ عاصم وعليه ففتح صرفها للعلمية على التثنية وقرئ يأجوج ومأجوج . (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) يخرجون أيام الربيع إلى الأرض التى دون السدين فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا ناسا إلا حملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا .

وقيل : يأكلون الناس ويقتلونهم .

وقيل : أرادوا أنهم إن خرجوا أفسدوا . قال مقاتل : هم ولد لانت من نوح عليه السلام .

وقيل : إن آدم نام فاحتلم فالتصفت بطنقه بالقراب فتولد منه هذا الجحوشان
فهم إخوة للناس من أبيهم كذا روى عن كعب الأحبار وليس بمحدث . ويرده
أن الأنبياء لا عتلم وأن رؤبهم حتى وروحي والاحتلام أمر باطل من الشيطان .
وفي الحديث : يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من
صفيه ألف نسمة ١ هـ وهم اصناف منهم ما طوله عشرون ذراعاً وما طوله ذراع
وأقل وأكثر

وعن عليّ أن أهم مخالب للطير وأنهاب السباع وتداعى الحمام وتنافذ البهائم
وأهم شعور تقيهم الحر والبرد وإذا مشوا في الأرض كان أواهم بالشم وآخرهم
بخراسان يشربون مياه المشرق إلى بحيرة طبرية ويذهبهم الله عز وجل عن دخول
مكة والمدينة ويبيت الله من يأكلون كل شيء يمرون به ومن مات منهم
أكلوه

ويقال : إن صنفاً منهم له أدنان وهو يلتحف إحداها ويقترب الأخرى .
وسئل رسول الله ﷺ : هل باقتهم الدعة ؟ فقال ﷺ : دعوتهم أوه
أسرى بني قلم يحميوا فمسم خلق النار . قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم
القيامة قال الله عز وجل : يا آدم أرسل بعث النار فبعث : يا رب وما بعث
النار ؟

فيقول الله تعالى : من كل ألف تسمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد
إلى الجنة فاشهد الأسرى على المسلمين .

فقال رسول الله ﷺ : أبشروا فإن يأجوج ومأجوج وسائر الكفار
ألف إلا واحداً والواحد من المسلمين إلى الجنة .

وذكر أصحاب التواريخ أن أولاد نوح عليه السلام ثلاثة : سام وحام

وياث فسام أبو العرب والمجيم والروم وحام أبو الحبشة والرنج والدوبة وياث
أبو الترك والبربر والخزرج والعقابة وأجوج ومأجوج .

قل ابن عباس : أولاد آدم عشرة أحزاء تسعة أجوج ومأجوج وجزء سائر
الناس .

وروى حذيفة مروي عن النبي ﷺ أن يأجوج ومأجوج أمية كل أمة
أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم
قد حملوا السلاح .

قال : هم ثلاثة أصناف كالأرز شجرة بالشام طوله مائة وعشرون ذراعاً
وصنف منهم طوله وعرضه سواء مائة وعشرون لا يقرم لم جبل ولا حديد وصنف
يلتحف أحدهم أذنه ويفترش الأخرى لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا
أكلوه ومن مات منهم أكلوه .

قال علي : منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفترق الطول .

وقيل : يأجوج من الترك وأجوج من الجبل والهيل .

وذكر بعضهم أن الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ اثنا عشر ألف
فرسخ للسودان والهند ونمائية آلاف ليأجوج وأجوج وثلاثة آلاف للروم
والألف للعرب .

وذكر بعضهم أن يأجوج وأجوج أحوان شقيتان من ذرية يافث
ابن نوح .

وعن كعب : هم ثلاثة أصناف : صنف كالنخل الطوال نساؤم منهم ،
وصنف كالأرز ، وصنف أربعة أذرع طولا وأربعة عرضا ، وصنف يفترشون
آذانهم ويلتحفون الأخرى لهم كراطم الكلاب .

وقيل : هم مائة ألف أمة لا تشبه أمة أخرى .

وقال فقادة : هم اثنان وعشرون قبيلة فساد ذو القرنين على إحدى وعشرين قبيلة وكانت قبيلة منهم غازية وهم الأتراك .

وقال الأوزاعي وعطية بن حسان : أمة كل أمة أربع مائة ألف أه . قال عطية : لا يشبه أحد أهدا ولم في أرضهم ما يشتهون من ماء وشجر ونساء ذكره ابن عمر لسانه : ما طعامهم ؟ وسأله ذلك السائل : أهد كاللبن ؟ قال : ما أهد أهدا من ولد آدم بأعظم منهم ولا أطول ولا يموت الميت منهم حتى يولد له أمة ولد يصاعدا .

وعن عمرو بن العاص : أن يأجوج ومأجوج ذرء جهنم ليس فيهم صديق وهم ثلاثة أصناف : على طول البشر وعلى طول الشجرين وثلاث عرصة وطوله سراء .

وعن الأوزاعي : أن الأرض سبعة أجزاء : ستة يأجوج ومأجوج وجزء سائر الخلق .

ويروى عن رسول الله ﷺ : يأجوج أمة لها أربع مائة أمة وكذا مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده ليس لله خلق يدعو كدعائهم في العام الواحد ولا يكفر ككفرهم بتداعون تداعي اللحم ويموتون عوى القرب ومنهم من له قرنان وذنب وأنهاب بارزة يأكلون اللحوم نيئة ويأكلون مشائم نساءهم .

وحكى أن فيهم طائفة لكل منهم أربعة أعين : عيان في رأسه وعيان في صدره ، ومنهم من له رجل واحدة ، ومنهم طائفة لا تأكل إلا لحوم الناس ولا تشرب إلا الدماء .

قيل : لا خلاف أن يأجوج ومأجوج بين المشرق والشمال والواضح عندى
أنهم فى الشمال بالنسبة إلى قسطنطينية ولكن الجبل المحيط بهم مما بلى المغرب
يصل إلى خاف بحر الظلمة الذى فى آخر الأندلس فى شماله وأظنهم طامس ذلك
إلى ما وراء الأندلس والجبل المحيط بهم مما بلى المشرق متصل إلى حدود الصين
وأظن ما وراءه معمورا إلى ذلك بهم . فمن مكحول أن للسكون من الأرض
مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج ومأجوج وعشرة للسودان وعشرة لبقية الأمم
وليس وراءهم إلا البحر المحيط .

وقيل : خلقهم ثلاث أمم : نسل وتاويل وتلدريس . ومن الزعمى أن هذه
الثلاثة من يأجوج ومأجوج .

وذكر بعض أن يأجوج ومأجوج يُرزقون للن من السحاب فى أيام الربيع
فى كل عام فإذا تأخر من وقته المهود استمطروه كما يستسقى الغيث .

وروى أنه إذا طفت دابة من دواب البحر ألغتها الله إليهم ، ولم نهر
لا يعرف له قبر ، وإذا تقابلوا وأمر بعضهم بعضاً طرخوا الأسارى فيه فيرون
طهورا تخرج من الكهوف فى جانب الوادى تحفظهم قبل أن يصلوا إلى النساء
وتأكلهم فى الكهوف ، وأرضهم ذات أشجار ومياه وخصب وتلج وبرة على
الدوام ، وأكثرهم إنسانا قصار القدود الذين لا يماوزون ثلاثة أشهر الذين
وجوههم مستديرة جدا .

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ تَبَدَّلُوا لَكَ خَرْجًا) أجرة نخرجها لك من أموالنا : وقرأ حمزة
والكسائى هذا على « قد أفلح » خراجا والمعنى مذهباً واحداً .

والذى حفظت قديماً أن الخراج ما كان لسلطان على رعيته راتباً على الأموال
أو نوع منها كالأرض أو على الأفس ثم رأيت المتأخر أشار إليه قولاً وأن
الخارج بالإسكان مصدر على هذا القول .

(عَلَى أَنْ يَجْعَلَ يَتَيْنَا وَيَدَهُمْ سَدًّا) يحجزم عنا وقرأ حزنه ولا كسائي وابن كثير وأبو عمرو وحفص يفتح السين .

(قَالَ مَا مَكْنَى فِيهِ رَأَى) أى ما جعلنى رأى فيه مكينا من مال وملك وسداد رأى وقرأ ابن كثير مكنى بفتح اللون الأولى غير مدغمة فى الثانية على الأصل وما موصولة مهتداً خبرها قوله : (خَيْرٌ) أى خير من خرجكم الذى يجلبون لى فلا حاجة لى إليه وأنا أجمل لكم اللسد تبرعاً لله سبحانه ونسالى .

(فَأَعْيُونِى) على اللسد (يَقُوْنِى) أى بقوة أبدانكم لحمل الصخور وكما سعة والعمل مائة والبناء .

ويحتمل أن يريد بالقوة الجدد والاجتهاد والجزم كأنه قال : لا تقصروا فى إطاعتى بما أطلب منكم كحمل وبناء وعمل .

(أَجَلٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزا حصينا موقفا والردم أكبر من اللسد بل اللسد أهم وذلك كقولك : ثوب ودوم مرقع فوق رقاع . وجزم أجل فى جواب الأمر وهو مبدوء بهمزة التكلم .

(أَتَوْنِى زُبْرَ الْحَدِيدِ) اجعلوها آتية إلى بأن تأتونى بها كأنه قال : أعطونى زبر الحديد أى قطعه السكهار والقطعة زبرة بضم الزاء وإسكان الهماء .

وإن قلت : أليست زبر الحديد والقطر مالا ؟

قلت : بل أولئك هم مال مردود فى منافعهم ومنافع العباد لا مال يأخذونهم ويرجع به مملوكه والمال الذى جعلوا له إنما يريدون أن يأخذوه ويذهب به أو يترب عليهم أبداً فى ذمتهم لكل سنة مثلاً كذا وكذا والإعانة بآلة ليست حراجاً بل إعانة بالزوة ومناولة .

وقد قرأ أبو بكر «دعماً للثغرى ذر الحديد» أمر من الإنان أى بزر الحديد
 فهكسر ثغرى ودرجاً الساكن ونصب على نزع الخافض على هذه القراءة .
 وبمعمل أن يريد بالقوة الثغرة التى أطلبها منكم ولو نوع مال لكن ليس
 خراجاً لى .

وبممثل أن يأتوه بالزبر والقطر فيشتتبه وجدة آتوى بدل من أعيونى أو
 مستأنفة جواباً لسؤال كأنهم قالوا : ما تلك القوة ؟

قال : مال وصناع وآلة . . .

قالوا : وما تلك الآلة ؟

نقال : آتوى زبر الحديد والخطب ما أتوه إياهما .

(حتى إذا ساوى بين الصدفين) أى الجانبين أى جانبي الجبلين والمراد أنه
 ساوى بينهما بيناء الزبر والخطب أى جعل ما بينهما مساوياً بهما فالملء وذلك من
 الصدف وهو الميل لأن كلا من الجانبين معمدان عن الآخر ومعه التصادف للتعادل
 والجانبان أيضاً متقابلان .

• وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وبقية بضم الصاد والهمال . وقرأ
 أبو بكر بضم الصاد ولمسكان الهمال .

وقرى بفتح الصاد وضم الهمال وذلك لفات بمعنى .

وقرى سَوَّى بفتح السين ونشديد الواو وإسقاط الألف قبلها .

وقرى سَوَوَّى بضم السين ممدودة براو ساكنة وبعد الواو واو مكسورة
 بعدها ياء مفتوحة وعليها فاعثاب مستقر أى سَوَوَّى الخلل بينهما .

وقيل بجواز حذف الموصول مع بقاء صلته ولو لم يذكر مثله ، وجواز حذف اللبائب أى سوى ما بين الصدفين ويجوز كون بين بمعنى الفصل أى ساوى فصلهما أى وصله .

قال بعضهم : بعدما بين للصدفين فرسخ وذكر للكوفي أنه مائة فرسخ حفره حتى بلغ الماء وجل الأساس من الصخر والنحاس المذاب جملة كالمعين للصخر والبناء من زبر الحديد بينهما الحطب والنعيم حتى سدا ما بين الجهلين إلى أعلامهما بتركيب الحطب والنعيم على الحديد والحديد عليهما وعرض ذلك التركيب خمسون ذراعاً وطوله إلى جهة السماء مائة ذراع وأمرهم بالنفخ كما قال الله عز وعلا : (قَالَ انْفُخُوا) في النار بالنفخ فنفخوا .

(حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ) بفتحهم أى جعل بين للصدفين وهذا دليل على تصريح بين حيث رجع إليها ضميراً منصوباً على أنه مفعول به إلا أن يقال : إن بين هنا بمعنى الفصل أو يرد الضمير إلى الخلل المتدر أو الموصول المتدر على ضعف أو إلى الحديد فإن زبر الحديد حديد . وإنما أضيفت للجنس إضافة عام للأخص أو إلى المنفوخ فيه المدلول عليه بانفخوا

(نَارًا) مهالفة كنفولك : زيد أسد أو على نية أداة التشبيه أى مثل نار أو كقمار في شدة الحر وإن الحديد المذاب أخو النار أو نار حقيقة انظر إلى اشتغال النعيم والحطب وإلى حمرة الحديد وصبرورته بجمرة حمراء .

(قَالَ آتُونِي) أى آتوني وهذه الماء التي قدرت عائدة إلى قطرا في قوله : (أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) فإنه تمازعه آتوني وأفريغ وأهل فيه الثاني وأعل الأول في ضميره وحذف لأنه فضلة وهو تلك الماء التي قدرت وباب التنازع مما يجوز فيه عود الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبة ولما كان عوده إلى متأخر لفظاً ورتبة على

خلاف الأصل وكان صعبا على الإنسان كان يحذف إذا كان فضلا ولو كان العامل في قطرا هو الأول لأعمل أفرغ في ضميره وأثبت به أن يقال: أفرغه بهاء عائدة إلى متأخر لفظا لا رتبة إذ يتوهم بعدم إثباته حينئذ أن أفرغ عامل في قطرا وبذلك تمسك الكوفيون على ترجيح إعمال التثاني للظاهر والكوفيون لا يعتبرون هذا التوهم فرجعوا الأول . وللقطر : النحاس المذاب لأنه يقطر وهاء عليه عائدة إلى ما عادت عليه هاء جملة .

وقرأ حمزة وأبو بكر قال يعقوب بهمة الوصل من الإتيان بعدها ياء مبهمة من همزة أنى أى انتونى به أى يقطر . والإفراغ: الصب . فلما آتوه القطر أمره حل الحديد الحمى فاختلط والتصق ببعضه ببعض وصارا جبلا صلدا أكلت النار الحطب والنعم وصار للنحاس المذاب مكانهما وذلك معجزة عظيمة لأن الزبرة الواحدة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها فأمكنهم الله من العمل قرب ذلك بالنفخ والإفراغ وكان كالتبرّد المحبّر طريقة سوداء وطريقة حمراء .

وروى أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فأخبره بالردم فقال : صفه . قال : جار رسول الله انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعملونه فدخلت في بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجعة عظيمة أزعجتني فارتعدت منها فقال صاحب البيت : لا بأس عليك ؛ إن هذه الضجعة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم تريد أن تنظر إليه ، فإذا لبّنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع الفخل كله من حديد كأنه التبرّد المحبّر طريقة سوداء وطريقة حمراء . وقال ابن عطية في روايته : طريقة صفراء وطريقة سوداء وطريقة حمراء . وقال رسول الله ﷺ : صدقت قد رأيته . من سره أن ينظر إلى من رأى

الردم فليحظر هذا الرجل . وذهابهم وقت الغروب إنما هو إلى مغازلهم يعملون في
تنتهب هذا السد إلى الغروب ليجهتوا إلى هذه الجهة كل يوم فرده الله كما كان
بعد أن كادت تضيء منه الشمس ويقولون : هذا فتحة وإذا أراد الله عز وجل
ألقى فتحة على لسان كههم على الفتحة أن يقول : غدا فتحة إن شاء الله فيجدونه
كما تركوه مهنتوه .

وروى عن بعض أنه بذاه من صخور مرتبطة بكلاليب حديد وما بقي أجوف
بين الصخور أنرغ فيه الحساس للذباب .

وروى أنه لما بنى ذو القرنين السد حمد الله وأثنى عليه ونام فرفقه فصعد حيوان
من البحر سد الأبق واستطاع على السد برمية سهم فظنوا أنه يريد ابتلاعهم
فغزوا وضربوه بالسهم فلم يلتفت إليهم فاقته فقال : ما لكم ؟
فقالوا : انظر ما حل بنا وكأله متوحها إليه .

فقال : ما كان لي ليأخذ نفسا قبل انتضاء أجلها وقد منعتني من العدو وما
كان الله ليلسط على دابة من البحر تهلكني وقطعت عمري في مصالح عباده
بقرنيته فدنا منه فقال : أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر وقد رأيت هذا السد
بني وخرب سبع مرات ولم يرد على ذلك ، ثم غاب في البحر . تبارك من له
هذا الملك العظيم لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وروى أنه لما فرغ من السد سر سرورا عظيما وأمر بسير فرفق له على
السد ورق عليه وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا رب الأرباب وممهل الصواب
أنت ألمعني أسد هذا المكان صونا للبلاد وإراحة للعباد وقمنا هذا العدو المطبوع
على الفساد أحسن لي المثوبة يوم المعاد ورُدَّ غربي وأحسن أوبق . ثم سجد سجدة
أطال فيها ثم استوى على فراشه واستلقى على ظهره وأغشى غفوة فطالع من البحر

طالع سد الأنقى بطوله وارتفع كأنهامة العظيمة السوداء قد انضوت من الأرض
 قهذرت الجهوش والمقاتلة قسمهم واشتد الصباح فاعبه وناذى : ما شأنكم ؟
 فقالوا : اقدى ترى .

فقال : امسكوا عن سلاحكم وكفوا لم يكن الله عز وجل لهم منى لما أراد
 وبغرى من أملى وسقط رأسى فى البلاد لمصالح العباد مدة عشرين سنة وستة أشهر
 ثم بسلط على بهيمة من بهائم البحر المسجور ، فنكفوا

وأقبل الطالع نحو السد وارتفع عليه رمية منهم ثم قال : أيها الملك أنا ساكن
 هذا البحر وقد رأيت هذا المكان مسدودا سبع مرات وفى وحى الله عز وجل :
 أن ملكا صورته صورتك واسمه اسمك يسده سدا مؤبدا فأحسن الله معرفتك
 وأجزل مشورك ورد فربك وأحسن أوبك فأنت ذلك الملك الممام عليك من
 الله السلام ثم قاب عن بصره فلم يعلم كيف ذهب والله أعلم .

وفى جبل بأجوج ومأجوج حوات وأفاع عظيمة جدا ويسر فى هذا الجبل
 فى النادر من يريد أن ينظر ما وراءه فلا يصل إلى طرفه الأعلى ولا يمكنه الرجوع
 فيهاك وربما رجع من ألف واحد فيعجز أنه رأى خلف الجبل نهرا عظيمة
 وطوبوعه من هذه الجهة يمكن وإنما يمنع من داخل لاسقه وقوامه كالحائط .

وكان بأجوج ومأجوج أخوين شقيقين تقاسلا ، وكانت لهم غارات على من
 جاورهم قبل وصول ذى القرنين إليهم فأخذوا كثرا من البلاد وأهلكوا غزيرا
 من العباد ، فكانت منهم طائفة غفيرة ينكرون ملك عليهم فلما وصل ذى القرنين
 إليهم أقام بجهوشه عليهم وشكت الطائفة الخيفة إليه ما فعلوا من البلاد والأسم
 الجاورة من الفساد وأنهم على خلاف مذهبهم ويربثون من مستقدم وشهدت لهم
 قبائل كثيرة بذلك فقال إليهم وتوكلهم خارج السد وأقطعهم تلك الأراضى ليمسروها

ويأكلوها وهم الخزجية والسنية والخرجز والبهزغر والسكاكية والحساجانية
والأنكش والترکش والخفشاج والخميج والزر والقلنى وأمم عظيمة بطول دكرها -
(فَمَا اسْتَطَاعُوا) أى فما استطاعوا أخذت التاء تخفيفاً لقرب مخرجها من
للطاء. - وقرأ استطاعوا بحذفها وقاب للسین صاداً لتطابق اللطاء
ولا تنافرهما كما نافرتهما السین.

وقرأ حمزة بالسین وإبدال التاء طاء وإدغامها فى اللطاء فيلتقى ساكنان على
غير حدما وإما بفتحيان فى الوقف وحيث يكون الأول حرف علة والثانى مدغم .
(أَنْ يَظْهَرُوهُ) أن يعلوا ظهره لعلوه وملاسته وفى هذا دليل على أنه لا بد
أن يكون طوله أكثر من مائة وعشرين ذراعاً أو أقل بقليل لا مائة ذراع كما
قيل لأنه لو كان مائة وفى بأجوج ومأجرج من طوله مائة وعشرون لأمكن أن
يظهره من طوله هكذا ؛ لأن من زاد على شيء بغير قليل يمكن أن يقطعه وأن
يعلوه بل لو لم يزد إلا بقليل أو لم يزد بشيء لأمكن أن يعلوه بشيء يضمنونه أو
يبينونه بحانه فدل على أن طوله مفرط جداً بحيث لا مطمع فى أن يعلوه .

وقد ثبت فى رواية أن طوله مائتا ذراع أو على أن طولهم ولا طول بعضهم
كذلك ولو بنوا له درجاً من داخل لم يطيقوا أن ينزلوا خارجاً فذهبهم الله من أن
يظهروه لهذا أو للطول أو لتصرهم أو بما شاء سبحانه كامل القدرة وأما الجهلان
فليان بزاق عنهما كل شيء كما مر فى الحديث وطرفاها الآخرا متصلان بالبحر
والله أعلم .

(وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) من أسفله لشدته وصلابته وغلظه فحيث يفرغون
طافهم فيفسلون إلى المغرب حتى يردوا أقل قليل فيجدوا مانزعا قد رده الله
فى مكانه كما كان .

(قَالَ مَآذَا) أى السد أو الإقذار على نسوبته . (رَحْمَةً مِن رَّبِّي) نعمة منه تبارك وتعالى على عباده لأنه حاجز لهم عن عباده الآخرين .

(مَاذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي) أى ميعاته الذى وقته لخروجهم وهو قريب من قيام الساعة جداً . وقيل : وعده قيامها والمراد بجيئه على هذا قرب قيامها جداً لأنهم يخرجون قبل قيامها .

(جَعَلَهُ دَكَّاءَ) مصدر بمعنى مفعول أى جعله مذكوكا أى مبسوطا على الأرض وكل ما انبسط على الأرض بمد ارتفاع فقد امك .

وقرأ الكوفيون دكاه بالمد والهمزة من غير تنوين فهو وصف أى أرضا مستوية .

وعلى القراءتين فالظاهر أن السد كله يحل يومئذ دكا لعلمهم يفتتحون كله أو يفتتحون بعضه ويزيد الله الباقي أو للراد يجعله دكا جعل موضع فتحهم دكاه بأن يبقيه كما فتحوه ويزيدوا بقيته من غد يومهم .

(وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي) أى الوعد المذكور لأنه تكرار معرفة أو وعده مطلقا .

(حقا) ثابقا يقع لا محالة : وهذا من كلام ذى القرنين ويجوز من كلام

سيدنا محمد ﷺ وقد خوطب بنوله تعالى : « قل سأنزلها » قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده عقدة اليمين ومعنى عقدة اليمين أن يحمل طرف السبابة في وسط الإبهام من باطنها فتدوران كالحلقة .

وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعا إلى رسول الله ﷺ أن يأجوج ومأجوج يعمرونه كل يوم حتى يكاد يرون شعاع الشمس فيقول الذى عليهم : ارجعوا فستغرقونه غداً فيجحدونه غداً قد أعاده الله كما كان حتى إذا بانفت

مدنهم قال : ارجعوا فستخرج قوته خذاً إن شاء الله فيموتون إليه من اللذ فيجدونه
كما تركوه فيخرج قوته فيخرجون إلى العاص فيموتون إليها فيمتصن الناس منهم في
حصونهم فيموتون بسهامهم إلى السماء فتخرج وفيها دم تنظر به فيموتون : قهرنا أهل
الأرض وعلينا أهل السماء فيزدادون قسوة .

وخرج الترمذى أنهم إذا وصلوا جبل بيت المقدس قالوا : لقد قتلنا من في
الأرض فهل نقتل من في السماء فيموتون بنشابهم إلى جهة السماء فتخرج بحرة دما
فيبعث الله عز وجل عليهم نفقا في رقابهم فيموتون .

قال : فوالذي نفس بيده إن دواب الأرض لتسقى وتشكر من لحومهم
شكرا . أخرجه الترمذى . والنف : دود يكون في أنوف الإبل والغنم وهو من
أضف خلق الله عز وجل يهرم به .

وقيل : يرسل عليهم طيرا كالنبيق أو كاذفال الخليل . وشكرت الشاة :
امتلا ضرعها لبنا .

والمراد أن دواب الأرض تسقى ويكثر لحمها . روى أنهم بشرى من المشرق
وبحيرة طبرية ودجلة والفرات نهر آخرم فيقول : لقد كان في هذه الأماكن ماء
ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدم خيرا من ماء ديار
لأحدم اليوم فيخرجون إلى الله تعالى فيرسل على يأجوج ومأجوج النف في رقابهم
فيصحبون برسى كوت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض
فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ولهم فيخرجون إلى الله عز وجل فيرسل
طيرا كأعناق البخت فتحملمهم فتطرحهم حيث شاء الله .

وروى : في البحر .

وروى الترمذى : فطرحهم بالمبيل يعني البحر عند مطلع الشمس وليسوا
بشربون ماء البحر المالح .

ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا بيت وبر يغسل الأرض
كلازقة ثم يقال للأرض : أيتى رزقك وردى بركتك فهو مثذبا كل العصبه من
الرمانة ويستظلون بقرنها وتكون البركة حق إن الأتحة من الإبل لتكفى القبيلة
والأتحة من البقر لتكفى ما دون القبيلة والأتحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس
فبينما هم كذلك أن يث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ويقبض الله تعالى
روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج المخمر فعليهم
تقوم الساعة : قال كعب : إنا خرجوا فر الناس منهم في البرية والجبال .

وروى أن المسلمين يمتنون جيشا ينظرون حال يأجوج ومأجوج وهم موتى
جهنم فلا يصلون إليهم ولا يرجعون إلى أصحابهم حتى يبعث الله إليهم ريحا طيبة
يمانية من تحت العرش فتقبض روح كل مؤمن .

قال **عنه** : ثم لا أجد مثل الساعة إلا كرجل أنتج مئرا فهو ينظر متى
يركبه قول : ثم قبيحتان لا تدعمران ولا تدركان قطرة ماء إذا خرجا إلا شربتاها
ولا خضراها إلا قلعا ما يمر أوائلهم على بحيرة طبرية ويشربون ماءها ويأني من
بعدهم فيقولون : كان هنا ماء فلهحسون الطين الذي نرى يتساقدون على الطرقات
كالخمر وينزل جبريل على عيسى بن مريم عليه السلام ويقول له : أحرز مهادي .

وفي رواية : حرز .

وفي رواية : سوز إلى جبل الطور فإني قد أخرجت مهادا لا يطيق أحد قتالهم
ولم يكن منه في ذلك الوقت من المؤمنين إلا اثنا عشر أميا وأربعة آلاف امرأة
وعماية آلاف رجل فيمضون بهم إلى جبل الطور ويرسل الله عز وجل عليهم طيرا
كالنبيق أو كالدال انطبل فتهطل تحت آباطهم وخلف آذانهم ويهلكون بها
ويمكث المسلمون يطعنون من قسبيهم ورماحهم سبع سنين .

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ : لَيَحْجَنَ اللَّيْتُ وَيَقْتَمِرْنَ بِمَدْخُورِ
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وذكره الشيخ هود بلا ذكر لرواية : ولا يدخل مكة والمدينة وبيت المقدس
يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَالْجَالِ .

وذكر بعضهم أنهم يمشكون في الأرض سبع سنين وأن أول مقدمتهم بالشام
وساقهم ببلغ .

وأن في التوراة أنهم يخرجون أيام المسيح ويقولون : بنو إسرائيل أصحاب
أموال وأوان كثيرة فينبون نصفهم فيرسل الله عليهم صيحة فيموتون فيستغنى
بنو إسرائيل بروثهم عن الحطب سبع سنين كذا قيل وفيه أن روثهم حرام
لأنما ينفع به النسقة وإذا قتلهم الله أنقذت الأرض بؤدكهم ولحومهم وشحومهم .
وذكر القرطبي عن كعب أن الله سبحانه وتعالى يرسل السماء أدبعين يوما
فتنبت الأرض حتى إن الزمانة لتنشع للسكن .

قيل لكمب : ما للسكن ؟

قال : أمل البيت .

وأخرج ابن ماجه عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يبعث عليهم دواب
كثف الجراد فخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضا فيصيح
المسلحون لا يسمعون لهم حسا فيقولون : من رجل يشتري نفسه وينظر ما فعلوا
فينزل إليهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى فينادي : ألا أبشروا
فقد هلك عدوكم .

فيخرج الناس ويخلون بيل مواشيهم فما يكون لها رعى إلا لحومهم وتشكر
عليها كأن ما شكرت من نبات أصابه قط .

وأخرج ابن ماجه وأبو بكر بن أبى شيبة - واللفظ لابن ماجه - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لما كانت ليلة أُسْرِىَ برسول الله ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم فردوا الحديث إلى عيسى قال : قد عُهِدَ إلىَّ بها دون وجبتها وأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكر خروج الدجال قال : فأنزل ما فتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بعباء إلا شربوه ولا شيء إلا أسدوه فنجأرون إلى الله فادعوا الله أن يعيهم فتنتن الأرض من ربحهم فنجأون إلى الله فادعوا الله فيرسل السماء بالماء فتحملهم فتلقيهم في البحر ثم تَنُفَسُ الجبال وتُمد الأرض مد الأديم فُعهِدَ إلىَّ إذا كان كذلك كانت الساعة كالخامل لا يدري أهلها متى تَفْجَأُوهم بولائها .

وقال ابن أبى شيبة : ليلا أو نهارا

قال العوام : ووجه تصديق ذلك في كتاب الله تعالى : « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » راد ابن أبى شيبة : « واقرب الوعد الحق » اهـ وبأكلون الحيات وللمقارب وكل ذى روح .

(وَتَرَكْنَا) هذا إلى آخر السورة من كلام الله سبحانه وتعالى . (بَعْضَهُمْ) أى بعض يأجوج ومأجوج أو بعض الخلق وهذا الخلق الإنس والجن وهؤلاء من جملة الإنس .

واحتمار بعضهم الوجه الثانى والأول أولى جندى لأن الكلام على يأجوج ومأجوج وقد يقوى الثانى بقوله : « ونفخ في الصور »

(يَوْمَئِذٍ) أي يوم إذ جلفاه دكا أو يوم إذ جاء وعدنا أو يوم إذ خرجوا
 من الدخان خروجهم منه مذکور ضمنا في قوله : فإذا جاء وعد ربى جلفه دكا .
 (يَبْجُوجُ) يختلط ويضطرب كوج الماء في بعض يختلط الإنس والجن بعضهم
 ببعض حيارى وبأجوج وما أجوج مزدحمن في البلاد أو يوجون لسكرتهم .
 (وَأُفْخِ فِي الصُّورِ) أي القرن أي ينفخ إسرافيل فيه لهيث لحذف الفاعل
 وناب الجرور عنه .

(فَجَعَلْنَاهُمْ) للحساب . (جَعَاءً) لا ينادر أحدا .
 (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ) أي يوم إذ نفخ في الصور . (لِلْكَافِرِينَ) أي
 على الكافرين .

(عَرَضًا) ثم يدخلونها خالدين .
 قال ابن مسعود : ليس أحد من الخلق يعبده غير الله إلا وقد رفع له سميه
 يقال لليهود : مَنْ تعبدون ؟
 قالوا : نعبد عزرا .

فيقال لهم : هل يسركم الماء ؟
 فيقولون : نعم : فهرون جهنم كهشة السراب ثم قرأ : « وعرضنا جهنم
 يومئذ للكافرين عرضاً » ويقال للعصاري : ما تعبدون ؟
 فيقولون : للسبح .

فيقال : هل يسركم الماء ؟
 فيقولون : نعم . فهرون جهنم كهشة السراب ثم كذلك مَنْ كان يعبد
 غير الله .

ويجوز أن يكون عرصنا بمعنى قربنا أو أظهرنا فنشكون اللام في بقوه
للكافرين على أصلها .

(الَّذِينَ) بدل من الكافرين أو نمت ذم أو خبر المحذوف أو مفعول
لمحذوف .

(كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ) بصائر قلوبهم . أو شبههم بقوم عُمى لا يهتدون لما
ينفهم (فِي غَطَاءٍ) غشاوة وستر .

(عَنْ ذِكْرِي) عن القرآن فهم لا يهتدون به أو عما وصفته لينظر فيه
للاستدلال وهو كل ما يدل على الله ويذكر به فإنه تذكر من الله يتذكر به من
يسكر أو مما يكون موصلا إلى ذكرى بالعظيم والفرحيد وهو أيضا ما ذكرته .
(وَكَانُوا) في الدنيا (لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) يسمعون عن سماع القرآن
والوعظ قلوبهم كبد من أزال الله السمع عن أذنه بالكلمة ونقله كجاذ حتى إن
سمعه محال لا يستطاع فإن هذا أبعد عن السمع من الأصم قد يسمع إذا صيح به
وذلك لنوبة الخذلان والفتاء عليهم .

وقيل : لا يستطيعون أن يسمعوا بأذانهم القرآن من رسول الله ﷺ
لشدة بغضهم وعداوتهم له فهم لا يفتلونه فلا يؤمنون به .

(أَمْسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) الهمة للإنكار والتوبيخ أو لتعجب من جملة
ما عطلته الله بعدها أو داخلة على محذوف مطوف عليه بالناء كسائر نظائره في
الوجهين وحسب بمعنى ظن وقد قرأ ابن مسعود أنظن الذين كفروا .

(أَنْ يَتَّخِذُوا) في تأويل مصدر سد مسد مفعولى حسب الاشتغال على المسند
والمسند إليه كأنه قيل : اتخسبوا أنفسهم متخذين أو مفعول أول والثاني محذوف
يقدر بعد قوله تبارك وتعالى « أولياء » تقديره فانهم ، أو لا أعذبهم به .

(عِبَادِي) لللائكة وعيسى وعزيرا .

(مِنْ دُونِي) متعلق بيقخذوا أو بمحذوف حال من قوله : (أَوْ لِيَاءِ) أربابا وأولياء مقول ثان ليقخذوا .

والعنى على الوجه الأول فى مفعولى حسب : ألغىبوا أن يقخذوا عبادى فى الدنيا بهياتهم إياهم أولياء لدفع عذاب الآخرة أو أولياء بنفوسهم فى الآخرة لا يصح ذلك أبدا بل عبادى المودون أعداء لهم فى الدنيا والآخرة مقبرئون منهم وما أسرهم بمولاة من يمدون بل بهادى وتوحيدى أو فحسوا أن يقخذوهم أولياء . فلا أعاقبهم أو لا أغضب عليهم كلا لا يكون ذلك .

وأما على الوجه الثانى فالعنى ظاهر كأنه قيل : ألغىبوا اتخذهم عبادى أولياء فاعلم لهم أو منى عما عدهم للعذاب كلا . وعن ابن عباس : عبادى الشياطين . وقرأ على ألغىب إسكان للسين وضم الباء على أنه اسم فعل بمعنى يكفى أى فيكفى الذين كفروا أن يقخذوا الخ فيكون الذين مفعولا له وأن يقخذوا فاعل حسب أو هو وصف بمعنى الكاف مضاف للذين مبتدأ خبره أن يقخذوا أو أن يقخذوا فاعله أغنى عن الخبر لاعتماده على الاستفهام أو خبر مقدم وأن يقخذوا مبتدأ والعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسوا وهى قرا فجيده .

(إِنَّا أَعْتَدْنَا) مَيَّامَا (جَهَنَّمَ) لِلسَّكَافِرِينَ (هَؤُلَاءِ) وغوهم (نَزْلًا) ما يقدم لمن نزل بالإنسان ضيفا أو عينا من طعام ومكأ وذلك تهكم بهم كقوله عز وعلا : « فبشرهم بهذاب اليم » كأنه قيل : نصيغهم بمهم وفيه تنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما يستحقونها بالنسبة إليه كالمقارب والحيات الجهنمية والزمهرير والجوع واللعش الشديدن فإن ما يستعجل للضيف قليل بالنسبة إلى ما بعده بعد . وقيل : نزلا بمعنى منزل وفيه تهكم أيضا .

(قُلْ) يا محمد . (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) تمييز مطابق ويجوز كونه جمعا للتنوع محمول عن الفاعل في اللفظ والأخسرين اسم تفضيل لا مفعول به كما قيل لأن اسم التفضيل لا ينصب للمفعول به .

وردد ابن خروف والمفسر ذلك بأن خسر لا يعتمدى فتقيضه ربح واستعمل للمفسر بقوله تعالى وتبارك « كوة خاسرة » إذ لم يرد أنها تخسر شيئا .

ويرد عليهما قوله تعالى : « خسروا أنفسهم » . وقوله تبارك وتعالى : « خسر الدنيا والآخرة » بذهب الآخرة في قراءة وأما خاسرة فكأنه لنفسه أى خات خسر وأن تقيضه الذى رعا أنه لا يعتمدى قد ورد متعديا . يقال : ربحت ألوفاً وليس أعمالا مشبها بالمفعول به كما قال سيبويه لأن اسم التفضيل لا يشبه اسم الفاعل لأنه لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع إلا بشرط قاله ابن هشام .

ومعنى الأخسرين أعمالا القيين لم يربحوا بأعمالهم ثوابا في الآخرة بل بطلت ونالوا بها هلاكا وهم اليهود والنصارى فيما روى عن ابن عباس . وقيل : الرهبان المرائيون عن كتاب الله تعالى لللازمون للصوامع .

وزعم على أنهم أهل حروراء وهم المسلمون الذين خرجوا عنه لمدم رضام بالتحكيم فيما كان لله فيه حكم وسأله ابن الكواء فقال : منهم أهل حروراء . وسئره : أم مشركون ؟

فقال : لا .

فقال : أم منافقون ؟

قال : لا . بل إخواننا بنوا علينا ونودى على ضلالتهم يوم قاتل على المشركين فأنكر أنهم مشركون ونودى برسم يوم قتل المنافقين فأنكر منافقهم وقال : إخواننا بنوا علينا وذلك خطأ تشهد به عبارته لأنه ليس الإنسان إلا

مؤمناً أو مشركاً أو منافقاً فإذا انفق الشرك والنفاق عن أهل حروراء فهم
مؤمنون والمؤمن لا يوصف بالهني وهو مؤمن ومن بني دخل في حد النفاق .

وأيضاً الباني من يرى التمسك فيما كان لله فيه السانك دماء من لم يتبعه على
هذه اللة وأيضاً أهل حروراء لم يكفروا بآيات الله ولا بلفائه بل يؤمنون بآيات
الله وبالبث . والأخسرون أعمالاً قد وصفهم الله سبحانه تعالى بكفر الآيات
واقائه . ولست أقول ذلك معجهاً بفسى ولا متعجهاً بمس عسى بل حق ظهوره
فصرحت به .

وعن مجاهد : المراد أهل الكتاب قال الشيخ هو : هم أهل الكتاب ضل
أوائلهم فاتبعهم أو آخرهم على ضلالتهم ويحسبون أنهم على هدى كما قال الله
عز وجل :

(الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ) بطل عملهم شبه عملهم بشئ محسوس موجد له لكن
لا نفع فيه أو بما غاب فلم يكن به نفع في الحضرة . والذين خبر لحدوف أو مفعول
لحدوف أو بدل أو نعت .

(فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) متعلق بالمسمى أو بضل أى ماسعوه في الحياة الدنيا ضل
في الآخرة لا يوجد له فيها أثر وخبره أو ضل في الدنيا سعيهم لا يصل الآخرة منه
شئ . (وَهُمْ يَحْسَبُونَ) أى يظنون . (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملاً يحازون به
معجبين به معتقدين أنهم محقون وهو مفعول يحسبون .

(أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) مبتدأ وخبر . (بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) بدلائل
توحيدهم ودفرة رسوله من القرآن والمجرات وسائر ما يدل على وجود الله جل
وعلا من المخلوقات (وَآيَاتِهِ) أى بالبث المتقرب عليه الجزاء أو المراد ولقاء
جزائه .

وإن قلت : أهل الكهف ميثون بالهت ؟
قلت : نعم لكن لما أنكروا القرآن ورسالة سيدنا محمد ونهضوا
كافرين بالهت وبنوا كتب الله وأنبيائه . ودلائله : فإن منكر شيء واحد
عما أثبت الله منكر لكل ما أثبت .
وأيضاً من أهل الكهف من يقرّ رسالته إلى العرب قطر وهو أيضاً كافر
لذلك كله ولا سيما أن في القرآن أن رسالته للناس كافة . ومنهم من يقرّ بهت
الأرواح دون الأجساد فهو أيضاً كافر لذلك كله .
(فَحِيطَتْ) بطلت .

(أَعْمَاهُمْ) بسبب ذلك الكفر كما تدل عليه القاء .

(فَلَا تُقِيمُ) أى لا تثبت .

(لَوْ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَّا) أى حساباً لأنه لا عمل لهم غير ما طل فضلاً عن
أن نحسبهم ولو كان كبحال تهامة . شبه إظهار عمل الإنسان وبيان ما يقرب
عليه من الخير بوزن شيء . وعبر عنه بوزن وقاه لأنه لا عمل خير لهم باق ويدخلون
النار بغير حساب .

ويحوز أن يكون وزناً بمعنى مقداراً من الخير قال عليه السلام : إنه لما أتى الرجل
الظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال : افروا إن شئتم
« أفلا تنبئهم يوم القيامة وزناً » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . وقرئ
فلا يقيم بالشفاعة المحتية قبل القاء .

(ذَلِكَ) هذا من باب التعليل وهو خبر لمخدوف أى الأمر ذلك والإشارة
إلى عدم إقامة الوزن لهم أو حبط الأعمال والجملة بعد ذلك مبهمة تمام المعنى . ويحوز

أن يكون مبتدأ والخبر من قوله : (جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ) خبره والرباط محذوف أى فلك جزاؤهم جہنم به وهذا الذى قدرت معلق بنفسه الخبر للمبتدأ التانى أو يتعلق بجزاء فيحسن تدبره فقيل : جہنم أى الذى يميزونه بسبب ذلك جہنم أو ذلك مبتدأ خبره جزاؤهم وجہنم بدل من الخبر بل ببيان والمعبر هنا المبدل منه أو من جزاؤهم بدل اشتمال من فلك وجہنم خبر فلك والمعبر هنا المبدل .

(يَمَّا كَفَرُوا) ما مصدرية أى بكفرهم وإذا لم تقدر لفظة به فلا ينبغي أن هذه الباء للسببية وإذا قدرناها فهذه للاستعلاء الجازى أو لتعويض توسعاً كأنه قيل لهم ذلك الجزاء عوض كفرهم .

(وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا) هو منه والطف على كفروا أى بكفرهم واتخاذهم آياتى ورسلى هزوا .

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ) فعمل الله ووعدوه سواء وجدت أو ستوجد أو المراد أنها موجودة ثابتة لهم من الدنيا أو سبق بها أيضاً علم الله عز وجل .

(جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) أى جنة تسمى الفردوس والإضافة للبيان وعن وسط الجنة وأعلىها . قال وَالْفِرْدَوْسُ : إذا سألتهم فاسألوا الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلىها وفوقه عرش الرحمن ومنه تفتجر أنهار الجنة . والمراد فى الآية أن الفردوس للذين آمنوا وعملوا الصالحات وفرد الفردوس أيضاً لم كما تقول : هذه الدار تزيد ولست تمنى أن باقى الدار انهد .

ويحتمل أن يراد نوع المؤمنين لم جنات الفردوس وباقى الجنان لفهم كما قال كعب : ليس فى الجفات جنة أعلى من الفردوس ، فيها الآسرون بالمعروف والناهون من المنكر .

وذكر بعضهم أن القردوس جبل في الجنة يخرج منه أنهار الجنة .

وذكر بعضهم أن القردوس جنان .

وقيل : المنب والنخل وبعضها الشامل لأنواع الشجر والنهات وفيه البخل .

قيل : هو لفظ روى .

وقيل : حبش ونقل إلى العربية .

ومن أراد أن يقوم في وقت من الليل مخصوص فليقرأ : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات » إلى آخر السورة عند مضجعه ويقول : اللهم تبني في وقت كذا فإن روى بيدك وأنت تقول : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » أذكرك وتذكرني وأستغفرك فتغفر لي إنك على كل شيء قدير ففضل ما تريد . وإن زاد إلى ذلك : اللهم لا تولني ذمك ولا تحرمني خيرك وإن هنت لي رسولا من عندك بوقظني إلى ذكرك في وقت كذا وكذا لحسن إن شاء الله . وذلك مشاهد بإذن الله سبحانه وفضله . إما أن يهتف بك هاتف : يا فلان أو يقاتل هراً وآخر فتستيقظ أو يوجد الاستيقاظ بشيء غير ذلك أو بلا شيء وقد صح عن رسول الله ﷺ : إن في كل ليلة ساعة إجابة لا يرد فيها دعاء مسلم لأمر آخرة أو دنيا إلا أعطاه الله إياه فاقرا الآية وانو تلك الساعة تستيقظ إليها إن شاء الله واشكرني في دعائك ولا تدعُ على أحد بسوء ولو ظلمك واشكر نعمتي .

(نُزَلَا) ما بحضور الضيف أو منزلا كما سر . وإذا كانت مثل ما يعجل

للضيف فإياك بما وراه ما من مزيد .

(خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة أي ثبت لهم من الآن مقدرين بالخلود فيها أو

مقدراً خلودهم فيها .

(لَا يَبْتَغُونَ) لا يطلبون .

(عَآ حَوَلَا) تحولا ومنها مطلق بحولا وقدم عليه ولو كان مصدرا لأن الجار والجرور يتوسع فيهما أو يطلق بمحذوف جال من حولا .

ويقال : حال عن كذا أى تحول . والمعنى : أنه ليس شيء أرفع من الجنة فضلا عن أن يحبوا التحول عنها إليه بخلاف نعيم الدنيا فإنه لا يكون أحد في نعيم إلا أحب منه آخر أو وحده وربما مله وأراد آخر ولو كان دونه ونعيم الجنة لا يعمل .

(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي) أى لعلم ربى ويسمى العلم كلمة لأن ما يعلمه أحد يتكلم به في الجملة .

والمداد : اسم لما يمد به الحوالة من حبر أسود أو أصفر أو أحمر أو أزهر أو غير ذلك وما يمد به المصراع من الزيت أو غيره .

ويقال : السماء مداد الأرض ويقدر مضاف في قوله : كان البحر أى ماء البحر لأن البحر اسم للأرض التى فيها ذلك الماء لا للماء .

ويجوز أن يراد به الماء مجازا تسمية للحال باسم الحالى ولأحد المتجاورين باسم الآخر . والمعنى لو كان ماء البحر مدادا يكتب الخلائق به كلهم علم الله (لَعَلَّه الْبَحْرُ) أى انقضى ملؤه وفرغ .

(قَبِيلَ أَنْ تَنْفَدَ) وقرا حمزة والكسائى في رواية عنهما قبل أن ينفد بالندبة التحقيقية .

(كَلِمَاتُ رَبِّي) علمه وحكمه (وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ) أى بمثل البحر .

(مَدَدًا) زيادة وهو كالمداد وقد قرأ ابن عباس مدادا .

وقرا الأعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يمد به الكاتب فيكتب به .

والنصب على التمييز وجوابه لو محذوف أى تفقد أيضاً ولم تفقد كلمات ربى فإن كلماته
لا تفداهى بخلاف الأجسام .

قيل : قال يحيى بن أخطب : فى كتابكم : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيراً كثيراً » ثم تقرأون : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » فنزل : « قل لو كان
البحر مداداً . إلى قوله : مدداً » يعنى أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر
كلمات الله .

وقيل : لما نزل : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » قالت اليهود : أوتينا التوراة
وفىها علم كل شىء . فأنزل الله تبارك وتعالى : « قل لو كان البحر مداداً - إلى
قوله - مدداً » .

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمى . (مِثْلَكُمْ) يُوحى إِلَى أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ) وجهة يوحى إلى إلى آخره مستأنفة أو خبر ثان وإِنَّمَا فى الموضعين المحصر
ويؤول بمصدر ما بعد الثانية فهكون نائب يوحى أى يوحى إلى وحدانية الحكم
وعدم الشريك له فى الملك والمهاة .

أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يقول ذلك طلباً للتواضع لتلا يرمى
على خلقه أى ما أنا إلا آدمى مثلكم لا ادعى لزيادة عليكم ولا الإحاطة بالعلم إلا
أنى خصصت بالوحى كما قال ابن عباس .

وقيل : قال المشركون : ما أنت إلا بشر مثلهما فأمسه الله مزوجلاً أن
يقول : ما أنا إلا بشر مثلكم لكن اصطفاى لىوحى وخصنى به دونكم .

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) أى لقاءه بمحمد ورضاه عنه أو يرجو حسن
لقاءه أو من كان يعتقد البعث .

(فَلَهُمْ مِمَّنْ عَمَلًا صَالِحًا) وهو عمل الطاعات والمهاات .

(وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ) أي في عبادة ربه (أَحَدًا) أي لا يرأى أحدًا
بعبادته ولا يحب السمة بها ولا يطلب بها أجرًا بل يخلصها الله سبحانه وتعالى ،
فإن الرأى شرك أصغر يحبط العمل كما يحبط للشرك لكن لا يلزمه الإعادة
بل التوبة .

قال رسول الله ﷺ : أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما
الشرك الأصغر . قال : الرباء .

وروى الربيع بن حبيب عن أبي عبيدة عن جابر عن أبي هريرة عن رسول الله
ﷺ قال : قال الله عز وجل : من عمل عملاً أشرك فيه غدي فهو له أي اغدي .
كافي رواية : هو الذي عمله له كله وأنا أغني للشركاء عن الشرك . ومثله لمسلم
ابن الحجاج صاحب الصحيح المشهور في حديث رسول الله ﷺ .

وللبهقي وغيره : قال الربيع : قال رسول الله ﷺ : من صلى أو صام
تصدق رياء فقد أشرك .

قال من أبي عبيدة عن محمد بن المنكدر عن ابن عباس عن النبي ﷺ :
يأتى على الناس زمان الشرك فيه أ- في من ذرة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء
يعنى الرأى أو ما يقتضيه الإنسان ويصف به الله وهو شرك ولا يدري .

وعن سعيد بن أبي فضالة : سمعت رسول الله ﷺ إذا جمع الله الناس ليوم
لا ريب فيه نادى مناد : من كان يشرك في عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه منه فإن الله
أغنى للشركاء عن الشرك . أخرجه الترمذي وقال : حديث غريب .

وعن مسلم بن عبد الله البجلي عنه ﷺ : من سمع سمع الله به ومن برأى
برأى الله به أي أئمة الكروه . رواه البخاري ومسلم .

قيل : نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله ﷺ : إني أعمل العمل لله
فإذا أطلّحَ عليه صرفي . قال : إن الله لا يقبل ما شورك فيه . وروى أنه قال :
لك أجران : أحمر السر وأجر اللإلهية وهذا إذا قصد الاقتداء به .

وروى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إني رجل أفف المواقف أريد وجه
الله وأحب أن يرى مكاني فسكت النبي ﷺ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية
قال جابر بن زيد : إني رجل رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله أنصدق بصدقة
التمس فيها الحمد والأجر . فقال رسول الله ﷺ : الله لا شريك له ، أنزل الله هذه
الآية : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه
أحدًا » .

وروى أنها نزلت في رجل إننا صلى أو صام أو تصدق فذكر بمنحه ارتاح
لذلك فزاد في ذلك لقاء الناس . والله أعلم .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
المعظم .

تمت سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم

وتسمى سورة كهيمص وهي مكية إلا آية السجدة قيل : وإلا قوله سبحانه :
 « وإن منكم إلا واردها » وقيل إلا : « تخلف من بعدهم » الآيتين وآياتها تسع
 أو ثمان وتسعون وكلها اثنتان وثمانون وتسعمائة وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمئة .
 وعنه صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من
 كذَّبَ زكراً وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الأنبياء المذكورين فيها .
 ويعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله سبحانه وتعالى . وقال ﷺ : من
 قرأ سورة مريم وطه أعطى مثل ثواب المهاجرين والأنصار .
 وقالوا : من كتبها وجعلها في قدح زجاج في منزله كثر خيره ورأى
 في منامه ما يسره . وإن كتبت على حائط البيت منعت طوارقه . وإذا شربها
 انقضى أَمْنُ .

ومن صام يوم الخميس ونش يوم الجمعة في الساعة الأولى على نص خاتم من
 فضة أو غيره مما ينش عليه من الأحجار كهيمص حمسق ونحوهما من أوائل
 السور وليس ذلك أو حله كان مقبولاً مطاعاً محبوباً .

وحروف كهيمص إذا نش في خمس والطلع برج النور والزهرة . فيه أو في
 درجة شرفها في الحادي عشر من الطالع ينثر الخمس بالعود والمذبر ولف في
 خرقة حرير بيضاء وكان النفس في فضة خالصة أو نحاس أصفر يرى حامله محائب
 وغرائب يقصر منها اللسان ويصل في الهبة والألفة فلا محجاً وفي قضاء الحوائج .

٦٠	٧٠	١٠٠	٥٠	٢٠	ك / هـ / ي / ع / ص
١٠٠	٥٠	٢٠	٦٠	٧٠	ع / ص / ك / هـ / ي
٢٠	٦٠	٧٠	١٠٠	٥٠	هـ / ي / ع / ص / ك
٧٠	١٠٠	٥٠	٢٠	٦٠	ص / ك / هـ / ي / ع
٥٠	٢٠	٦٠	٧٠	١٠٠	ي / ع / ص / ك / هـ

وجلب الرزق والقبول ودخول الفرح والمسرور والخير والبركة فيما يتناول من أمور الدنيا والآخرة هكذا طمى ولا يحمل هذه الخواصم إلا بطهارة ولا يدخل به انخلاء فإنه والله أعلم من أسمائه العظام المكفونة .

ومن جعلها تحت رأسه ونام رأى في مقامه ما يريد أن يسأل عنه وكل ما يكون في خاطره وإن جعلها في نائم أخبر بكل ما صنع وإن لم تعرف حال الغائب فاجعلها تحت رأسك وأنت بوضوء تراه في مقامك وتخبرك بحاله وبكل ما سألت من أمر أو من غمك مما كان أو يكون وترى عاقبة ما ترددت فيه وتخبر بدفين إن خفي أو تخبر بأنك لا تفكر به .

وذكر بعض أنها تنقش يوم الأحد أول ساعة في الذهب لتحريك قلب كل شيء وعدد حروف كيمص بالجلل الغربي مائة وخمسة وستون وبالمشرق مائة وخمسة وتسعون ويكتب الوفى الحرفى في الظاهر والبددى في الباطن والحرفى يتأثر في كل وقت .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تَهْيِصَّ) بِشَاغِ مَدِّ الْكَافِ وَالْعَيْنِ وَالصَّادِ وَبَعْدَ الْمَاءِ وَالْيَاءِ مَدًّا طَبِيعِيًّا
وَأَمَاتَهُمَا عِنْدَ الْكَسَائِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ وَأَمَالَ أَبُو عَمْرٍو الْمَاءَ وَابْنُ عَامِرٍ وَحِزَّةُ الْيَاءِ .
وَرَوَى عَنْ حِزَّةٍ إِخْلَاصَ كَسْرِ الْيَاءِ . وَعَنْ عَامِرٍ كَسْرَهَا وَكَسَرَ الْمَاءَ كَذَا
قِيلَ عَنِ الْكَشَافِ . قُلْتُ : الصَّوَابُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْكَسْرِ الْإِمَامَةَ لِأَنَّهَا تَنْسَى
كَسْرًا . وَعَنِ الْحَسَنِ ضَمًّا . وَوَجْهُ الْإِمَامَةِ أَنْ أَلْقَاتِ أَسْمَاءُ التَّهْجِي بِأَمَاتٍ .
وَرَوَى أَنَّ السَّنُوسِيَّ وَابْنَ عَامِرٍ وَحِزَّةَ فِي إِمَالَةِ الْيَاءِ وَقَرَأَ نَافِعُ الْمَاءُ وَالْيَاءُ
بَيْنَ بَيْنٍ وَأَظْهَرَ الْحَرَمِيُّانِ وَعَامِرُ الدَّالِ وَأَدْغَمَهَا الْبَاقُونَ فِي ذَالٍ ذَكَرَ بَعْدَ قَلْبِهَا ذَالًا .
وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَهَيْصَ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ . وَقِيلَ : اسْمٌ لِلْقُرْآنِ وَقِيلَ : لِلسُّورَةِ
وَقِيلَ : قِسْمٌ .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : الْكَافُ مِنْ كَرِيمٍ وَكَبِيرٍ وَنَحْوِهَا وَالْيَاءُ مِنْ نَحْوِ
رَحِيمٍ وَالْعَيْنُ مِنْ نَحْوِ عَالِمٍ وَالصَّادُ مِنْ نَحْوِ صَادِقٍ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى كَافٌ تَلَقَّاهُ هَادٍ
لِجَاهِهِ يَدُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ عَالِمٌ بِمَا فِي صُدُورِهِمْ صَادِقٌ فِي وَعْدِهِ وَوَعْدِهِ .
(وَكُرُوحَةٍ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكِيًّا) خَبِرَ مَا قَبْلَهُ إِنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ أَوْ
بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ مُشْعَلٌ عَلَيْهِ أَوْ خَبِرَ لِحُذُوفِ أَيْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ عَلَيْهِ ذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ
أَوْ مَهْدًا حَذَفَ خَبْرَهُ أَيْ فَبِمَا يَقُولُ عَلَيْكَ أَوْ مِمَّا يَقُولُ عَلَيْكَ ذَكَرَ رَحْمَةَ رَبِّكَ .
وِإِضَافَةُ ذَكَرَ لِرَحْمَةِ إِضَافَةٌ مَصْدَرُ لِقَامَةٍ وَعَبْدٌ مَفْعُولُهُ كَتَوَلَّى ذَكَرَنِي جُودُ زَيْدٍ
أَيِ أَصَابَنِي وَإِضَافَةُ مَصْدَرُ لِمَفْعُولِهِ وَعَبْدٌ مَفْعُولُ الرَّحْمَةِ إِنْ قُلْنَا بِجَوَازِ نَصْبِ الْمَصْدَرِ
لِلْقُرُونِ بِجَاءِ الْوَحْدَةِ مَفْعُولُهُ كَذَا قِيلَ . قُلْتُ : أَيْسَتْ هَذِهِ بَاءُ بَنِي الْمَصْدَرِ عَلَيْهَا .

وقرى ذكر رحمة ربك بفتح الذال والكاف والراء ورفع الرحمة . وقرى
ذكر بفتح الذال وكسر الكاف مشددة وإسكان الراء ونصب الرحمة وزكراً
بذل عبد أويهاة . وقرأ أبو بكر وابن عامر بفتحهم همزة زكراً وهمزة زكرياء
إنا نبشرك وشبهه وتخفيف همزة بعدما ويصح أن تكون الآبة من التجريد
مهالفة أى ذكرته الرحمة بالرحمة فخرف بالرحمة .

(إِذْ نَادَى) دعا وقيل : نادى نداء مشغلا على الدعاء متعلق برحمة (رَبِّهِ
يَنْدَاءُ خَفِيًّا) سرا جوف الليل لأنه أسرع للإجابة وأبعد من الرياء وأدخل في
الإخلاص مع أن الجهر والإخفاء عند الله سهان .
وقيل : أسر دعاء خوطا من مولاه .

وقيل : لثلاث يلام على طلب الولد في زمان الشيخوخة .

وقيل : أضغه وهرمه ؛ فإنه ابن ستين سنة أو خمس وستين أو ستهين أو
خمس وسهين أو خمس وثمانين أقوال . وفسر النداء بقوله : (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
لِلْعَظْمِ مِثْنِي) أى ضعف .

وقرى بضم الهاء وكسرها . والعظم الجنس ومنى حال من العظم أو فته لأنه
للجنس وخمس العظم بالذكر لأنه حمود الهدن وبه قوامه وهو أصل بدته فإذا
ضعف تساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصله فإذا ضعف كان ما وراه أضعف
وقيل : العظم أسنانه ضعفت فعلى تساقط .

(وَاشْتَقَلَ) انتشر . (الرُّأْسُ) ومن أى حمود إظام السنين في الشين .

(شَيْبًا) تمييز محول عن الفاعل وأل في الرأس للتعريف الحضورى أو على
طريق تعريف الدهن ، تعالى الله عن القبح فإن الله عالم بأن مراده رأسه والمخاطب
باتمزان يعلم المراد أيضاً أو أل نائب عن الضمير ويقدر الرأس لى أو منى .

وأسند الاشتغال للرأس مهانة عظيمة وكان يكفي مهانة أن يسند إلى ما حل في الرأس وهو الشعر . والأصل اشتغل شيب الرأس فعول الإسناد المفيدة الإيهام ثم الإيضاح وللتعظيم بالتشكيه فإن اشتغال الرأس مبهم وفي قوله شيبا إيضاح وتشكيه .

وشبه الشيب في بياضه وإنارته بنار صافية لا دخان فيها وشبه انتشاره في الشعر باشتغالها ثم أخرج مخرج الاستعارة المركبة وهي التمثيلية بسطتها في شرح عصام الدين ولكنها في الشق الثاني تبعية بعد أصلية لأنه يشبه انتشاره باشتغالها ومما اشتغالا واشتق من الاشتغال اشتغل بمعنى انتشر ولا يكاد التصحيح يخرج الكلام على الاستعارة البسيطة ما وجد المركبة ولا يخفى ما في الآية من أنواع الفصاحة والبلاغة .

(وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) لم أك فيما مضى خائبا بدعائي إليك فلا تخيبنني فيها أي وذلك تنبيه على أن الله موّده الإجابة وأطمعه فيها ولا يجيب الكريم من أطمعه وعلى أن المطلوب وهو الولادة ولو لم يكن معتادا لأنه شيوخ لكن الإجابة معادة وفي ذلك توسل بما سلف .

روى أن محتاجا سأل بصحا وقال : أنا الذي أحسنت إلى وقت كذا فقال له : مرحبا بمن توسل بنا إلهنا وقضى حاجته .

وقيل : المعنى : دعوتني للإيمان فأمنت ولم أشق بترك الإيمان والبقاء متعلق بلم أي انتني للكون شقيا بدعائي إليك لأنه لو لم يدعه غلاب ولو عاق بأكن أو بشقيا لصح لأنه إذا طلب طالب فلم يظفر قيل : كان بسبب دعائه خائبا أو شقيا بدعائه وذلك أن طلبه هو الذي يظفر ظفروه أو شقوته وإضاعة دعاءه لكاف من إضافة المصدر للمفعول وأما على معنى دعوتني فأمنت فإضافة لفعله .

(وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) الَّذِينَ يَلُونَنِي فِي النَّسَبِ كَهَنِي الْم.

وقيل : م العصبه .

وقيل : السكالة .

وقيل : جميع الورثة .

وعنه عليه السلام : رحم الله أخى زكرياء ما كان عليه من ورثته .

قيل : كانوا أشرار بنى إسرائيل يخاف أن لا يحسن الخلافة على أمته ويبذل

دينه كما شامد من بنى إسرائيل .

(مِنْ وَرَائِي) بدموتي . وقيل : أمانى وقرأ ابن كثير « مِنْ وَرَائِي »

مهموزة ممدودة مفتوحة الهاء وقرأ أيضاً بالقصر والفتح وهو شاذ قال ابن هشام :

من ورأى متعلق بخفت على ما يتبادر وهو فاسد للمنى .

قلنا : وجه الفساد أن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل ولو خلق به لزم

أن يكون المنى أن الخوف يقع بدموته قال : والصواب تعليقه بالموالى لما فيه

من معنى الولاية أى خفت ولايتهم من بعدى وسوء خلافتهم أو بمحذوف حال

من الموالى أو من مضاف الموالى مقدر أى خفت فعل الموالى من ورأى . قال

ابن جنى من ورأى حال متوقعة أى خفتهم متوقفاً مقصوراً كونهم من بعدى .

وقرأ عثمان وعبد بن على وعلى بن الحسين خفت الموالى بفتح الخاء والقاء

وتشديدها وكسر التاء لساكن بعدها أى قلوا وهجروا من بعدى من إقامة الدين

أو خفوا ودرجوا قدامى .

وعلى هذه القراءة قال : فمن متعلق بخفت . قلت : هذا على منبئين : أحدهما :

أن يكون ورأى بمعنى خلفى وبعدى فيمتعلق الظرف بالموالى أى قلوا وهجروا عن

إقامة أمر الدين فسأل ربه تنويعهم ومظاهرتهم بولى يرزقه .

والثاني : يكون معنى قدامى فيتملق بحقت ويريد أنهم أسروا قدامه ودرجوا
ولم يبق منهم من به تقوية واعتصام كما مر آنفاً .

ومن كانت عنده زوجة لا تحمل فليصم هو وهي يوم الجمعة فإذا صلى المغرب
أنظر هو وزوجه على سكر ولوز وخبز ولا يشربان من الماء شيئاً ويكتب الآيات
على جدار زجاج يمسح فكل لم تفسد النار ويصحبها بماء مذهب طاهر ويأخذ من الحص
الأبيض مائتي حبة وأربعة وعشرين حبة ويقرأ على كل حبة : « وإني خفت
للوالى - إلى قوله - يوم يمت حواء » ثم يحمل الماء في قدر على النار ويحمل
الحص فيه ويوقد عليه إيقاداً قويا ثم يصل المشاء الآخرة هو وهي يقرأ بعد صلاة
المشاء هذه السورة كلها ثم يصبى الماء من الحص إذا فزع ثم يضيف إليه شيئاً
من ماء المنب ويشرب منه النصف والزوجة النصف ويأمان ساعة ويواقها فإنها
تحمل بالوقت .

وإن فعل ذلك ثلاث ليال قبل أن يأكل شيئاً كان أبلغ وأنجب لولده .
(وَكَانَتْ أُمُّ آدَمَ عَاقِرًا) لا تله (مَهَبٌ لِي مِنْ لَدُنْكَ) أى منسك وهو
تأكيد لكونه ولها سرهما لكونه مضافاً إلى الله وحاصر من عنده وإلا فهبلى
ولها يرثى كاف ، لو أراد احتراعاً منك بلا سبب لأنى وإسرائى لا يصلح الولادة
ومثله لا يرجى إلا من فضلك وكال قدرتك .
(قَرِيًّا) ابناً .

(بَرِيئِي) لمت ولها . وقرأ أبو عمرو والكسائى بالجزم فى جواب الدماء
والقرامتان فى قوله : (وَبَرِثُ مِنْ آلِي بِعُقُوبَ) جدى العلم والنبوة . سأل ربه
أن يحمل من صلبه من يقوم بالعلم والنبوة لثلاث أجيال لما رأى من إفساد بنى
إسرائيل وقتلهم الأنبياء وليس للراد إرث المال لأن الأنبياء لا نورث ومالم
ليمت المال .

وقيل : يرث جهورتي وملك آل يعقوب وزكريا كان رأس الأحرار،

وقيل : يرث مالي ونهوة آل يعقوب وجهورتهم .

قلت : زكريا أبدا من أن يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه ولم يجب الله دعاءه فإن يحيى قتل قبل أبيه زكريا فلم يرث آباءه . وإجابة دعاء الأنبياء ظلية لا لازمة كما لم يجب لإبراهيم في حق أبيه وكما لم يجب نبينا ﷺ في سؤاله : أن لا يذيق بعض أمته بأس بعض وذلك لخالفه ما طلبوا ما جف به القلم وكان علم جف به أن يوجد يحيى نبيا صالحا ثم يقتل .

والجيرة : العلم بتميز الكلام وتحسينه وفلان خبر بفتح الحاء وكسرهما وهو أفصح ويعقوب هو ابن إسحاق وزكريا عليه السلام من نسله . قيل : وكان من نسل هارون .

وقيل : يعقوب بن ماثان أخو زكريا .

وقيل : يعقوب أخو عمران أبي مريم وهما أخوان من نسل سليمان والإرث يعمد للموروث منه بنفسه وبمن كافي الآية . وقيل : من التبعيض لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء .

قلت : ويصح أن تكون للابتداء ولا يمنع الابداء والتعدي كونهم ليسوا كلهم أنبياء وعلماء غاية أن يكون كقولهم : « يخرج منهما الأولاد والرجان » . وقرأ ابن عباس والجمهور يرثني وارث من آل يعقوب .

قلت : الجملة تلي وإيا والرابط وارث فإنه ظاهر في مقام ضمير الولي أو الرابط محذوف على طريقة التجديد اللفظي وهو أن يفرغ من مقصف بصفة آخر مثله مبالغة لكانها فيه أي يرثني به وارث جرّد وارث من وإيا مع أنه هو .

وقرأ على وجماعة يرثني وارثا من آل يعقوب بنصب وارثا على الحال من ضمير الرفع أو النصب في يرثني .

وقيل : هذه قراءة الجحدري وابن عباس ولقي قبلها لعل ومن معه وعن الجحدري يرثي أو يرث تفسير وارث وقال : لأنه غَلِمَ صغره والأصل وُزِرَتْ يواوين الأولى فالـ الكلمة والثانية ألف وارث أبدلت الأولى واوا لانضمامها . (وَاجْعَلْهُ رَبِّي) يارب . (رَضِيًّا) مرضيا عندك قولاً ونسلاً واعتقاداً فاعمل بمعنى مفعول واخبره بإجابة دعائه بقوله : (يَا زَكْرِيَّا إِنَّمَا نُبَشِّرُكَ) اقرأ حزة بفتح اللون وإسكان الهاء وضم الشين .

(بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) تولى تسميته تشریفاً له ولأبيه واختار له هذا الاسم لأنه أحياء بالإيمان أو أحيى به عظم أمه . (أَمْ تَحْجَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) نظروا في التسمية لم يسم أحد باسمه قبله وفي التسمية بالأسماء الحسنة المحمودة تنويه بشأن المسمى ومثله يعمر ويحيى وهو علم مفعول من مضارع واختار بعض أنه مجيى .

وقيل : سمى بذلك لأنه حيى به رحم أمه ولأن دين الله حيى بدعوته .
وقيل : لم يحل له نظيراً أي أنه لم يمس ولم يسم بمصيبة وفي أنه ولد من شيخ قان ومجوز طاهر لم يلد زمان الولادة ولما ذهب زمانها ولها وفي أنه لم تلد المواقف مثله .

وقيل : لم يرد اجتماع الفضائل كلها ليحيى فإن إبراهيم وموسى قبله أفضل منه وإعما قيل للمثل : سمى لأن العالمين يتشاركان في الاسم .
(قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف . (يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) تبيس للعامل وصفها مصدر عتي بمعنى تبيس وأصله عقرى يوارى مياء بوزن فعود قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وقلب التضمه كسرة .

وقيل : أصفه عتروا بواوين بوزن قصود تقلت ضحيان وولوان متوالمة قلبت
خيمة التاء كسرة فالواو الأولى ياء ثم الثانية مادت فيها الأولى .

وقرأ ابن وثاب وحزرة والكسائي وخض بكسر الميم تخفيفاً وتبعا . وقرأ
ابن مسعود بفتحها . وقرأ أبي وعجماد متيا بفتح الميم بمعنى حق .

وعن بعض أن سنة مائة وحشرون سنة وسن امرأته ثمان وتسعون وإنما
حلب الولد هو وزوجه على حالة العنق والعر ولما أجيب استبعد لهجاب بما أجيب
به فيزداد المؤمنون إيماناً وبررة مع البطولون ويترف من هذه الله أن للزور كال
قدرته وأن الوسائط عند المحقق ملأة ومعتقد زكريا أولا وآخر أن الله في
عن الأسباب .

(قَالَ) الله أو الملك البشر له تصديقا له : (كَذَلِكَ) خبر المحذوف أي
الأمر كذلك والجملة من قول القول أو الكاف اسم مفعول لقول الثاني مضاف
لاسم الإشارة وجملة القول الثاني وفاعله متول الأول .

وبقوى الوجه الأول قراءة الحسن وهو على حين أي الأمر كذلك أي كما
وعدت أنا أو هو مع ذلك يهون على أو كما وعدت وهو على حين لا أحتاج نبا
أريد أن أدل إلى الأسباب وإذا لم نجعل الكاف مفعولا لقول الثاني وهو الذي
في قول جل وعلا : (قَالَ رَبُّكَ) فنقصوه محذوف على قراءة الحسن دل عليه
ما بعده .

وأما على قراءة الجمهور فنقصوه قوله : (هُوَ عَلَىَّ مَهْنٌ) وهذه الجملة تفسر
الإشارة وقد علمت أن الإشارة إلى قول زكريا أو إلى وعد الله والمين : السهل
اليسر رد عليه قوة الجامع وفتح رحم امرأته ،

(وَفَدَّ خَلَقَ تَكَ) وقرأ حزرة والكسائي والأعشى وابن وثاب وقد خلتك .

(مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) موجودا ولكن شيء سيوجد أو لم تكن شيئا بعد
به ولا دليل في الآية على أن المدوم ليس شيئا والحق أن الشيء يطلق على الموجود
والمدوم بعد وجوده والذي سيوجد ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهم السؤال
ليجاب بما يدل عليها .

ولما تأقت نفسه إلى السرعة البشرية قال ما حكى الله عندي قوله : (قَالَ رَبُّ
اجْعَلْ لِي آيَةً) علامة على حمل امرأتى . وسكن غير نافع وأبى عمرو العلاء .
(قَالَ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) حال من ضمنه
تكلم أى أن تمنع الكلام ولا تسطيعه وأنت سالم الجوارح سوى الخلق ما بك
خرس ولا بكى وإذا أراد ذكر الله أطلق الله لسانه وذلك هو الصحيح وهو
قول الجمهور .

ويحوز أن يكون سويًا ثلثًا أى كالمات مستقرات متعاقبات وهو
قول ابن عباس . وفي ذكر العيال هنا والآيات في آل عمران دلالة على أنه اسهر
عليه منع الكلام مع الناس والتجرد ذكر الله ثلاثة أيام ولياليهن .
ومن بعضهم : عاقبه الله بمنع الكلام لسؤاله العلامة بعد إلام الله إياه .

(مَخْرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) من للسجد أو كانوا ينتظرون نفعه
لهصلوا فيه بأمره على العادة . قاله الحسن . وقيل : من الغربة . وقيل : المحراب :
موضع الصلاة . ولما خرج عليهم رأوه متغير اللون وقالوا : ما لك ؟
(فَأَوْحَى) أشار . قاله قتادة ومجاهد ويؤيده « إلا رمزا » وقال ابن عباس :
كتب لهم في الأرض وهو رواية عن مجاهد .

(الْآيَاتِ أَنْ سَبَّحُوا) أن تنسرية ومن أجاز دخول المصدرية على الأمر أجاز
كونها مصدرية فتقدر حرف الجر أى بأن صلوا الله والتسبيح الصلاة وفيها تنزيه لله
سبحانه وتعالى .

وقيل : المراد التسبيح والذكر من غير الصلاة وكان مأموراً أن يسبح وأن يأمر قومه به .

(بُكْرَةً وَشَيْئاً) أوائل النهار وأواخره فلم يمنعه من كلامهم حملها يحيى وبعد ولادته بسدين قال الله تعالى له : (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ) التوراة قال قول مقدز أي قال الله : يا يحيى كما رأيت أو قلنا : يا يحيى .

(بِقُوَّةٍ) بمجد بأن تحفظه وتسل به .

(وَآيَاتِنَاُ الْحَكَمُ) الحكمة ونهم التوراة وحفظها .

قال بعض السلف : من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو عن أولى الحركة صبيها .
وقيل : إن قائل هذا هو ابن عباس .

ومن ستر أن الأطفال إذا دعوا يحيى إلى اللعب وهو طفل مقلد : لم أخلق للعب فذلك الحكمة التي آتاه الله .

وقيل : الحكم : النبوة أحكم الله عقله وأكله ونباه وهو طفل ومدا من خوارق العادات وأمر النبوة مبني على خرقها .

وقيل : الحكم العقل وهو قول الضحاك ورواية عن ميمر (صبيهاً) بل : هو ابن ثلاث سنين .

وقيل : معناه شاب لم يبلغ حد الكحول في لفظ صبي تجوز واستصحاب حال .
(وَحَنَاناً) عطف على الحكم وهو الرحمة من الله عليه أو الرحمة والتمتعطف في قلبه على أبويه وغيرهما .

ويقال لله : حنان كما يقال : رحيم على التجوز . وقيل : لا .

ومن يحيى حنان بمعنى التمتعطف قول الشاعر :

وقالت : حنان ما أتى بك ما هذا أدو تسب أم أنت بالحي عارف

أى أمرى حنان . وأكثر ما يستعمل منكى كقولہ :

أبا منذر أفئيت فاستبقى بعضنا حنانك بعض الشر أهون من بعض
ويستعمل حنان أيضاً فيما عظم لأمر الله كقول زيد بن عمرو فى خبر بلال :
والله إن فقام هذا العهد لأخذن قبره حنانا .

(مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (وَزَكَاةً) طهارة من الذنوب وإخلاصاً .
وقيل : صدقة تصدق الله بها على أبويه أو مكنته ووقفه للتصدق على الناس .
وعن مجاهد : كان طعام يحيى للشب وكان للدمع فى خديه بحار ثابتة .
(وَكَانَ تَقِيًّا) مطيعاً مجانباً للعاصى . وعن الحسن عنه عليه السلام : ما من آدمى
إلا وقد أخطأ خطيئة أو تم بها غير يحيى بن زكريا فإنه لم يهم بصغيرة
ولا كبيرة .

(وَبَرًّا) باراً حذف الله تحقيقاً أى محسناً .

(بِوَالِدَيْهِ) أحبه وأمه . وزعم بعض أن البر : الكثرة البر . ولا عبادة بمد
تعظيم الله أعظم من بر الوالدين .

(وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) الجبار المتكبر عن الطاعة .

وقيل : الذى لا يرى لأحد على نفسه حقاً .

وقيل : الذى يجبر الناس على أخلاقه . والعهى صفة مبالغة بوزن فصيل أى
عصها لو لديه . أو لربه .

والمراد وصفه بالقواض الذى هو من صفات اللؤم والمبالغة فى جبار وعصى
واجبة للنفى أو جبار للنسب أو تجمل المبالغة بمنزلة الكل ويجمل السلب من
عموم السلب ولو تأخرت المبالغة وذلك على خلاف الغالب .

(وَسَلَامٌ عَلَيْهِ) من الله (يَوْمَ وَلَدَ) من إنا الله الشيطان بما بنى

به غيره .

وقيل : السلام التحية من الله . قال ابن حينة : أو حش ما يكون الخلق يوم
الولادة لأنه خرج مما كان فيه ويوم الموت لأنه ينتقل من دار وقوم إلى دار وقوم
ويوم البعث لأنه مشهد عظيم ما كرم الله يحيى في هذه المواطن التي الإنسان فيها
في غاية الصنف والحاجة وقلة الحملة بالسلام وأما الأمان فقد تحصل له بنفى
المصيان .

(وَيَوْمَ يَمُوتُ) من عذاب القبر .

(وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) من عذاب النار وحول القيامة .

(وَذَكَرُ فِي الْكِتَابِ) القرآن (مَرْيَمَ) أي قصة مريم (إِذْ) بدل من
مريم بدل اشتمال لأن الأحيان مشغولة على ما فيها فإذا خارجة عن الظرفية إلى
للمعنوية أو بدل كل على أن المراد بمريم وقتها من تسمية الزمان بمن حل فيه أو
باعتدال مضاف أي وقت مريم أو أراد بوقت الانتباه نفس القصة الواقعة فيه للحال
باسم الزمان وعلى كل فإذا خارجة عن الظرفية .

ويحوز أن يكون ظرفاً مطلقاً محذوف أي نمل مريم وقدر به خبر مريم
وعلقه بخبر ويجوز تعلقه بمحذوف نعت محذوف أي أمر مريم الواقع إذ الخ .

(انْبَعَثَ) اعتزات . قال ابن هشام : إذ بدل من المفعول وهو مريم

بدل اشتمال .

وزعم الجمهور أنه لا تكون إذ إلا ظرفاً أو مضافاً إليها فإذا ظرف لمضاف
محذوف أي واذكر قصة مريم إذا انتبهت .

وقيل : إذ بمعنى أن المصدرية أي اذكر مريم انتباهها على البدلية الاشتيالية .

(مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) أى اعطيات فى مكان نحو الشرق من الدار
أو شرق بيت المقدس للعبادة .

وقيل : ذميت إلى جهة الشرق فى أهلها لغتسل من الحميم وقيل بشرق
عربها وكانوا يظلمون جهة الشرق . ولا تنهاها مكاناً شرقياً اتخذ النصراني الشرق
قبلة وقد علمت بما مر أن مكاناً ظرف ويجوز أنه يكون مفعولاً به لا تنهت على
أله تضمن معنى أنت أو قصدت .

(فَأَنخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا) سراً اغتلب رأسها أو ثيابها أو تعطل من
حيضها وكانت قد طهرت منه وكان اليوم شاتياً شديداً البارد .
وقيل : الستر : الجدار . وقيل : تكون فى المسجد فإذا حاضت تحولت إلى
بيت خالفاً فإذا طهرت عادت إلى المسجد .

(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) جبريل عليه السلام (فَتَشْتَلَّى) بعد لبس
ثيابها (بَشْرًا سَوِيًّا) أى جاءها فى صورة مثل صورة شاب أمره سوى الخلق
نستأنس بكلامه . اتهم شهرتها فتعذر نطقها إلى رحبها ولو جاء فى صورة الملك
لفرت عنه ولا تقدر على استماع كلامه .

وقيل : الروح روح عيسى جاء فى صورة بشر فخلت به والصحيح ما تقدم
وسمى جبريل روحاً لأن الدين بحمى به وبوضعه أو سماه الله روحه على الحجر بحجة
له وتقريبها كما تقول لحبيبك : أنت روحى .

وقرأ أبو حمزة بفتح الراء لأنه سبب لما فيه روح للمسلمين كما قال « فَرَوْحٌ »
وريحان ، ولأنه من المقربين والمقربون موحودون بالروح وتمثله على تلك الصفة
ابتهاء لها وامتنها وقد تمغنت .

وقيل : كانت فى منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه

وكان زكراً إذا خرج أغلق عليها فتمت أن تمخضت في الجبل لتلق رأسها فانفجر السقف فخرجت وقدت وراء الجبل فأناها الملك . قيل : قام بين يديها في صورة تراب لما اسمه يوسف من خدام بيت المقدس وبشرا حال ولو كان جامدا لملقه بمشتق .

وقال اللقاني : إن كان معنى تمثل تشخيص وظهور فالحالوة ظاهرة أو تصور فينبغي جعل الفصيح بزعم الخافض وهو الباء : التصور ليس في حال البشرية بل في حال الملكة .

(قَاتَ إِيَّيْ) وسكن للياء غير الجرهميين وأبي عمرو . (أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ) من أن تنالني بسوء . (إِنْ كُفْتَ تَقِيًّا) لله وحواب إن محذوف دل عليه ما قبله أي إن كفت تتقي الله وتبالي بالاستعادة به فأنا حائذة به منك أو فتعمود بعمودي أو بجانبني أو ينفني تعمودي .

ويجوز أن يكون للمبالغة أي إن كفت تنها متورها إلى أعود منك فكيف إذا لم تكن كذلك . وقيل : التقى اسم لفاسق مشهور في ذلك الزمان .

(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ) ضمير قال حائذ الروح بمعنى جبريل ولو كان روح عيسى لم يصح أن يقال : « قال : إنما أنا رسول » إلى آخره .

(لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) بالقبوة وغدها . أسند الهبة لنفسه مع أن الواهب هو الله لأن الله أرسله بها وهو الواسطة والسبب فإنه نفع بها رضى الله عنها فسكرانه قال : لا كون سببا في هبته .

ويجوز أن يكون حكاية لقول الله وبؤيده قراءة أبي عمرو وورش عن نافع والحلواني عن قالون وكثير عن يعقوب ليهب بالياء ونسبها بمصر الأكثر عن نافع والمشهور عنه المدة عندنا . وفي بعض المصاحف : إنما أنا رسول ربك أسرى أن أهاب لك .

(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي أَحَدٌ) لم يجامعني (بَشَرًا) رجل
بالحلال فإن هذه الكتابة إنما تطلق على الحلال ولو أرادت غير ذلك لكانت مثلاً :
لَوْ يَمْجُرْنِي أَوْ لَمْ يَمْجُرْنِي وَقَدْ قَالَ جَل وَعَلَا : « إِنَّ قَوْلَ أَنْ تَمْسُوهُنَّ » وقال
صاحبنا وتعالى : « أَوْ لَا مَسَمَ الْفَسَاءُ » .

ولا يقال : إن المراد بمحمل الزنا وكفى عنه بالمس ؛ لأننا نقول : ليس ها هنا
بهمين أن يكفى عنه . ويدل لما قلنا أيضاً قوله عز قائلنا :

(وَأَمَّ أَكْثَرُ النَّاسِ) لم أكن كثرة المحبة للرجال وعظيمة المحبة لهم بأمرى .
والبنية نقول من البنية الذي هو الزنا أصله يقرى اجتمعت الواو والياء وسبقت
إحداها بالسكون فقلت الواو ياء وأدغمت في الياء وقلت للضمه كسرة . هذا
قول المبرد فهو كصبور وغضوب صفة مبالغة لا تلحقها التاء في المؤنث .

وقال ابن جني : وزنه فعمل وإنه صفة مبالغة ولذا لم تلحقه التاء قال : ولو
كان فهو لا يقال : فهو كاقيل : فلان فهو عن المنكر .

ويصح أن يكون بوزن فعمل على أنه ليس صفة مبالغة ولم تلحقه التاء لجواز
أن لا تلحق فميلاً بمعنى فاعل عند بعض إذا وجدت قرينة القائيث .

وأجيز أن يكون فميلاً على أنه للنسب ولم تلحقه الياء لكونه للنسب وهذا
بناء على أن فميلاً للنسب لا تلحقه التاء وهو مبحوث فيه والصحيح الأول وعليه
ابن هشام .

قول الشيخ خالد : سأل المازني جماعة من نخبة الكوفة عن هذه الآية بمحضرة
الواقعي بالله فلم يأتوا بوجه للصواب فسأله الواقعي عنها فأجاب بما قال الموضح انتهى .
(قَالَ) الروح : (كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ) هكذا قال ربك وجملة (هُوَ عَلَى
حَيْنٍ) تفسير للإشارة أو النفي : الأمر كذلك من خلق غلام منك من غير رجل .
قال ربك : إن ذلك على حَيْنٍ .

(وَإِنِجَعَلَهُ) أى ونجعل ذلك لنجعله فهو تمليل لمخدوف أو لنظهر به قدرتنا
ولنجعله فهو معطوف على تمليل مخدوف ومثله: «وَخَقَّ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَاتَّجَزَى» وقوله عز قائله: «وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ»
وقيل: عطف على لأهب على مقتضى الظاهر أو على ليهب على طريق
الالتفات من النعمة للتكلم.

وقيل: معطوف على «هو على هين» أى قال ربك: الأمر كذلك؛ لأنه
يسهل عندى ولنجعله وهو من العطف على المعنى المسى في غير القرآن العطف على
التنويم.

(آيَةُ لِلنَّاسِ) على كمال قدرتنا. (وَرَحْمَةً مِّنَّا) على العباد يهتدون
بإرشاده إلى مهت محمد.

(وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا) مفروغاً منه في الأول لا نهدي ولا تغيير أو مسطراً
في الروح أو كان أسراً حقيقياً بأن يقضى.

قال ابن عباس: فاطمة أنت إلى قوله. فدنا منها فنفتح في جيب درعها أى
قيصها. والجيب: مدخل النقب أو اليد فوصلت النفخة إلى بطنها.

وقيل: نفخ في الدرع قبل أن تلبسه.

وقيل: مد الجيب بأصبعه ونفخ فيه.

وقيل: نفخ في السكم.

وقيل: في الذيل.

وقيل: من بعيد فوصل إليها النفخ.

وقال أبو: نفخ في فيها.

(مَعْلَمَةٌ) في وقت الفتح (فَانْتَبَذَتْ) امتزلت خوفاً من اللداس وحياء
من أن يبرها أهلها وغيرهم بولادتها ولم تتزوج .

(بِه) وهو في بطنها والبهاء لمصاحبة معلقة بمعدوف حال من ضمير انتبذت
(مَكَانًا قَصِيًّا) بعيداً من اللداس وأهلها وهو وراء الجبل .

وعن ابن عباس : أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم .
وقيل : أقصى الدار . ومدة بقائه في طنبا سعة أشهر .
وقال الحسن والضحاك وعطاء وأبو العالية : سبعة أشهر .
وقيل : ثمانية . ولم يعيش ثمانية غيره .

وقيل : تسعة كسائر الناس .

وقيل : حملته في ساعة ، وصور في ساعة ، ووضع في ساعة حين زالت
الشمس من يومها .

وقيل : ذلك كله في ساعة . وهو قول ابن عباس . وما من مولود إلا يستهل
غيره . وحاضت حيويتين قبل حمله وحملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة

وقيل : بنت عشر .

وقيل : ست عشرة .

قيل : كان ابن عم لها اسمه يوسف لمسا قيل : حملت بالزنا خاف عليها فقتل
للك هرب بها ، فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه أن يقتلها فأثناء جبريل
فقال : إياه من روح القدس فلا تقتلها وتركها .

وعن وهب أن يوسف هذا أول من علم بطنها وكان هو وهي بخدمان المسجد
ولا يسلم في زمانهما أشد عبادة مهما . وتحير كل أراد أن يتهمها ذكر عبادتها
وعفتها وأنها لم تنب عنه . فقال لها : وقع في نفسي من أسرك شيء . وقد حرصت
على كتمانها فلهي أن أتكلم به فقلت : قل قولاً جميلاً .

قال : أخبرني يا سریم هل ينبت زرع بغد بذر ؟ وهل ينبت شجر من غبد
غبت ؟ وهل يكون ولد من غبد ذكر ؟

قالت : نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غبد بذر ؟ ألم تعلم أن الله
أنبت الشجر من غبد غبت . أو تقول : إن الله لم يقدر أن ينبت الشجرة حتى
استعان بالماء . ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها .

قال يوسف : لا أقول هذا ولكن أقول : إن الله يقدر على كل شيء
يقول له : كن فيكون .

قالت له سریم : ألم تعلم أن الله خلق آدم من غبد ذكر ولا أنثى ، وخلق
زوجه منه . فزال ما في نفسه من التهمة وكان يتوب عنها في خدمة المسجد لضمها
بالحل . فلما دنت ولادتها أوحى الله إليها : انتبهي مكانا قصيا .

(فَأَجَاءَهَا) جاءها جائية وهو أفضل كأكرم من الجيء دخلت هرة التمدية
على جاء وكأنه قال : جاء بها .

(أَلْمَخَاضُ) وجع الولادة ويقهر أجا بالإنجاء كما يقهر الإيتاء بالإعطاء
مع أنه من زيادة الهمزة على أنى . وقرئ بكسر اللم .

(إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) نخلة لأبسة في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سقف
ولا رأس جاءت إليها ليمسك أشدة الولادة وذلك في الشتاء .

والتعريف إما لأغلبة كالبیت للكمية كأن تلك للصحراء كان فيها جذع نخلة
معروف عند الناس ليس ثم غيره فإذا قيل : جذع نخلة فهم هو دون غيره وإما
لأنه وإما للجنس ألمه الله ذلك ليربها من آباته ما يسكن روعتها ويعلمها
الرطب اذن هو طعم النفساء اللواتق لها .

(قَالَتْ يَا كَيْدِي وَتُ) من مات يات كخاف يخاف . وقرئ مت بضم
 الميم يموت كقوله يقول ويا للتنبيه أو النداء على حذف للنادى .
 (فَبَلَّ هَذَا) الأسر الذي هو الجن واولاده (وَكُنْتُ نَسِيًّا) ما من شأنه
 أن ينسى أو يطرح عمدا ويترك كالخرقة والوند والجل والعمى ومن ذلك الدج
 يكسر الذال ، والطعن لما يطعن وقد جئت شيئا من ذلك فى شرح اللامية .
 وقرأ حمزة وحفص والأعشى وابن وثاب بفتح النون وهو بمعنى المكسور
 لغتان عند اللوا كالوتر والوتر والجسر والجسر .
 ويجوز أن يكون مصدراً سمي به الشيء . وقرأ محمد بن كعب القرظى نسياً
 بالهمزة وفتح النون وهو الحليب المخلوط بالماء وينسأه أهله لقلقه .
 (مَنْسِيًّا) فت مؤكدة وهو اسم مفعول أصله منسوي كفسروب قلبت الواو
 ياء وأدغمت فى الياء وقلبت الضمة كسرة .
 وقرأ الأعشى بكسر الليم تبعاً للسين تحت اللوت والنسيان من جهة الدين
 لئلا يظن بها السوء فتكون التبعة ولئلا يعصى الناس الله بسببها ولشدة التكليف
 عليها إذ يهملوها وهى طامة براءة الساحة وما أعظم أن تكون تسحق العظيم
 بشئ خصلك الله به ترى الناس يجهلونك به ويعفونك وليس ذلك منها كراهة
 لأسر الله وقد تمنى عمر على مثل ذلك الحد .
 (فَمَآذَاهَا) عيسى أو جبريل (مِنْ تَحْتِهَا) رضى الله عنهما . وقيل : ضمير
 الإصانة للنفلة وهو قول قتادة .
 وقرأ ابن كثير وابن عاصم وأبو عمرو وأبو بكر بفتح الميم والفاء أى ناداها
 الذى تحتها وهو عيسى أو جبريل وكان جبريل يقول الولد كاقابلة .
 وقيل : تحتها : أسفل من مكانها أى بقعة أسفل من البقعة التى هى فيها

والأول أظهر ومذهب الحسن وأبي ومجاهد وابن جبير أن المادى عيسى قبل وهو
أظهر وأبين وبه يثبت مذهب مريم رضى الله عنها ولا تنق بها استرابة وفيه أنه
لا حاضر من الناس لذاته ومذهب ابن عباس أن للناس جبريل وأن عيسى لم
يتكلم حتى جاءت به قومها وكان يقرأ مادامها . لا من تحتها . وقرأ زر وعلمة :
نحاطبها من تحتها :

(أَلَا تَحْزَنِي) أن تفسرية ولا ناهية وأن مصدرية تقدر الهاء قبلها ولا ناهية
أو ناهية بناء على جواز دخولها في الطلب .
(قَدْ جَمَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ) وقرأ وش تحش بهبدال كات الخساطية شيئا
ومعنى ذكرها المرادى .

(سَرِيًّا) إنسانا مظلما شريفا من السرور وهو الشرف والسيادة وهو عيسى
نفسه إن كان هو المادى وإنما أخبر عن نفسه بذلك لأمر الله إياه وإزالة الحزن
عنها لا تهاجر ^{منها} وذلك قول قتادة وابن زيد والحسن .
وقال الجوزي : نهر ماء صفي لم يكن ثم وهو بالغة السرانية . وقيل : قد كان
نهر ماء صفي ^{منها} ذلك وانقطع . وهو قول البراء بن عازب .
وروى أن النبي ﷺ سئل من السرى فقال : نهر ماء .

وإن قلت : لم تحزن لفقد الماء أو الولد ولقد الرطب فكيف يصبرها
ويستلها ^{بها} ؟

قلت : لم يقع تصبرها بهما من حيث إنها ماء ورطب أو ولد ورطب ولكن
لهذا ^{لأن} حيث إنها معجزة ^{لأن} الناس أنها من أهل العصاة والبعد عن الريبة
وأنها بمنزل عما ثبت به وأن لها أمورا ^{لأن} خاكة قعادة فليس ولا دنسها من غير
رجل يمدح ^{بها} .

(وَهَزَى إِلَيْكَ) معلق بمحذوف حال من جذع على أن الباء زائدة والجذع مقبول فلا تمنع من تقديم الحال أو يقدر الاستغفار بعده بل يقدر الـكون الخاص أى هزى بمجرع النخلة مذهباً إليك . وهو زائدة .

والنقى : القلى الميز به وهذا بقاء على جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف غير زائد ولا يلقى إليك بهزى لأن الفعل لا يعمل فى ضممين لسمى واحد وكذا شبه الفعل إلا علم وماسمه وقد يقال : الحق أنه إنما يعمل إذا لم يمتد لواحد بحرف وقد يلقى به على تقدير مضاف أى إلى نفسك لكن هذا المضاف غير محتاج إليه .

(يَجِدُ النَخْلَةَ) وهو يابس كما ذكرت وقال : قوم إن الجذع الذى تجلأها إليه الخناس وأسرت بهزه كان سفا معلماً وطها . وعن بعض أنه جذع عبوة .

والصحيح أنه يابس ميت لما ولدت أحياء الله أوردى وأثمر وأرطب فى حين . وروى أن الذين نفع من ضرب جبريل الأرض .

وقيل : ضربها عيسى بن مريم .

وقيل : معنى كون الذين تحبها أنه إن شئت جرى وإن شئت أمسك والمز : للتعربك بمحذوف ودفع .

وقيل : الباء للاصمالة والفعل محذوف أى هزى الثمرة بمجرع النخلة أى بهز جزمها وإذا فسر بانفلى به المز فهو لازم لا مفعول له .

ومن أخذ ثلاث خوصات من ثلاث نخلات ألوان : أصفر وأحمر وأخضر وكتب على كل خوصة « وهزى إليك - إل - إنسا » بقلم حديد ثم علق كل خوصة فى جريدتها من نخلتها أنجب ثمر نخله ويأتى أجلها عاجلاً وسلم من الآفات . وأنجب النخل بنفسه أيضاً .

(تَسَاقَطُ) مجزوم في جواب الأسم والأصل تساقط بتاءين: تاء المضارع وتاء الماضي قلبت تاء الماضي وهي الأخيرة سبباً وأدعت بالسكون وقرأ خصص بضم التاء وكسر القاف وبالفتحيف وقرئ تساقط بالتاءين .

وقرأ حمزة تساقط بفتح التاء والقاف والتخفيف على حذف إحدى التاءين وتساقط بالثناة التحتية وتشديد السين إدغاماً لتاء الماضي فيها بعد قلبها سبباً والثناة والقاف مفتوحان .

قال بعض : وهذه قراءة يعثوب وتسقط ويستط بضم أولهما وكسر القاف وبفتح أولهما وضم القاف والتاء للثناة والهاء للبدع .

(عَلَيْكَ رُطْبًا) تمييز على كل قراءة غير تسقط ويستط بضم أولهما وكسر قافهما فإنه عليهما مفعول به وذلك على أن تساقط ويستاقط بضم القاف والهاء وكسر القاف بمعنى تساقط . أما على أنهما بمعنى تسقط ويستط بضم الأول وكسر القاف فرطها مفعول به .

ويجوز أن يكون مفعولاً في قراءة تسقط ويستط بفتح الأول وضم القاف على أنهما مقديان . وأجاز المبرد كون رطبا مفعولاً لهزى قبل وليس كذلك .

(جَفِئًا) بلغ أو ان القفاطه . وكسر طلمة بن سليمان الجيم تهما . قال الربيع ابن خيثم : ما لفضاء عندي خير من الرطب ولا للرطب خير من العسل وكذا يدفع الرطب في عمر الولادة .

(فَكَلِي) من الرطب (وَاشْرَبِي) من الهر . (وَقَرَّيْ عَيْنًا) طوي نفسي وارفعني الحزن .

وقيل : قرى عينا بولدك وعيناً تمييز محمول عن الماعل أي لبرد عينك . وذلك أن دمة الحزن حارة وقرى قرى بكسر القاف وهر لغة نجد .

ويجوز أن يكون المراد اشربي من عصير الرطب وأن يكون قرى من القران

بمعنى السكون ! فإن الذين إدارات ما يصر إليهم يكتبت إليهم ولم تظفر لنفوسهم وإثمار النضلة في الشتاء أيضا معجزة .

وقال التلمذي : إن ابن عمها يوسف بن يعقوب المذكور كان نجارا يصدق من عمل يديه وإن اليوم الذي لقبها فيه جبريل أطول يوم في السنة وآخره فقد ماؤما فقال : يا يوسف ألا مذهب بقا نسقي ؟

فقال : إن عندي فضلا من ماء أكتفي به يومي فضت لتسقي فلقبها جبريل فاستأذنت منه وهو في صورة شاب فقال : أنا رسول ربك لأهب لك علامة زكيا . قالت : أرى يكون لي غلام - إلى - مقصدا . فاستسلمت لأسر ربها فنفخ في جيبها ثم ملأت قلبها وانصرفت .

وقيل : وضعت درعها لتسقي وقال لها وقالت له ونفخ في جيب الدرع ثم لبسه . وإن وخبأ قال : المسجد الذي تخدمه ويوسف عند جبل صهيون وهو من أعظم مساجد يرومئذ وتخدمته مفضل عظيم وإنه لما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن المسجد بيت من بيوت الله طهور ورُمِعَ ليدكر فيه اسمه فاجبرى لموضع تلدين فيه فدخلت إلى بيت خاتها أم يحيى لما دخلت عليها قامت أم يحيى فالتزمتها فقالت امرأة زكريا : أشعرت أرى حبل ؟

قالت مريم : وأنت شعرت أرى حبل ؟

فقال امرأة زكريا : إني أجدهما في بطنى بسجد لما في بطنك .

قيل : فذلك قوله : «ومصدقا بكلمة من الله» ثم أوحى الله إليها : إن ولدت بين قومك ميّزوك وقدفرك وقدفرك وولدتك .

وقال السكبي : قيل لابن عمها : إنها حملت من الزنى وسوقتلها الملك مهرب بها

على حمار ليس بين ظهره وبينها شيء ، فانطلق بها حتى بلغ أرض مصر في مقطع
ببلاد قومها وأدركها الخاض في ذلك المكان إلى الجذع .

وإن ابن عباس قال : حلت به ووضعه في ساعة لقوله سبحانه وتعالى :
« فاعلمته فاعلمت به مكاناً قصياً » .

وإن مقاتلاً قال : حلت في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها
وهي بثلث عشرين سنة وقد حاضت حوضاً واحدة قبل .

ولما اشتد بها الطلق التبات إلى نعمة يابسة لاسف ولا كرايف ولا عروق لها
عاجدت الملائكة بها صفوا والنفقة في موضع يقال له : بيت لحم وإن النهر الذي
أنبه الله عذب بارد إذا أرادت الشرب وقاتر إذا أرادت استعمل مائه واستدل
بالآية الربيع بن خثيم على أنه ما لنفساء خمر من الرطب ومهيون على أنه ما لما
مثله إذا عصرت .

وكان **عليه السلام** يملك به أولاد الصحابة إذا ولدوا بعد ما يمضيه .

ومحمد يوسف إلى حطب وجهه كالخظيرة حوليها بالقرب منها لتصطلي به
من البرد فأوقد ناراً وكسر لها سبع جوزات كنى في خروجه . فمن ذلك يوقد
النصارى ويلعبون بالجوز لينة المولد .

ولما ولد عيسى أصبحت الأصنام بكل أرض منكوسة فزعت الشياطين وجاء
إبليس وهو في عرش له على نخلة خضراء يمثل بالعرش يوم كان على الماء وقد
مرت ست ساعات من النهار ففزع منهم إذ رآهم جماعة وقد كانوا من قبل يلنونه
فرادى فذكروا أن الأصنام نكست وأنه ما لها على بني آدم أشد حولاً منها
نكستهم من جوفها وقد صغرت مقدم وخشيتنا أن لا تمهد بعد وإنا لم نأفك
حتى خضها الأرض والبحار ولم تزد إلا جهلاً .

قال لهم : إنه هذا الأمر عظيم فكونوا على مكانكم فطار إبليس فلبث ساعة وقد مر على مكان الولادة ورأى الملائكة محدقين .

وعلم أن الحدث فيه فأراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أهدام الملائكة رأسه في الأرض فأراد أن يدخل من بينهم فنفثوه يريد أن يطمنه بأصبعه في جبينه كما يفعل بكل مولود فصرخ فلم يقدر .

فرجع فقال : ما اجتثكم حتى خضت الأرض مشرقها ومغربها وبرحها وبهرها والخائفين والجو الأعلى .

وقيل : ذلك في ثلاث ساعات وأخبرهم بموكب عيسى عليه السلام .

وقال لهم : ما اشتعلت رحم أنى على ولد إلا بئس . ولكن - الله الله -

لا يعلم ما في البطن ذكراً أو أنثى ولا أحواؤه وهو كاذب في ادعاء العلم .

قال : ولا وضعت أنثى إلا بحضرتى وإنى لأرجو أن أضل به أكثر من يهتدى وما كان نبي قبله أشد على وعليكم منه . وخرج في تلك الليلة قوم يقصدونه من أهل نهم طلع قد تحدثوا أن طلوعه في كغاب دانيال من علاماته ومعهم الذهب والبر واللبان ففروا : لك من ملوك الشام فسالهم : أين يريدون ؟ فأخبروه . فقال : ما بال هذه الأشياء أهدبتموها دون غيرها ؟

قالوا : تلك مثاله فإن الذهب سيد المعام كله وكذلك هذا النبي سيد أهل زمانه . والمر يشفى به الجرح والكسر وكذلك هذا النبي يشفى به كل مريض . واللبان ينهم دبحان السماء ولا يفلما دخان غيره وكذا هذا النبي يرفع إلى السماء دون غيره في زمانه فحدث الملك نفسه بقتله .

قال : اذهبوا فإذا علمتم مكانه فأعلموني بذلك فإني أرغب في مثل ما رغبتم من الخير .

وانطلقوا حتى دسوا ما كان معهم من الهدية إلى صريم فرجعوا إلى الملك ليطهوه بمكاه فلقبهم ملك قال : لا ترجعوا إليه ولا تطهوه فإنما أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر .

قال مجاهد : قالت صريم : كنت إذا خلوت نكلم منى من بطنى وإذا شغلنى إنسان سبى لى بطى وأنا أسمع .

(فلما تَرَيْنِ) إن الشرطية وما الزائدة قال الشيخ خالد : أصله قبل التوكيد ترايين كعديدين نقلت حركة الهزمة إلى الراء قبلها ثم حذفت الهزمة فنصار ترين بفتح الراء . وكسر الهاء الأولى وسكون الثانية . فلما أن تقول : حذفت الكسرة لاستثقالها أو تحركت الهاء وانفتح ما قبلها فقلت ألفا وعلى التقديرين التقى سا كنان حذف أولهما فنصار ترين بفتح الراء وسكون الهاء ثم دخل الجازم وهو إن الشرطية الموصلة بما الزائدة فحذفت نون الرفع فنصار ترى بفتح الراء وإسكان الهاء ثم أكد بانحون فالتقى سا كنان فاء المخاطبة ونون التوكيد وتصدر حذف أحدهما لعدم دليله فحركت الهاء بحركة تجانسها وهى الكسرة ولم تحرك النون المدغمة محافظة على الأصل ولعروض الكسرة لم تلب الهاء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها . انتهى .

وعن ابن روى من أبى عمرو تَرَيْنِ بالهزمة مبدلة عن ياء التكلم والهزمة بدل من الهاء لى هى لام الكلمة وأما الهاء لى هى ضمير فمحذوفة وذلك أن بين الهزمة والهاء تأخيا .

(مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا قَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) صمتاً كاقراً به ابن مسعود وعنده كأس بن مالك . وقيل : المراد الصيام وكانوا لا يتكلمون إذا صاموا وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لأنه نسخ فى أمته وكان أنس يقرأ أيضا صمتا .

وروى أن من أراد الاجتهاد من بنى إسرائيل صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يكلم حق يمسي وهذا لا يجوز عندنا مشر الأمة أعض نذر الصمت .
والقائل لها فإما ترين الخ جبريل أو عيسى عليهما السلام أسرت أن تقول : إني غذرت الرحمن صوما الخ ثم تمسك . هذا قول الجمهور .

وقيل : تقول ذلك بالإشارة . وفي الكلام حذف أي فإما ترين من البشر أحدا وسألك فتولي : إني غذرت الرحمن صوما وتقوض الكلام للأفضل أفضل وذلك لثلاث تسرع مع البشر التهمين لها في الكلام لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ ساحتها ولكرامة مجادة السفهاء . قيل : السكوت عن السفهاء واجب . ومن أذل الناس سفوة لم يجد مسانها .

(فَلَمَّا أَكْمَلَتِ مَرْيَمُ) في شأن الولد وغده . (إِنِّي بِلِأَمْرِ اللَّهِ كَافٍ)
للإسكاة وأناجي ربي .

(فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلًا) بعد أربعين يوما من ولادته . وعن الكلبي :
احمل يوسف البجار صوم وإنيها إلى قار فأدخلها فيه وبعثا أربعين يوما فكلما عيسى في الطريق : يا أمه أبشري فإني عهد الله ومسيحه . ولما دخلت على أهلها ومها المعص بكروا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين .

(قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) بهما معكرا جئت بولد من غير زوج وما ذكر من للسكت أربعين ذكره في حرائر القرآن . وقيل : أنت به تحمله حين ولادته .

(يَا أُخْتَ هَارُونَ) أي بأشبهه هارون وهو هارون غير هارون موسى رجل صالح يسمى هارون للصلح الخبت في مشهورة شئت به حنة وصلحا أرتهما وليس أخاها في القصب أي كيف صدر منك هذا القتل مع ما رأينا من صلاحك .

وفي حرائر القرائن : تبع جفازة هارون هذا أرمون الهام من بني إسرائيل كل يسمى هارون . قيل : تبركا به سوى سائر الناس وهو قول ثقافة .
وقال وحب : كان هارون هذا من أمسق بني إسرائيل وأسددم فنبهوها به .
وقيل : رجل صالح من أصلح بني إسرائيل أخ لها من أيها .
وقيل : هو أخو موسى لأنها من نسله . كما يقال لواحد من العرب : يا أخا العرب ، ولتميم : يا أخا نعيم والمشهور غدر هذا .

وعن الفسدة بن شعبة : لما قدمت خراسان قالوا : إنكم تقرأون يا أخت هارون . وقيل : قدم نجران بأمر النبي ﷺ فقال له اللصاري أهاشم الله : إن صاحبك يزعم أن مريم هي أخت هارون وبينهما ستائة سنة .

قال : لم أدر ما أقول . فلما قدمت على النبي ﷺ ذكرت له ذلك فقال : ألم يعلموا أنهم يسمون بأسماء الأنبياء والمصلحين والحق أن بينهما ألف سنة . وقيل : هي من عقب من كان مع هارون في طهارة الأخوة لأمي نسله وهي رواية عن النبي ﷺ . وقيل : بينهما ألف أو أكثر . وعن السدي أنها من نسله .

(مَا كَانَ أَبُوكَ) هيران . (امراً) إنساناً . (سَوِيْر) زنى بفتح السين .
(وَمَا كَانَتْ إِلَيْكَ بَنِيًّا) شديدة البنى للرجل لأجل الزنا في ابن صارت
في هذه العمدة حتى جئت بهذا الولد وفي ذلك تعظيم لفعلها وإعلام بأن العاقبة
من أولاد المصلحين أغش وهوذا برجها وحاوروها . وقيل : جاء زكريا وقال
لعيسى : انطق بحديثك إن كنت أسررت بها .

(فَأَشَارَتْ إِيَّاهُ) أن يكلموه ليحسب . (قَالُوا كَيْفَ نُسْأَلُ مَنْ كَانَ
فِي الْأَمْنِ) مهدد الصبي . وقيل : حبرها . (حَبِيْبًا) لم يهد كلام مثله وهو إذ
ذلك ابن أرمين يوما أو أكثر . وقيل : يوم ولد ، وغضبوا قالوا : لتسخرينها

بها أشد من زناها . وكان ناقصة . والمراد الاستمرار . وفي العهد ففعلت بها وصيها
 خبرها أو بمحذوف خير . وصي خبر آخر أو حال من ضمير كان أو من ضمير
 الاستمرار أو تامة . وصيها حال من ضمير كان أو زائدة . وفي العهد صلة من وصيها
 حال من ضمير استقرار الصلة . وكان ناقصة بمعنى صار .

وقيل : إن الكلام على ظاهره وإنه حينئذ خارج من حد العهد فهو داخل
 في حد الكلام فكان الزمان الماضي القريب وسبق ذلك تعجبها . قيل : ووجه
 آخر أن يكون تكلم حكاية حال ماضية أى كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس
 صبيها في العهد فيما سلف من الزمان حتى تكلم هذا .

(قَالَ) بعد ما أسره زكريا أو بعد إشارتها أو لسامع مذاخرتهم وبعد الإشارة
 وكان يرضع ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجه متكنا على يساره وأشاد بمباينة
 وذكر ما قال الله عنه قبل ولم يتكلم حتى بلغ وقتا يتكلم فيه الصبي .

(إِنِّي) وضع الياء حمزة . (عَيْدُ اللَّهِ) أنطقه الله أولا بهذا لأنه أول المقامات
 اليهودية وردّها لما يقول النصارى : إنه إله . وذكر بعد ذلك ما يدل على برأيتها
 وبزيل الحزن عنها فإن ولد الذي لا يؤتبه الله الكتاب في صفته حيث لم يمهّد
 ولا يحمّله نبيا . وذكر بعد ذلك أنه ما كان له أن يمشى معه وهذا وقيل : ثم
 يؤت الله عيسى الكتاب في صفته .

(آتَيْنَا الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ نَبِيًّا) عبر بالماضي لتحقق الوقوع إلى شيئين
 الكتاب وسيمتحن نبيا كما قل سيدنا محمد ﷺ . كنت نبيا وآدم بن الروح
 والجسد . أو المراد أنه قضى في الأول بإعطاء الكتاب والجعل نبيلا وهكذا بعد
 الإنجيل . قيل : والدوراة .

وقيل : علمه الله الكتاب وهو لخل في العهد وعليه الأكل . وقال الحسن :
 في البطن وكنيت أكل الله عقله في طهره ونبأه .

(وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا) نَزَاهًا لِلنَّاسِ مِنْ بَعْدِ حَيْنٍ .

وقيل : معناه للخير أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ .

وقيل : مُبَارَكًا عَلَى مَنْ تَبِعَنِي وَمَنْ يَعْلَمُ النَّاسَ الْحِكْمَةَ وَيُسَبِّحُهُمْ فِي فَعْلَاهَا فَلَا أَعْظَمُ مِنْهُ وَمَقَامُهُ كَقَامِ نَبِيٍّ . (أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ) حِثُّ كُنْتُمْ .

(وَأَوْصَانِي) أَمَرَنِي (بِالصَّلَاةِ) صَلَاةٍ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ . وقيل : الدُّعَاءُ .
(وَالزَّكَاةِ) زَكَاةِ الْمَالِ إِنْ مَلَكَتْهُ . وَزَكَاةِ النَّفْسِ عَنِ الذَّنْبِ كَلْفُهُ طِفْلًا لِكَمَالِ هُنَالِكَ .

وقيل : أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ وَأُرَى إِذَا بَلَغْتَ أَوْ أَوْصَانِي أَنْ أَبْلُغَهُمَا وَأَمَرَ بِهِمَا وَأَفْعَلُهُمَا . (مَا دُمْتُ حَيًّا) فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ .

(وَيَا إِلَهِي) يَا رَبِّهَا مُحْسِنًا إِلَيْهَا ، وَالْمُطْفِئَ عَلَى مُبَارَكَا كَأَنَّهُ قِيلَ :
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا . وَقُرِئَ بِكُسْرِ الْبَاءِ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ وَصِفَ بِهِ عَيْسَى .

قَالَ ابْنُ : وَنَاهَيْكَ جَسَلَ ذَاتَهُ بِرَأٍ لِقَرِطِ بَرٍّ ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ مَضَافٍ ، أَوْ
مُصَرَّبٍ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْصَى ، أَيْ وَكَلَّفَنِي بَرًّا . وَيَقْوَى
هَذَا الْوَجْهَ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ وَبَرَّ بِالْجَرِّ وَبِكَسْرِ الْبَاءِ مَطْفَأًا عَلَى الصَّلَاةِ .

(وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّ رَا) مُتَكَبِّرًا . (شَنِئًا) طَاحِيًا لِلَّهِ ، أَوْ عَانَا لَوَالِدَتِي ،
بَلْ أَنَا خَاضِعٌ مُتَوَاضِعٌ .

رَوَى أَنَّهُ قَالَ : أَنَا لَيْنُ الْقَلْبِ ، ضَعِيفٌ فِي نَفْسِي . وَكَانَ بِأَكْلِ الشَّجَرِ ، وَيَلْبَسُ
الشَّعْرَ ، وَيَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَأْوِي حَيْثُ جَنَهُ الْقَوْمُ . وَلَا مَسْكَنَ .

قَالَ بَعْضُ : لَا تَجِدُ الْعَاقَ إِلَّا جَبَارًا شَنِئًا . وَتَلَا الْآيَةَ .

وقيل : الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ بِالشَّقَى : مَنْ يَذْنُبُ وَلَا يَتُوبُ عَنِ الشَّرِّ .

(وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ) عِنْدَ الْوِلَادَةِ مِنْ طَعْنِ الشَّيْطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وعن بعض : إنما ولدته من خاصرتها . وبعض : من إبطها .
 وأل العهد الذكري أي والسلام الوجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه
 إلى . وذلك لإطلاعه على أن ذلك كان يحيى وأن له مثله .
 والصحيح أنها الجنس ، جبل جنس السلام لنفسه ، ترضى بأن جنس الأمن
 على أعدائه من اليهود ومن أشرك من النصارى وغيرهم ؛ فإن المقام حين هذا
 التبريض ، لكونه مقام عناد . ومثله : « والسلام على من اتبع الهدى » فإنه
 تبريض بأن المذاب على من كذب وتولى .
 وعن الحسن : التقى يحيى وعيسى عليهما السلام فقال يحيى : استغفرلى ؛ أنت
 خير منى .

قال عيسى : استغفرلى ؛ أنت خير منى . سلمت على قصى وسلم الله عليكم .
 (وَيَوْمَ أُمُوتُ) من الشرك . (وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) من أموال القيامة .
 ولا سموا ذلك أذعنوا وقالوا : إن هذا الأمر عظيم . ولم يحكم بعد ذلك حتى
 بلغ أوائل الكلام :

(ذَلِكَ) الذي قال ما قال (عيسى ابن مريم) لا ما تصفه النصارى . وهذا
 تمكذيب لم فبا يصفونه به على الوجه الأبلغ بالطريق البرهاني ؛ حيث جعله
 الموصوف خلاف ما يصفونه .

(قَوْلَ الْحَقِّ) خبر المحذوف ، أي الكلام المذكور قول الحق الذي لا ريب
 فيه . وإحسانه للبيان . وإن شئت قدرت المبدأ ضموا لكلام أراضوا لتمام
 القصة .

ومجوز أن يكون قول خبرا ثانيا لاسم الإشارة ، على أن النفي كلمة الله ،
 وأن يكون لت عيسى أو بده .

وقرأ الحسن : قول الحق بضم التثانف .

وقرأ ابن مسعود : قال الحق بضم اللام ؛ فإنه يقال : القول والقول بفتح التثانين ، والقول بضمهما كالرهب بفتح الإسكان وبفتحهم ، كما أن القال أصله القول بفتحتين ، قلبت الواو ألفا والرهب بضم الإسكان .

وقرأ عاصم وابن عاصم وابن عباس قيل : ويعقوب : قول الحق بالنصب . وعن ابن مسعود قال : الحق بالنصب أيضا . والنصب قيل : على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ، إن أريد قول للثبات والصدق ، وإن قلنا : الحق الله . وكأنه قيل : كلمة الله فالنصب على المدح . ويجوز النصب على المدح عندي ولو أريد بالحق للثبات والصدق .

ولما قيل ليدعى عليه السلام : قول الحق وكلمة الله ؛ لأنه ولد بقوله عز وجل : كن ، من غير واسطة أب تسمية للسبب باسم السبب . وإذا أريد بقول الحق عيسى فالحق الله أو الصدق .

قيل : وبضد هذا قوله : (الَّذِي فِيهِ) أى فى أسفه (يَمْتَرُونَ) أى أمره حق يقين ، وهم فيه شاكون . والامتراء : للشك أو الجدل . قالت اليهود : ساحر كذاب . وقالت النصارى : الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة .

وقرأ على تمترون بالثناة الموقية على الخطاب . وعن أبيه : قول الحق الذى كان الناس فيه يمترون .

(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تكذيب لمن يقول من النصارى : هو ابن الله .

(إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) تكلمت لهم بأن من إنا

أراد إحداث أمر أوجبه بقوله : كن ، منزه عن شبه الخلق ومن الحاجة ، في اتخاذ الولد ؛ بإحمال الإناث ؛ إذ من المحال الواضح أن تكون حاله كذا من ينشأ منه الولد .

وقول كن حقيقة ، يخلق الله لفظ كن في الهواء ، ونحيث شاء ، أو مجاز على أن المراد أن إرادته الشيء يقبها كونه من غير توقف . وهذا مذهبنا وبقويه : أنه يقول لأول مخلوق : كن وليس حينئذ مخلوق ولا هواء يخلق فيه كن . وقيل : الهواء عدم والعدم لا يصلح أن يكون ظرفاً لقول والختم نقول : له ما يخلق فيها شاء إذا أوجد ما يخلق فيه . والقاء للمطاف على يقول أو للاستثناف إن قلنا : إنه يأتي القاء للاستثناف كالواو .

وقرأ ابن عامر بالنصب . قال القاضي : هو على الجواب أنه جواب الأمر وهو كن . وفيه أنه ليس منحرفاً عن سلك القول فإنه ليس بمنحرفاً عنه إذا أراد شيئاً وقال : كن . ولعل النصب عطף على مصدر متقدر معنى أي قلنا أمره القول كن فيمطف مصدر يكون على القول على الخاء وليس جهالة وتقرصه . ويأتي إن شاء الله مزيد كلام .

﴿ وَإِنْ أَفْتَرَىٰ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا الَّذِي كُورَ ﴾ (الحسين ط) طرين بها (مُسْتَقِيمٌ) مُزِدُ الْإِنِ الْجَنَّةِ وَالْإِنِ مِنْ كَلَامٍ مَعْنَى تَعْلِيمِ الْإِسْلَامِ وَالْإِنِ الْجَزْأُ الْمُتَقَدِّمَةُ قَبْلَ أَنْ تَمُتَ بِمَعْنَى زَائِدَةٌ وَيَجُوزُ لِلْمَطَفِ عَلَى الْفَسْلَةِ وَالْوَكَاةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى تَقْدِيرِ : اذْكَرْ ، فَلَا تَقْدِرُ الْإِلَاحَ .

وقرأ الكوفيون وابن عامر بكسرة الهمزة على الاستثناف . وقرأ أبي بالكسر وإسقاط الواو . وقيل في قراءة الفتح العطف على الكتاب . وقيل في الكسر : إن ذلك من تمام ما أمر به محمد ﷺ أي يقول .

(فَخُتِلَتِ الْأَحْزَابُ) الَّذِينَ نَحَرُّوا (مِنْ بَيْنِهِمْ) كَانُوا أَحْزَابًا فِي أَسْمَى
عِيسَى . قَالَتِ الْيَهُودُ : إِنَّهُ مِنْ زَنَافِلِهِ كَاذِبٌ ، حَاشَاكَ وَاللَّهُ .
وَقَالَتِ النَّصَارَى : إِنَّهُ ، أَوْ أَبْنَاهُ ، أَوْ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ فِرْقُ النَّصَارَى قَالَتِ الْفِرْقَانُ مِنْهُمْ : إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ، تَعَالَى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

وَقَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ : هُوَ اللَّهُ هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ .
وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ، نَبِيِّهِ .

وَمِنْ قِتَادَةٍ : جَمَعَ بَنُو إِسْرَئِيلَ أَرْسَةً أَحْبَارَ مِنْهُمْ غَايَةَ فِي الْمَكَاثَةِ وَالْجَلَالَةِ
وَطَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَبَيِّنُوا أَسْمَى عِيسَى فَقَالَ أَحَدُهُمْ : عِيسَى هُوَ اللَّهُ . قَالَ لَهُ الثَّلَاثَةُ :
كَذِبْتَ ، وَاتَّبَعَهُ الْيَهُودِيَّةُ .

وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : هُوَ اللَّهُ هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ فَخَلَقَ مَا خَلَقَ وَأَوْسَى مَا أَوْسَى .
ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ فَكَذَّبَهُ الثَّلَاثَةُ . ثُمَّ قِيلَ لِلثَّلَاثَةِ فَقَالَ وَاحِدُهُمْ : هُوَ ابْنُ اللَّهِ .
وَقَالَ الْآخَرَانِ : كَذِبْتَ وَاتَّبَعَهُ النَّصَارَى . ثُمَّ قِيلَ لِلآخَرَيْنِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : أَحَدُ
ثَلَاثَةٍ : اللَّهُ إِنَّهُ وَعِيسَى إِنَّهُ وَسَمِيعُ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ الرَّابِعُ ، كَذِبْتَ وَاتَّبَعَهُ
الْإِسْرَائِيلِيَّةُ مِنَ النَّصَارَى . فَقِيلَ لِلرَّابِعِ قَوْلٌ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ أَتَمَّهَا إِلَى
سَمِيعٍ وَنَبِيٍّ قَوْمٍ ، وَهُمْ الْخَفِيُّونَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَقَالُوا لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ أَوْ قَوْلٌ لَهُمْ
الرَّابِعُ وَحْدَهُ : نَفَاشِدُكُمْ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى كَانَ بِأَكْلِ الطَّامِ ، وَأَنَّ اللَّهَ
لَا يَطْعَمُ ؟

قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ .

قَالَ : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى كَانَ يَنَامُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ ؟

قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَجَبَّهَمُ فَاقْتَتَلُوا .

تقول : إن اليمانية ظهرت يومئذ على المسلمين وغيرهم ما نزل الله : « إن الذين يكفرون بآلات الله وقتلون النبيين بغير حق » .

(قَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يوم القيامة ، والشهد مصدر ميمي ، أى من حضورهم لهول ذلك اليوم وحسابه وجزائه ، أو اسم زمان ، أى من وقت حضورهم له ، أو اسم مكان ، أى من مكان حضورهم في ذلك اليوم . أو مصدر ميمي مضاف لما هو فاعل مسمى ، أى من شهادة ذلك اليوم عليه . وإسناد الشهادة مجزئ في الإسناد ، أو مجاز بقدير مضاف ؛ لأن الشاهد لللائكة والأنبياء والستهم وأرجلهم ، أو اسم زمان ، أو اسم مكان على إسناد للشهادة اليوم . أو مصدر مسمى ، على أن اللغى من ضم ذهم على عيسى وأمه ، أو مصدر ميمي بمعنى اسم مفعول ، على معنى ما شهدوا به على عيسى وأمه .

(أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) الهاء فاعل أسمع خبر بالياء المحيى فعله على حقيقة الأمر ، وأبصر مثل أسمع لكن فاعله محذوف ، أى أبصر بهم ، دلالة ما قبله ، والفتلان تعجب مصر ونا إلى المخلوق أى تعجب من إحصاءهم وسمهم يومئذ بعد ما كانوا صاعقيا في الدنيا .

وتقول : معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون ، مما يسوؤهم ويشقى قلوبهم . وتقول : إنهما فعلا أمر مستقر فاعلاهما ، والجار والجرور المذكوران والتقديران فضلات . والصحيح الأول ، وعليه ابن هشام .

قال الشيخ خالد : وإنما حذف لاهل مع كونه فاعلا لأن لزومه للجبر كسأه صورة التلمية ، خلافا للفارسي وجماعة ، ذهبوا إلى أنه لم يحذف ولكنه مستقر في الفعل حين حذف الباء كما في قولك : زيد كفى كأنها أصله كفى به كأنها .

ورده ابن مالك بوجهين : أحدهما لزوم إبرازه سيئته في القضية والجمع .

والثاني : أن من اعتار ما لا يقبل الاستتار كُنا من أكرم بسا . انتهى كلام الشيخ خاله .

وقد يجاب بأن عدم إرازه لإلحائه بضمه أنفل في نحو ما أحسن زيدا . فكما لم يجمع ولم يثن نبا أصل كذلك في أنفل به ، لاتفاق الفعلين في المعى ، ولكونه في تركيب جرى مجرى المثل فلا ينفرد . وبأن لفارضى أن لزوم اعتناع الاستتار في نحو : أكرم بها ، ويخص الاستتار بنحوه .
(يَوْمَ يَأْتُونَنَا) هو يوم القيامة .

(لَكِنَّ الظَّالِمُونَ) المشركون والمعاذون .

وقيل : المراد من سبق ذكره ، ووضع الظاهر موضع المضمحل إشمارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم ، حوث غفلوا عن الاستماع والنظر حين يذم ذلك (اليوم) في الدنيا . (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) عن الحق وهو ترك الاستماع والنظر .
وقيل : لليوم يوم القيامة قرن بال لقي الحضور لأنه المسمى وقوعه ، كأنه حاضر أو آل فيه للمهد الذي أى م في ضلال عن طرق الجنة بخلاف المؤمنين .

(وَأَنْذِرْهُمْ) خوف لا محمد كفار مكة . يزعم زويعم أن الإنذار منسوخ بآية السيف (يَوْمَ الْكُفْرَةِ) يوم يتمصر الكفار كلهم ، المسمى على إساءته ، والحسن على قلة إحسانه .

وقيل : المراد يتمصر الكفار على فوات منزله في الجنة ، والصحيح الأول .
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : ما من أحد يموت إلا ندم . قالوا : وما ندمه يا رسول الله ؟ قال : إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسينا ندم أن لا يكون نزع أي كف عن الذنب .

وزعم بعض من أكمل للتصريح أن الحسرة : ذبح الموت . من أبي سعيد عنه **عليه السلام** : يؤتى بالموت على صورة كبش أبيض ، أى مختلط بينا وبين سواد ، ويميل على سور بين الجنة والنار ، فيناديهم مناد : يا أهل الجنة يا أهل النار فيشرفون أى يمدون أيديهم ينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقول : نعم هو الموت . وفى رواية : ينادى أهل الجنة : هل تعرفون هذا ؟ فيقول : نعم ثم أهل النار كذلك ، فيذبح على السور . فيقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت . فلو أن أحد مات فرحاً مات أهل الجنة . ولو أن أحد مات حزناً مات أهل النار ، ويزداد أهل الجنة فرحاً ، وأهل النار حزناً ثم قرأ : « وأندرم يوم الحسرة » .

(إذ) بدل من يوم أو معلق بالحسرة . (قضى الأمر) فرغ من الحساب ، هذا إلى الجنة ، وذلك إلى النار ، أو قضى لم العذاب مع الخلود ، وذبح الموت . ويموز أن يراد بالحسرة الجنس ؛ لأن فى ذلك اليوم حشرات حول للوقف ، وأخذ الصحف بالشمال ، وزفير النار ، وغير ذلك .

وذبح الموت تمثيل من أنه لا موت ؛ فإن الموت هو زوال الحياة ، عرض لا جسم ، فضلاً عن أن يكون فى صورة كبش ، أو يخلق الله جسماً يذبح حقيقة ، أو يراد الله العرض جسماً ، والقدرة سالحة ذلك . ومشهور مذهب اللغ من ذلك (وَمْ فى غَالَةٍ) فى الدنيا من ذلك اليوم .

والجلة حال من ضمير الاستمرار فى قوله : « فى ضلالٍ » وما بينهما اعتراض . وقيل : مستأفة . وقيل : حال من هاء أنذرم ، فيها معنى التلليل . وكذا الكلام فى قوله : (وَمْ لَا يُؤْمِنُونَ) بذلك اليوم ، لكن هذه الجلة إما تكون حالاً بواسطة العطف . ويموز كون واوها للحال ، وصاحب الحال ضمير الاستمرار فى قوله : « فى غَالَةٍ » .

(إِنَّا نَحْنُ قَرِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْنَا) من القلاء . وغهم ، كغاية من بقاءه بلا غاية بعد فناء خلقه . والمراد نعمتهم ونحزب ديارهم وأموالهم ، أو نفى أجسادهم والأرض وما فيها .

(وَإِنَّا) لا إلى عهدنا (يُرْجَوْنَ) لنجازهم بما عملوا .
(وَاذْكُرْ) ائذ بلسانك وأشهر لهم ، وإلا فأنه هو الذي ذكر (فِي الْكِتَابِ) القرآن . (إِبْرَاهِيمَ) أي اسمه .

(إِيَّاهُ كَانَ صِدْقًا نَبِيًّا) الصَّدِّيق : ملازم الصدق ، أو كثير الصدق ؛ لكثرة ما صدق من غيوب الله وآياته وكعبه ورسله . وهو بناء مبالغة كما شكمت والنطيق والمصنك .

والصَّدِّيقية : قرينة من النبوة . وملاك أمر النبوة الصدق . ولذا أعقب بذكر النبوة .

وعن بعض : أن من صدق الله في وحدانيته ، وصدق أنبياءه ورسله والبهت ، وعمل بالأوامر وهو صدق .

وقال الشيخ إسماعيل - رحمه الله - : الصَّدِّيق : مَنْ صدَّق قولاً ونهياً وإرادة وعزماً ووفاء بالهدى وعملاً ، وصدق في تحقيق مقامات الدين .

(إِذْ) بدل من إبراهيم وما بينهما مقترض ، كقولك : رأيت زيدا - ونعم الرجل - أخاك إبدال الأخ من زيدا . ومتعلق بكان أو بعديقا أو بنبيها .

(قَالَ لِأَيِّهِ) آزر : (يَا أَبَتِ) التنا . عوض من ياء الإسماعية . ولذلك لا يقل : يا أبتى ويقل : يا أبنا . وإنما يذكر ذلك استعطافاً ولذا كرر . قاله القاضى .

قلت : لا يقل : يا أبتى لتلا يجمع بين العوض والمعوذ عنه كما هو مشهور .

قيل : ويقال : يا أبتا لعدم الجمع بين ذلك ؛ إذ الألف بدل من الهاء لا من التاء .

وأقول : هذا أيضا جمع بين الموض والموض عنه ؛ فإن التاء عوض من الياء والألف بدل من الهاء فكأنه جمع بين الهاء والتاء . نعم لم يجمع بين لفظ الياء ولفظ التاء .

وقد يقال : يا أبتى بالياء وهو ضرورة خلافا لكثير من الكونيين ويا أبتا أسهل لذهاب صورة الموض عنه .

وقال ابن مالك : الألف في يا أبتا ليست بدل ياء بل هي الألف التي يوصل بها آخر المندوب والنادى البعيد والنفكرة .

(لَمْ تَعْبُدْ) استغفار للإنكار والتوبيخ (مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ) يجوز أن يحمل نفي السمع والإبصار على كل السموعات والمرئيات .

(وَلَا يُفِي عَنكَ شَيْئًا) من الأشياء ، فلا يجلب لك نقما ولا يدفع عنك ضررا .

وكان إبراهيم جامعا لخصائص الصّديّين والأنبياء حين خاطب أباه بذلك الخطابات . وذلك أن أباه يعبد الأصنام ، فدعاه إلى الهدى وبين ضلّاه ، واحتج عليه بأبلغ احتجاج ، وأرشده برقى وحسن أدب ، حيث لم يصرح بضلّاه ، بل طلب الهدى التي تدعوه إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ، ويأبى الركون إليه ، فضلا عن عبادته التي هي غاية التنظيم ، ولا تحقق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام التام ، وهو الخالق الرزاق المحيي للميت للعاقب المتيب .

ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح . والمعبود ولو كان حيا مميزا سمهما بصيرا نائما ضارا المكذبة مخلوق ، لا تستكشف العاقل عن عبادته . وإن كان أشرف الخلق كاللائكة والنبیین ؛ لأنه يراه مثله في الحاجة والافتقاد إلى القدرة الواجبة ، فكيف إذا كان جادا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ؟ ذكره الزعزعي .

وذكر من أبي هريرة عنه رضي الله عنه : أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام : إنك خليلي ، حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار ؛ فإن كلني سبقت لمن حسن خلقه ، أظله تحت عرشى ، وأسكنه حظوة القدس ، وأدنيه من جوارى .

(يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ) بالله .

وقيل : من النبوة (مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي) على ديني (أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) مستقيما ، يوصلك إلى خير دائم ، وينجيك من عذاب مؤلم . ثم أكد ذلك بصيغة أخرى زاجرة له عما هو فيه فقال : (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) أي لا تطعه .

ولا أبت : دعاء ثابث لأبيه وزجر عما هو فيه ؛ فإن عبادة الأصنام مع خلوها عن نفع مستقلة للضر ؛ فإنها عبادة للشيطان ، لحبه إياها وأمره بها . وبين الضر بأن الشيطان مستمع على ربك المولى بالنعم كلها كما قال :

(إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) كثير العصيان ، ومطيع للعاصي الحارب حاص محارب ، مع أنه للشيطان هو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ، وعدو أبيك آدم .

لكن إبراهيم عليه السلام لإيمانه في الإخلاص ، وارتقاء همته في الربانية ،

لم يذكر هذه الجذابة ، أعني الجذابة بالخلق ، وذكر الجذابة برب العزة ، وهي حصيانه ، كأن نظره في عظم ما ارتكب في جنب الله غمر فكره ، وانطلق على ذهنه ، مع أن هذه الجذابة شاملة للجذابة في جنب الخلق وأصل لها . والشيطان الذي استعصى على ربك هو الذي ورطك في الضلالة ، لينضب عليك ربك ، وينفتم ، ويزيل عنك النعم . كما قال :

(يَا أَبَتِ إِنِّي) وسكن إلياء عند الحرميين وأبي بكر (أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ) يصيبك (عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) قريباً في الأمن أو العذاب في النار ، تليه أو يليك أو نائباً موالاة ؛ فإن كونه من أشباع الشيطان أكبر من العذاب ، كما أن رضوان الله أكبر من الثواب .

استهجن إبراهيم عليه السلام على أبيه عبادة الأصنام ، وزجره عنها ، وخوفه سوء العاقبة بالطف وجهه ، حيث عبّر بقوله : يا أبت وكرره . وذلك دليل على شدة الحب ، والرغبة في صرته عن العقاب ، وحيث لم يعصرح بأن العذاب لاحق له ، بل عبّر بالخوف ، وحيث عبّر بالأس الذي هو في العذاب بحسب الظاهر كالذوق في الأكل ، وحيث عبّر بمذاب نكرة كأنه قال بعض العذاب ، وغير ذلك مما مر ، كالتعبير بولاية الشيطان .

والخوف بمعنى العلم قالة الطبري . أو على ظاهره ، أي إن أصردت على الكفر دخلت النار . وإلا فالجنة . كأنه قال : إن أخاف أن تموت على كفرك فتدخل النار .

ورجّحه بعض وقال : إنه في وقت التسالة جاهل للعاقبة لم يكن آيساً من إيمانه . والرفق واجب على كل أحد في مقام الرفق ، ولا سيما من هو نبي ، ولا سيما مع الأب .

(قَالَ) أبوه (أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) أنارك أنت عبادتها
فتعيبها .

والاستفهام توبيخ وإنكار وتعجيب ، يعني أن ألقى ما ينبغي أن ترغب
عنها . وفي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ ما كان يلقي من مثل ذلك من
كفار قومه .

وشتان ما بين إبراهيم وأبيه ؛ فإن إبراهيم عليه السلام على الحق ، وقد
تسطف وتلطف لأبيه ما تلوته عليك . وأما أبوه فقابلته بالفظاظة وغلظة العناد ،
فناداه باسمه ولم يقل : يا بني أو يا بني ، وأخره ، وقدم الرغبة اعتناء بمظم أمرها
عنده . وراغب خبر ، وأنت مبتدأ ، وعن ألقى متعلق برغبت محذوف
لا براغب ، لتلا يلزم الفصل بأجنبي بين العامل والمعمول . والأجنبي هو أنت .
قاله ابن هشام بمعناه .

والظاهر عندي جواز هذا الفصل ، فيجوز تمليقه براغب . ويجوز كون راغب
مبتدأ وأنت فاعل أغنى عن الخبر . وعن متعلق براغب .
واعترض : بأن هذا الوصف كالقفل والضمير المرتفع بالفعل لا ينفصل
بغير موجب .

وأجاب ابن هشام : بأنه لو لم ينفصل لاستتر فيجهل للغي ، بخلاف الفعل ؛
فإنه يبرز معه مفعلا ، ولأن طلب الوصف لمعوله دون طلب الفعل لمعوله ، فاحتمل
معه للفعل وبأن مرفوع الوصف سد مسد واجب للفعل وهو الخبر .
(أَيْنَ أَمْ تَلْتَمِزُ) عن سب ألقينا والرغبة عنها . (لَأَرْجُئَنَّكَ) قال الحسن :
بالججارة .

وعن فرقة : لأفعلنك . والتولان قيل : بمعنى :

ومن ابن عباس : لأضربك . فله أراد بالضرب بالحجارة .

ومن الضحك : لأرجحك بالقول القبيح . فالمراد الشتم .

والظاهر عندي : أن مراد الحسن الطرد بالحجارة ، ومراد الفرقة إثباته ورجعه حتى يموت كما نفعل نحن بإزائي المحسن .

وقيل : المعنى لأبعدك عني .

(وَأَهْجُرْنِي) اللطف على محذوف دل عليه الرفع ، أى فاحذرنى واهجرنى

أى تباعد عني قبل أن أقتلك ، أو أن أقتلك بالضرب حتى لا تستطيع النهوض .

وعن ابن عباس : اهتزلنى سالماً لا تصيبك منى معرة .

قال النعماني : إذا قلنا : المعنى لأقتلك . فالمراد اهجرنى مع الانتهاء .

(مَلِيًّا) دهرأ طويلاً من الملاوة بضم الميم وفقحها وكسرها ، وهى الحين .

ومنه : اللون : الليل والنهار ، أو هجراً ملياً ، أى طويلاً .

وقيل : اهجرنى ملياً بالتحاب منى .

وقيل : اهجرنى سالماً .

ويجوز تدوير القول أى وقال : اهجرنى .

ويجوز اللطف على القول قبله . فانهم .

(قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ) لا أجازيك ولا أصيبك بمكروه . وذلك أنه لم يؤمر

بقتاله ، وفى ذلك توديع ومذارة ومقابلة السيئة بالحسنة ، وخطابٌ حلیم لسفيه ،

كقوله عز وجل : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغْغِي الْجَا لِينَ » .

« وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » وفيه دليل المجازاة والمقارعة .

ولعل : ذلك سلام تحية .

والجمهور الآن على منع إبدائك الكافر بالسلام .

ويجوز أن يكون نية كما قال غير الجمهور؛ فإن الدعاء بالسلامة ليس بأشد من الاستغفار الذي وعده ووفى به ، وقصده بالنية استجابة قلبه .

(سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي) سَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُوَفِّقَكَ للتوبة والإيمان فيتناول المغفرة وذلك حين أعياء أمره . وقد وُفِيَ بوعده بقوله المذكور في الشعراء : « واغفر لأبي » وهذا قبل أن يبين لإبراهيم بالوحي ، أو بالموت على الكفر أنه عدو لله .

وفي الآية دليل على جواز الدعاء بالتوبة ، والمداية للكافر ما لم يموت على الكفر ، أو ينزل فيه النعم على أنه شقي . وللشهور الممعة .

وأما أن يقال : اللهم اغفر ذنوب فلان الكافر فلا يجوز .

فيل : إلا على شريطة التوبة عن الكفر ، وذلك ولاية الشريعة ، وهي وبراءة الشريعة غير جائزتين عندنا ، وهما من عمل بهما الآن ، وأجازها بعض أصحابنا المشاركة .

وقد حل بعضهم الآية على استغفاره لذنوب أبيه مشروطا بالتوبة ، كما ترد الأوامر والنواهي على الكفار . والمراد اشتراط الإيمان وكما يؤسر الحديث بالصلاة ويراد اشتراط الوضوء . ويؤسر التفتيح بالزكاة ويراد اشتراط النصاب .

وقيل : وعده بالاستغفار ووفى ؛ لأن محله لم يمنع من ذلك . وهذا إيماء إلى أن الأشياء قبل ورود الشرع فيها على الحل ، إلا ما يكون فيه من منافي الخلق ، ونفعه من محاسنها .

ولما ورد الشرع بامتناع الاستغفار للكافر امتنع قل عز وعلا : « إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك » فلو كان إبراهيم قبل شارطا للإيمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الأسرة .

(إِنَّهُ كَانَ مِنْ خَلْقٍ) للهاء معلقة بما بعدها . والحق : القار .

وقيل : البليغ في البر والالطاف .

وعن الكلبي - الحفي : الرحيم .

وقيل : اللطيف .

وقيل : ذو المنزلة ، أي هو بي حفي فيجيب دعائي ولا يرده ، وقد عودني

الإجابة .

وفي ذلك شكر من إبراهيم عليه السلام لاسم الله تعالى .

(وَأَنْتَزِلُّكُمْ) من أرض كوثا إلى الشام مهاجراً بدني .

(وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي ما تعبدون من دون الله .

والدعاء : العبادة لأنه منها ومن وسائلها قال عليه السلام : الدعاء هو العبادة .

وبدل له قوله : « فلما اعتزلهم وما يعبدون » .

ويحوز أن يريد الدعاء الذي في الشراء .

(وَأَدْعُوا رَبِّي) أعبد .

(عَمَى الْأَاكْرُنْ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا) خائباً ضائع السعي في العبادة مثلكم

في دعاء آلهكم .

ومرافه عسى أن أسعد وأنجو من المذاب اللازم لكم ، ولكنه عرض لهم

بشقاوتهم بدعاء آلهكم . وعبر بمعنى تواضعاً وعضماً للنفس وتنبيهاً على أن إجابة

الدعاء وقبول العبادة والإثابة عليها غير واجبة وأن ممالك الأمر خائمه .

(فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)

ولدين له ، يأنس بهما من وحشة فراق وطنه وقومه ، وشدة عضده بهما . أما إسحاق

فابنه ، وأما يعقوب فابن ابنه . وإسحاق أصغر من إسماعيل .

روى أن هاجر حملت بإسماعيل ففارت سارة فحملت بإسحاق ، أي مالت

للحمل ونسبت فيه فانظره .

(وَكَلَّا) من إسحاق يعقوب أو منهما ومن إبراهيم .
(جَعَلْنَا نَبِيًّا) تفضلاً منا .

(وَوَعَدْنَا لَهُمُ) الثلاثة . وهذا يتوهم أن المراد بالكلمة الثلاثة ؛ لأنه الأنسب ، ولو جاز أن يراد بها إسحاق . وكذا قيل يعقوب وبضمير الجمع الثلاثة أو الاثنين تعبيراً عنهما بضمير الجمع .

(مِنْ رَحْمَتِنَا) النبوة والأموال والأولاد ببسط .

والأولى أن يراد هبة الأموال والأولاد فقط ؛ لا تقدم ذكر النبوة ، إلا إن أريد تجديد ذكرها أنها هبة . فافهم .

وقيل : المراد للعلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم في الآخرة . والظاهر أن المراد جميع ما ذكر .

(وَجَعَلْنَا لَهُمُ إِسْآنَ صِدْقٍ عَٰلِيًّا) جعلنا لهم في الناس ذكراً رافعاً ، يفتنون عليهم بخبر ويمجدونهم ، وهم أحماء بذلك ، كما يدل عليه إضافة الاسم للصدق . ومحامد لا تخفى ولا تقطع ، على تباعد الأحصار ، ونحو الدول ، وتهدل للذل . وترى كل ملة تنسب إليهم . وقد أجاب الله دعاءه : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » وأطلق العنان على الذكر لأنه واسطة .

وروي أن أول ما نزل من أرض الشام بقربة اسمها حران . وتزوج سارة ، وولدت له إسحاق ، وولد من إسحاق يعقوب . وخصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء ، أولاً لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الأفراد .

(وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى) تشریفاً (إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) موحداً لله ، أخلص عباده عن الشرك والزنا ، وأخلص نفسه له ، وأسلم وجهه له . ونفع الكافرين واللام ، أي أخلصه الله من الدنس واصطفاه .

(وَكَانَ رَسُولًا) إِلَى الْخَلْقِ . (نَبِيًّا) قِيلَ : اللَّغَى : أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ فَأَنْبَأَهُمْ عَنْهُ . وَقَدْ لَكَ قَدَمُ الْعِنْفَةِ الْخَاصَّةِ ، وَهِيَ الرِّسَالَةُ ، وَأَخْرَجَ الْعَامَّةَ ؛ فَإِنَّ الرُّسُولَ : مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ ، وَأَسْرَأَ بِالْعَلِيْقِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ كِتَابٌ . وَاللَّغَى : مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ وَلَوْ لَمْ يُوَسِّرْ .

وقيل : الرسول : الذي معه كتاب من الأنبياء ، وأن الذي من لم يكن معه كتاب كعوشع .

(وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) مِنْ جِهَةِ جَبَلِ بَيْنَ مِصْرَ وَمَدْيَنَ يُسَمَّى الطُّورَ . وَذَلِكَ حِينَ أَقْبَلَ مِنْ مَدْيَنَ ، وَرَأَى النَّارَ (الْأَيْمَنَ) نَتَّ لْجَانِبِ . وَيَجُوزُ كَوْنُهُ نَتًّا لِلطُّورِ . وَالْوَاضِحُ الْأَوَّلُ ، أَيْ نَادَيْنَاهُ مِنْ جِهَةِ الْيَمَنِ . وَهِيَ أَيْضًا جِهَةُ يَمْنَى لِمَوْسَى . وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ جِهَةً يَمِينَهُ إِلَى الطُّورِ ، وَإِلَّا فَالْجَبَلُ نَفْسُهُ لَا يَمِينُ لَهُ وَلَا يَسَارُ .

ويجوز أن يكون الأيمن من اليمين وهو للبركة ، فلا إشكال في جواز كونه نعتًا للطور ، بل هو أولى بما قيل .

(وَقَرَّبْنَاهُ) أَيْ شَرَفْنَاهُ . فَاتَّقَرَّبَ تَقَرُّبَ تَشْرِيفٍ كَمَنْ قَرَّبَهُ عَظِيمُ الْمُنَاجَاةِ حَيْثُ كُلُّهُ بِلَا وَاسِطَةٍ مَلَكَ .

قال أبو العالية : قَرَّبَهُ حَتَّى سَمِعَ صَرِيرَ التَّلَمِ الَّذِي كَعَبَتْ بِهِ التَّوْرَةُ ، خَلَقَ لَهُ كَلَامًا فِي الْمَوَاءِ أَوْ فِي الشَّجَرَةِ أَوْ غَيْرِهَا نَفْسَهُ .

(تَجِيًّا) مُنَاجِيَا ، حَالٌ مِنْ إِحْدَى الْمَاءِيَةِ أَوْ مِنْ نَا . وَإِنَّمَا صَلَحَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُصْدَرٌ بِمَعْنَى اسْمٍ فَاعِلٍ ، فَيَقْدَرُ بِمُنَاجِيَا ، إِذَا جِئِلَ حَالًا مِنْ نَا .

وقيل : معناه مرتفعًا ، مِنَ النُّجُومِ ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ ، فَهُوَ وَصْفٌ لَا مُصْدَرٌ ، فَيَكُونُ حَالٌ مِنْ إِحْدَى الْمَاءِيَةِ لَا غَيْرَ .

روى أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم . ومحمّل أن هذا من آراء
أبي العالمة .

(وَوَعَدْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) من الفعلل أو التبعيض أو للابتداء . (أَخَاهُ)
أى معاضدة أخيه ومؤازرته ، وإلا فنهارون أكبر من موسى سناً .

قال ابن عباس : وقعت المحبة على معاضدة هارون له ومؤازرته لكبره .
وفى ذلك إجابة لدعائه : « واجعل لى وزيراً من أهلى » وهو مقبول .

وقيل : إن جلست من التبعيض فهو بدل منها ومن مجرورها . وقيل منها
بداء على أن من التبعيض اسم مضاف لما بعده (هَارُونَ) بدل أو عطاف بيان
(نَبِيًّا) حال من الأخ . وعن بعض أنه وهب له مؤازرة هارون ومشاركته
فى العبادة .

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) وكل الأنبياء
كذلك ، لكن إسماعيل أبلغ فى الصدق فبأقل . والصدق أشهر أوصافه ،
لم يعد شيئاً إلا وفى به واحاط .

وقيل : لقبه بصادق الوعد تشريفاً وتكريماً . روى أنه وعد صاحباً له
فانتظره إلى ثلاثة أيام .

ومن ابن عباس : انتظره فى مكان الوعد سنة حتى جاءه فى المكان .
وقيل : انتظره يوماً وليلة فجاء الرجل . وقد انتظر نبيينا ﷺ صاحباً له فى
الوعد يوماً وليلة قبل البعثة .

« وروى أنه قال : لو لم تأت لكان حشرى من هاهنا . »

ومن شدة صدقه فى الوعد أنه وعد الصبر للذبح فوق .

وسئل النبي عن رجل وعد ميماء إلى أى وقت ينتظر ؟

قال : إن وعد نهارا فكل النهار ، أو ليلا فكل الليل .

وسئل بعض قتال : من ذلك الوقت إلى مثله خدا .

قيل : أسوأ الكذب خلف الوعد ، ورمى البرى .

(وَكَانَ رَسُولًا) إلى جُرم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم

إسماعيل بوادي مكة وهو جرم بن يرب بن قحطان بن عاصم بن سابع وقحطان

أبو قهاثل اليمن .

وقيل : لا عربية إلا من إسماعيل . وهو أبو العرب واليمن والمضاربة ترجع

إليه . وهو الذبيح في قول الجمهور الراجح ؛ لقوله : « ومن وراء إسحاق يعقوب »

كيف يؤمن بذبح وه بُشِّر أبوه بأن سيكون منه وه ولأن أسر الذبح كان بمنى

وإسحاق دخل البلد ورجع وإسماعيل نشأ به وكان أبوه إبراهيم يزوره على البراق

من الشام ورجع من يومه ، وهو منكب الأنبياء .

وإسماعيل جد نبيينا ﷺ قال : أنا ابن الذبيحين . أجل ما أبواه : عبد الله

نذر أبوه : إن رزقه الله عشرة أولاد ذبح لله واحداً فخرجت القرعة على عبد الله

والآخر إسماعيل عليه السلام (نبيًا) وازم من ذلك أن الرسول لا يزم أن يكون

صاحب شريعة ؛ فإن أولاد إبراهيم كانوا على شريعته .

(وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) ثم يأمر غدهم ليحصل أهله قدوة

من وراءهم . ومن حق الصالح ألا يألف نصيباً للأجانب فضلاً عن الأقارب .

ويجب على الإنسان أن يهذب نفسه بالسلم والعمل فأهله تأمل بعده فأقرب

البلدان إليه وهكذا . قال سبحانه وتعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » « وأمر

أهلك بالصلاة » « قوا أنفسكم وأهليكم نارا » .

وقال الحسن : أهله : قومه ؛ لأن أمم الأنبياء في عداد أهلهم ويضد قراءة

ابن مسعود : وكان يأمر قومه .

(وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) رضيه واصطفاه للطاعة والعبادة والرسالة . وأصله مرضوي كمرضوب ، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ، وقلبت الضمة كسرة . والصحيح أن لأمه واو بدليل الرضوان فأصله "مرضو" بضم الميم والضاد وتشديد الواو ، قلبت ياء وقلبت الضمة كسرة وأما رضى فأصله رَضِيَ وقلب الواو ياء لكسرة قبلها .

(وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ) هو خنوخ . وقيل : أخنوخ وهو سبط شيث . وجدّ نوح . قيل : هو إدريس بن فرد . وقيل : ابن نارد بن مهلايل بن قينان بن نوش بن شيث بن آدم وأمه أشوة قيل : سمى إدريس لكثرة دراسته صحفه الثلاثين . قيل : وصحف آدم . وهو إنييل من المدرس كذا قيل .

واعترض بأنه لو كان إنيلا من المدرس ، وأنه سمى لكثرة المدرس لكان حربيا فلا يمنع الصرف لوجود الملكية وحدها . بل هو مجي ، وبذا منع الصرف . وكذا إبليس مجي وليس من الإبلان كما يزعمون ، ولا يتقرب من العقب ، ولا إسرائيل من العيرال كما زعم ابن السكيت . ومن لم يحقق ولم يتدرب للصناعة فكثرت معه أمثال هذه المنهات . نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من فلك فلقب به لكثرة درسه فحسه الراوى مشتقا من المدرس .

وكان خياطا . وهو أول من خاط ، وأول من خط بالقلم - على قول ، وأول من لبس الثياب ، وكانوا من قبل يلبسون الجلود ، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار ، وأول من نظر في النجوم والحساب ، وأول من أتى السماد والمعدرة في الأرض للحث .

(إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) أى في مكان على وهو

شرف النبوة والزلزنى .

وقال الحسن : الجنة ولا شيء أعلى منها .

ولما أنشد للناطقة الجمدة بحضرة رسول الله ﷺ :

بلنفس السماء مجدنا وسفاونا وإنا انزجو فوق ذلك مظهرنا

قال ﷺ : إلى أين يا أبا ليلى ؟

قال : إلى الجنة إن شاء الله أو قاتل : إن شاء الله هو الذي ﷺ

وقيل : في السماء السابعة .

وقيل : السادسة .

وقيل : الرابعة : وهي رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي

ﷺ أنه رأى إدريس في الرابعة ليلة للمراج وهو حي في أحد تلك المواضع إلى الآن .

قال الثعلبي في عرائس القرآن : سار يوما في حاجة فأصابه حر الشمس .

فقال : يا رب إني مشيت يوما فقاذيت بها فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في كل يوم ! اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها يعفى الملك الموكل بها .

قلت : للمشهور أن الملائكة لامشفة عليهم فكان إدريس لم يطلع على ذلك

فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وزوال حرها ما لا يعرفه إلا الله تعالى :
يا رب خلقتي لجل للشمس فما الذي قضيت في ؟

قال : أما إن مهدى إدريس سألني أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبت به .

إذا قلنا لا يشق عليهم شيء فالإجابة جارية على مقتضى فهم إدريس .

فقال : يا رب أجمع بيني وبينه ، واجعل بيني وبينه خلة فأذن له . وهذا من

الملك رحمة لهذا الذي دعا له ولو كان ثقلها وحرها لا يضرانه لعله يشفقته عليه .

فكان الملك يجالس إدريس .

قال له إدريس : أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك الموت ، وأمكنهم
عنده ، فاشفع لي إليه لئلا يؤخر أجلي فأزدد شكرا وعبادة .

فقال الملك : إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها .
قال : قد علمت ذلك ، ولكذه أطيب لنفسى .

قال : نعم أنا مكلمه لك بما كان يستطيع أن يفعله لأحد من بنى آدم فهو
فاعله لك ثم حمله على جناحه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك
الموت فقال : لى إليك حاجة .

قال : أفضل كل شئ . أستطيعه .

فقال : صديق لى من بنى آدم تشفع بى إليك لتؤخر أجله .

قال : ليس إلى ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه .

فقال : نعم .

فنظر فى ديوانه وأخبره باسمه فقال : إنك كلنى فى رجل ما أراه يموت أبدا .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : إني لأجده يموت عند مطلع الشمس .

قال : إني أتيت به وتركته هناك .

قال : فانطلق فإنه قد مات . والله ما بقى من أجل إدريس شئ .

فرجع الملك فوجده ميتا .

وفى خبر آخر : قال وهب : كان يُرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل

ما يرفع لأهل زمانه ، فتعجب منه الملائكة . واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن

فى زيارته فأذن له . فأتاه فى صورة بنى آدم . وكان إدريس عليه السلام -

يصوم الدهر فلما كان وقت إنظاره دعاء إلى طعامه ، فأبى أن يأكل . ففعل ذلك

ثلاث لىال ، فأنكره إدريس .

وقال إدريس : إني أريد أن أعلم من أنت ؟

قال : أنا ملك الموت ، استأذنت ربّي أن أزورك وأصاحبك ، فأذن لي .

فقال إدريس : لي إليك حاجة .

قال : ما هي ؟

قال : أقبض روحي فأوحى إليّ الله أن أقبض روحه فقبضها . ثم أحياء الله

بعد ساعة . وقال له ملك الموت : ما الفائدة في سؤالك قبض الروح ؟

قال : لأذوق كرب اللوت وغمته . فأكون له أشد استعداداً . ثم قال له :

لي إليك حاجة ؟

قال : ما هي ؟

قال : ترفني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة وإلى النار . فأذن له الله في ذلك .

فلما قرب من النار قال : لي إليك حاجة .

قال : ما هي ؟

قال : تسأل ما لك يفتح لي بابها فأردها ، ففعل .

فقال : فكما أرى النار أرى الجنة فاستفتح ففتح له فأدخله الجنة .

فقال له ملك الموت : اخرج لتعود إلى مقرّك . فتعلق بشجرة فبعث الله ماسكاً

حكماً بينهما فقال له : اخرج . وقال : لا أخرج لأن الله قال : « كل نفس ذائقة

لللوت » وقد ذقته . وقال : « وإن منكم إلا واردها » فقد وردتها . وقال تعالى :

« وما هم منها بمخرجين » فليست أخرج .

فقال الله لملك اللوت : دعه فإنه يذني دخل الجنة وبأسرى يخرج منها . فهو

هناك حتى تارة ينضم في الجنة وتارة يمبد الله في سماء على ما مر . انتهى كلام التعليل

في عرائس القرآن .

وإنما ذكر إدریس تلك الآلات لنزولهن فی صحفه، أو أحله الله بأنهن فی القرآن،
أو أوحى إلیه بمعناهن فعبّر عنه بذلك، أو نسب إلیه ذكرهن مجازاً؛ على أن المراد
أنه لا یتمرض علیه بدخول الجنة؛ لأنه قد فعل ما ذكر فیهن وأنت خیر بأنهم
اختلفوا فی حیاة إدریس .

وقیل : میت ، وهو الخبر الأول .

وقیل : حی ، وهو رواية وهب .

ومن أراد رفع شأنه والقبول عند الناس والسلطان فلیکتب : « واذکر فی
الکتاب إدریس - إلی علیا » فی خرقة حریر أصفر بزعفران محلول بمسل نحل ثم
ینرز علیه ویبعن الشمعة بحمى لبان ویبخر الکتاب به ثم یلقه على نفسه .

(أُولَئِكَ) الأنبياء المذكورون فی السورة مبتدأ خبره قوله : (الَّذِينَ)
وجملة : إذا تلى الخ استئناف لبيان خشيتهم من الله سبحانه وتعالى وإخبارهم له ،
مع ما لهم من علو الطبقة فی شرف النسب ، وكال النفس ، والزانی من الله عز وجل .
أو الذين تابع لأولئك وجملة إذا تلى الخ خبره .

(أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) بأنواع النعم الدينية والدنيوية .

(مِنَ النَّبِيِّينَ) بیان للوصول وقوله : (مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ) بدل من الجار
والجرور قبله .

ویجوز أن تكون من التبعيض فی قوله : « من ذرية آدم » لأن الأنبياء
بعض الذرية والذى من ذرية آدم علیه السلام : إدریس ونوح اقربهما بعض قرب
بالنسبة لغيرهما وإدریس أقرب .

وقیل : المراد إدریس .

(وَیَمُنْ خَلْقًا مَعَ نُوحٍ) فی السفينة أى ومن ذرية من حملنا معه خصوصاً .

والمراد إبراهيم فإنه من ذرية سام بن نوح وهذا المطف وما بعده مطف خاص ؛
فإن الكل من ذرية آدم . وأيضاً الذي هو من ذرية إبراهيم ذرية لنوح والذي
من ذرية إسرائيل هو من ذرية إبراهيم . وفعل ذلك لتبجده الفضل ، وشرف تلك
الأجداد وشهرتهم .

(وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أراد إسماعيل وإسحاق ويعقوب .

(وَإِسْرَائِيلَ) أى ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب ، وأراد موسى وهارون
وزكريا ويحيى وعيسى ؛ فإن أمه من ذرية إسرائيل .
وفيه دليل على أن أولاد النبيات من الذرية ، نزل أوصى الذرية دخلت أولاد
النبيات حيث جازت الوصية ، وكذا الإقرار وغيره .

وللمانع أن يقول : لا دليل هنا لأن هذا من حيث إن عيسى لا أب له ،
فيدخل بأمه ، بخلاف من له أب فاقم .

وقيل : المراد أن ذرية إبراهيم وإسرائيل واحدة وهم موسى وهارون وزكريا
ويحيى وعيسى .

(وَيَمْنٌ هَدَيْتَنَا) إلى الحق مطف على « من النبيين » أو على « من ذرية » .
والأدل أول .

(وَاجْتَبَيْنَا) اصطفيينا للنبوة والكرامة .

(إِذَا تَقَالَى) وقرئ بالفتح .

(عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ) المنزلة . وقيل : الجنة والفسار وغيرها (خَرُّوا)

وقعوا على وجوههم . (سَجَّدًا) جمع ساجد .

(وَبُكِيًّا) جمع بك كاشاهد وشهود وقاعد وقعود. أصله بكوى بكوى بضم الكاف وإسكان الواو وقلبت ياء وأدغمت في الهاء وقلبت الضمة كسرة .
وقالت فرقة : هو معطرد بمعنى الهكاء واختاره الطبري ومكي ، واستدلوا بأن
عمر رضي الله عنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال : هذا المحمود فأين البُكي ؟
يعنى الهكاء .

قلت : يحتمل أن يعنى : أين لها كون ؟
وعنه عليه السلام : اتلوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا .
وعنى صالح المري : قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لى :
يا صالح هذه القراءة فأين الهكاء ؟
وعنى ابن عباس : إذا قرأت سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا
فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه .

وعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للقرآن نزل يحزن فإذا قرأتموه فتعازنوا .
ويستحب أن يدعو فى سجدة التلاوة بما يليق بآيتها . فإن قرأ آية تنزل
للسجدة قال : اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك ، المسبحين بحمدك ، وأعوذ بك
أن أكون من المتكبرين عن أمرك .
وإن قرأ سجدة سبحان قال : اللهم اجعلنى من الباكين إليك ،
الناشئين لك .

وإن قرأ هذه قال : اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم ، الساجدين لك ،
الباكين عند تلاوة آياتك .

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ) بعد الدينين المذكورين جاء خلفهم ، فمن بعدهم
خيه توكيد .

(خَلَفَ) عقب سوء. وأما خَلَفَ بالفتح فمقب صدق. هذا مشهور كلام العرب.
 (أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) وقرأ الحسن وابن مسعود والضحاك الصلوات بالجمع.
 قال ابن عباس: المراد اليهود، تركوا الصلاة المفروضة.
 وقال إبراهيم ومجاهد: أخروها عن وقتها.
 قيل: ويؤيد الأول قوله: «إلا من تاب وآمن».
 قلت: لا داليل فيه؛ فإن تأخيرها عن وقتها ترك لها يوجب التوبة، وتجديد
 الإيمان أغنى إصلاحه.

وعن عبادة بن الصامت عنه رضي الله عنه: إذا أحسن الرجل الصلاة قالت:
 حفظك الله كما حفظني، وزُمنَت بيضاء براءثة. وإذا أساءها قالت: ضيعك الله
 كما ضيعني، وتلف كما تلف الثوب اتلف، فيضرب بها وجهه.
 (وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) قال ابن عباس: المراد اليهود، استعملوا إنكاح
 الأخوات من الأب، وشربوا الخمر، وفعلوا ما تشبهه أنفسهم، وانهمكوا
 في المعاصي.

ومن على: اتبعوا الشهوات: من بدأ المشيد، وركب للنظور، وليس
 المشهور.

وقيل: المراد اليهود والنصارى. يتناول معنى الآية كل من فعل فعل هؤلاء.
 وعن قتادة: الآية في هذه الأمة.

وقيل: قوم يظهرون في آخر الزمان يتفخرون في الطرق والأسواق والأرقة.
 (فَسَوْفَ يَكْتُمُونَ غِيَابَ) شرا. وكل شر عند العرب غي، وكل خير رشاد

قال الشاعر:

فمن يَلْقَ خيرا يحمده الناس أمره ومن يَفُوْ لا يقدّم على الغي لا تئما

ويؤى من باب علم أو باب ضرب . قال أبو زيد : اللئى : الخسران ويكون بمعنى الضلال أى ضلال عن طريق الجنة .

وقال الزجاج : جزاء فى .

وعن ابن مسعود : وادى جهنم بعيد القمر خبيث الطعم . وكذا قال ابن عمر .

وعن ابن عباس : وادى جهنم تستمى منه جهنم أو أوديتها كل يوم - وقيل -

كل وقت سبع مرات .

وقيل : واد فيها ، بعيد القمر ، خبيث الطعم ، يسول قيعا ودما .

وقيل : هو أبدها قرا وأشدها حرا . فيه بئر تسمى للبهيم كلما خبت جهنم ففتح

الله تلك البئر فتستعير بها جهنم . قيل : أمد لزانى ، وشارب الخمر ، وآكل الربا

والعاق ، وشاهد الزور .

وقيل : اللئى : المذاب . وقرئ يُلْقَوْنَ بِالْبِئَاءِ الْمَفْعُولِ .

(إِمَّا مَنْ نَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) والاستثناء متصل . وزعم بعض أنه

منقطع . قيل : وآمن يدل على أن الآية فى المشركين . ولا دليل لما مر لجواز كون

المراد بالإيمان تقويقه وإصلاحه وكون المراد إلا من جمع التوبة والعمل الصالح

والإيمان .

(فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) مفعول مطلق أى ظلما

أو مفعول له أى لا ينقص شيء من ثوابهم بل يضاعف ثوابهم .

وقيل : المراد لا ظلم فى الجنة . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب

يبئاء يدخلون للمفعول من الإدخال .

(جَنَّاتٍ عَدْنٍ) إقامة : نوع من الجنات بدل من الجنة بدل شيء من شيء .

بناء على أن المراد بالجنة هذه الجنات ولو كان لفظ الجنة حقيقة فى كل الجنات كما

تقول : أكرمت الإنسان : زيدا وعمرا وبكرا ، أو بناء على أن الجنة حقيقة الجنة مطلقا وكذا جنات عدن ، فالجنة كلها جنات مطلق .

وإن أريد بالجنة الحقيقة مطلقا وبجنات عدن نوع فهدل بعض أى جنات عدن منها .

ومن بعض : أن جنات بدل كل من بعض وليس بشيء .

وإذا قلنا : جنات علم لإضافته لعدن الذى هو علم على الإقامة ، أو أرض فى الجنة ، فلا إشكال فى إبدال جنات من الجنة .

وإذا قلنا : إنه نكرة وعدن نكرة بمعنى إقامة فإنما أبدلت النكرة من المعرفة لتخصيصها بالإضافة كما إذا خصصت بالصنة .

وزعم بعض أنها لا تبدل منها إلا إن وصفت . والصراب وصفها وإضافتها ، وعملها ، كل ذلك ونحوه مسوغ لإبدالها ، أو أبدلت من الجنة ؛ لأن آل فى الجنة للجنس فكانه نكرة . وهذا على ما اشتهر .

وإن قلت : ما معنى قول القاضى : وعدن علم لأنه المضاف إليه فى العلم ؟

قلت : سألنى عنه بعض الطلبة فظهر لى . والله أعلم . أن مراده أن عدنا علم لأرض الإقامة ، وهى أرض الجنة وأن عدنا هو المضاف إليه وفى جملة العلم للركب ، فإن العلم المركب من المتضامنين هو من حيث التعريف مجموع الجزئين ولو كان الإعراب على الجزء الأول ، ويختص الثانى بالإضافة .

وإذا كان عدن هو المضاف إليه فى العلم للركب من المتضامنين فهو علم ؛ لأن العلم المركب منهما يكون الثانى أبدا علما ، كعبد الله علما لرجل ، وزين العابدين . وإذا قلنا : إنه علم لأرض الإقامة وهى أرض الجنة أو أرض منها فمعلم شخص .

وإذا قلنا : إنه علم الإقامة فلم جنس .

وقال شيخ الإسلام : مراد التناهي بقوله : في العلم في باب العلم .

وقرى جذات عدن وجنة عدن برفعهما على الخبرية المحذوف ؛ أى هي جنات عدن أو جنة عدن أو على الابتدائية وخبره لى .

ويجوز في قراءة النصب تقدير أعنى أو أمدح . (أئتي) نمت لجنات إن قلنا : تعرف بالإضافة لعدن بناء على أن عدنا علم .

وإن قلنا : إن عدنا نكرة فجنات نكرة فالتي بدل من جنات لجواز إبدال المعرفة من نكرة مخصوصة ، فلا دليل في الآية على أن عدنا معرفة ، وأنه لولا تعريفه لما وصفت جنات بالمعرفة .

(وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ) للفتين والرابط محذوف أى وعدما . (بِالْغَيْبِ) أى في الغيبوبة حال من لى أو من الرابط ، أى وعدما لإام ، وهى غائبة عنهم ؛ لأنها في الحال الآخرة ، أو حال من عباد أى وهم غائبون عنها والهاء للسببية متعلقة بوعده ، أى وعدم لأجل الغيب ، أى لإيمانهم بالغيب .

(إِنَّهُ كَانَ وَدُّهُ مَا نَوَّاهُ) اسم مفعول أى يأتيه عباده ويصلونه . أصله ما نوى بوزن مضروب ، قلبت الواو ياء وأدغمت ، وقلبت الضمة كسرة . كذا ظهر لى .

وقيل : هو اسم مفعول بمعنى اسم فاعل أى آتيا . وهو يهود من جهة الصنعة ، وخلاف الأصل ولو اعتمد الصفاقسى . وقيل : ذلك من باب القلب . ولوعد بمعنى الموعود به ، وهو الجنة .

(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أى في الجنة (لَنُؤَا) أى كذبا ، أو باطلا ، أو

محصية . أقوال ليست في معنى واحد ، كما قيل : ' فإن الكذب بعض العاصي ،
والباطل : ما لا نفع فيه محصية أو غير محصية .

وقيل : القفر : الخلف . كانوا في الدنيا إذا شربوا الخمر حلفوا .

والصحيح أنه ما لا نفع فيه . وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب القفر
وآثاقه ، حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها . أعاذنا الله منه ومن الجهل .
(إِلَّا سَلَامًا) استثناء مفصل تأكيداً للمدح بما يشبهه آدم ؛ أي إن كان السلام
من القفر فلا يسمعون فيها من القفر سواء كقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين قلوب من قراع الكتائب
أو المعنى أن السلام فيها لقو ؛ لأنه الدعاء بالسلامة وأهلها سالمون لولا أن قائدته
الإكرام . أو الاستثناء منقطع لكن يسمعون قولاً يسلمون فيه من العيب
والنقيصة ، أو لكن يسمعون تسليم اللائكة عليهم ، وتسليم بعضهم على بعض .
وقيل : تسليم الله عليهم .

(وَأَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أي على قدر البكرة والعشي في
الدنيا ؛ لأنه لا ليل ولا نهار في الجنة فضلاً عن وجود بكرة وعشية ، بل هي أبداً
نور وضياء لكن ذلك على قدر التمتع والتوسط بين الزهد والرغبة .

والتنعم عند العرب : من وجد غداء وعشاء ؛ فإن من الناس من يأكل
الوجبة في الدنيا ، وهي الأكلة في اليوم ، والأخرى في الليل .

وقيل : الأكل من ساعة إلى مثلها غداً . ومنهم من يأكل متى وجد ، وهي
عادة الذمومين ، ومنهم من يتقذى ويتمشى ، وهي المادة المحمودة للمتوسطة .

وقيل : إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ، ووقت الليل بإرخاصها .

ويجعل أن المراد كثرة الرزق ورعايته ودوامه كما تقول : أنا عبد فلان
صباحاً ومساءً ، تريد الدوام على العبودية لا خصوص الوقتين .
(تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا) من القميص المقدم بناء على جواز
ذلك . ومعنى نورث : تَبَقَّى . والوراثه أقوى ما يستعمل في الملك والاستحقاق ،
من حيث إنها لا تغيب بفسخ ولا استرجاع ، ولا تهطل برد ولا إسقاط . ويقدر
مقتضى ٤ .

(مَنْ كَانَ تَقِيًّا) أى تقيها لمن كان تقيا من عبادنا من ثمرة تقواهم ؛ لأن
المتقين يلقون ربه يوم التمام ، قد انقضت أعمالهم ، وثمرتها باقية وهى الجنة
فهو قد أودعهم الجنة من تقواهم ، كما يورث المال من المتوفى .

وقيل : نورث من كان تقيا من عبادنا ما لأهل النار من المساكن فى الجنة .
ويجوز على هذا أن يراد بالعباد أهل النار ، فيمتلئ من بعورث ، وتجعل
للابداء . وقرأ يستقوب بفتح الواو وتشديد اللام .

(وَمَا تَنْزِيلُ الْإِنشَاءِ بِأَمْرِ رَبِّكَ) قال ابن عباس وغيره : سبب نزولها أن
النبي ﷺ أبدا عنه الوحي فلما جاء قال : لأجبريل قد اشتقت إليك أملا تزورنا
أكثر مما تزورنا فنزلت . فهى حكاية لقول جبريل . فالضمير فى تنزل لجبريل
ونعموه .

وقال الضحاك ومجاهد : لما سئل ﷺ عن أصحاب الكهف وذى القرنين
والروح ولم يدر ما يجهب ورجا أن يوحى إليه ، أو قال : غدا أخبركم ما بطل عنه
خسة عشر يوماً . وقيل : أربعين . وقال المشركون : ودعه ربه وقلاه . ثم نزل
بيان ذلك ، ونزل : « ما ودعك ربك وما قلى » . وقال له النبي ﷺ : أبطلت
حقى ساء ظنى واشتقت إليك .

يقال : إني كنت أشوق ، ولكنني هبط مأمور ، [إذا بُعثت نزلت ، وإذا
 حُبست احتبست . ونزلت الآية .

وقال الداودي عن مجاهد : أبطأ جبريل من رسول الله ﷺ ثم أتى قال :
 ما حُبستك !

قال : كيف فأنتمكم وأنتم لا تقصرون أنظفاركم ، ولا تأخذون من شؤاربكم ،
 ولا تستأكون ! وما تنزل إلا بأمر ربك .

وعنه عليه السلام : إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصل قام الملك خلفه ، فيسمع
 لقراءته ويدنو منه حتى يضع فاه إلى فيه ، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا
 صار في جوف الملك . وإن صلاة على أثر سواك أفضل من سبعين صلاة بعده
 سواك ، وإن السواك مطهرة للقم وسرخاة للرب .

والنزل : بمعنى النزول على مهل ، مطاوع نزل بالتشديد بمعنى التدرج أي
 إن نزلنا في بعض الأحيان وقتاً غيباً وقتاً ، ليس إلا بأمر الله ، وعلى ما يراه
 حواسباً وحكمة . وقد يكون بمعنى مطلق الإنزال ، وليس بمعنى في الآية ولكن
 الأول أنسب .

وقرأ الأهرج ينزل بالتحمية . والضمير للوحى أو لجبريل . فإذا كان
 لجبريل فذلك ، وذلك من كلام الله . ويجوز كونه من كلام جبريل ، كما يقول زيد
 عن نفسه : زيد قائم . وقرأ ابن مسعود إلا بقول ربك .

(لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) من أمر الآخرة . (وَمَا خَلْفَنَا) من أمر الدنيا .
 (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أو قيل : له
 ما قد امنا وما خلفنا من الأماكن والأحايين وما نحن فيه ، لا نتقل من مكان
 إلى مكان ، ولا ننزل في زمان إلا بأمر من له الملك كله أجمع .

وقيل : ما سلف من أمر الدنيا ، وما استقبل من أمر الآخرة وما بين
النفختين وهو أربعون سنة ، وهو البرزخ .

وقيل : ما مضى من أعمارنا ، وغَبر منها ، والحال التي نحن فيها .

وقيل : ما قبل وجودنا وما بعد فناءنا وما بينهما .

وقيل : الأرض التي بين أيدينا إذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء
والأرض .

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) تاركاً لك كما قالوا : ودعه ربه وقلاه . وإمامه
آخر النزول لحكمة ، أو المعنى أنه لا ينفل ولا يذهل ، فكيف تغلب في ملكوته
إلا إذا رأى ذلك مصلحة وأذن لنا ، وهو الحافظ للعالم بكل حركة وسكون .

وقيل : أول الآية قول المؤمنين حين يدخلون الجنة . أي وما تنزل الجنة
إلا بأمر الله سبحانه وتعالى ولطفه ، وهو مالك الأمور السانقة والمرتبة والحاضرة
فما نحمد وما وجدنا فهو من لطفه وفضله . وقرن جل وعلا قولهم بقوله : « وما
كان ربك نسيا » أي لا ينسى أعمال العاملين وما وعدم من الثواب كيف ينقل
مدبر السموات والأرض ! أو ذلك كله من قولهم . والنسي حفة مهالفة بوزن
نفيل أو مفعول ، فأصله على هذا نسوى كصبور قلبت الواو ياء والضممة كسرة
وأدغمت الياء في الياء . وقرأ ابن مسعود وما نسيك ربك .

(رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) رب بديل من رب أو خبر لمخدوف
أي هو ربى فإن عرفته لا نحمد على هذه الصفة (فَأَعِيدُهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) فدم
على عبادته واكتسب الصبر الشديد عليها ؛ فإنه لا ينسى عبادتك ويشيمك عليها
ولا تتشوش بإطاء الوحي وهزه الكفرة وإلقائهم إليك الأغايط . وإنما عدى
الاصطبار باللام لا بـيلى لضمته معنى الثبات وتنزيل العبادة منزلة القرن المحارب

في إرادته الشدائد والمشايق كما تقول : اصطبر ليرتك أي اثبت . واصطبر انتقل من الصبر والطاء عن ناء .

(عَلَّ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أي مثلاً ونظيراً في استحقاق العبادة وكونه رب السموات والأرض وغد ذلك من صفات الكمال المنفرد بها حتى يسمى باسمه الذي هو الله . والمشركون ولو سموا أصنامهم إلهاً سكن لم يسموها بالله الذي هو ص فيه أل عن الهمزة ، لم يوقفوا للتسمية به .

وقيل : نظير في العبادة والرزق والخلق والإحياء والإماتة ونحو ذلك .

وفي رواية عن ابن عباس : لا تسمى أحد الرحمن دونه .

ويحتمل أن المعنى لا تسمى باسم إله أو بالرحمن ولا باسم الله ؛ فإن تسميته غيره بالإله أو بالرحمن ولو وجدت لكنها يبطل معنى غيره . معذبها لأنه ليس غيره أهلاً للعبادة فلا بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها قال الشاعر :

أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَتَذَمَّنَ الْقَرْعَ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْبِجَا
وقال :

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَبْصَامِ تَجَرِبَةً لِلصَّبْرِ حَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْأَثَرِ
وَقَرَّ مَعِي جَدٌّ فِي شَيْءٍ يَطْلُبُهُ وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا قَارَ بِالْظَفَرِ
(وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) الجنس لأن الغائل منهم كقولك : بنو فلان قتلوا فلاناً والغائل أحدم ؛ قال الفرزدق :

فَسَيْفُ بَنِي عَيْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَاً بِيَدِي وَرَقَاءَ مِنْ رَأْسِ خَالِدِ
أَسَدُ الضَّرْبِ ابْنُ عَيْسٍ مَعَ أَنْ لِلضَّرْبِ فُلُ وَرَقَاءَ بَنُ زُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ
البسي كما يدلله قوله نبا بيدي ورقاء ، أو بعض الجنس وهو الكفرة قديماً وحديثاً فانهم أنكروا البعث .

وقيل : للراد أبي به خلف فإنه أخذ عظاما بالية ففحقها وقال : يزعم محمد أنا نبئت بعد ما نموت .

وقيل : للعاص بن وائل .

وقيل : الوليد بن المغيرة .

وقيل : المراد رجال من قريش : هؤلاء الثلاثة وغيرهم من قريش .

(أَيْدَا) بتسهيل الهزئة للثانية وبصعقتهما وإدخال ألف بينهما إلى الوجهين والأولى للاستفهام .

وقرأ ابن ذكوان في رواية عنه بهزئة واحدة مكسورة على حذف همزة الاستفهام .

وروى عنه الأخفش أنه يقرأ بهزتين وجواب إذا مقدر تعلق به أي أخرج وليس جوابها أخرج المذكور لأن اللام مانعة من تقديم موصول ما بعدها كذا قالوا .

والحق أن المانع من كونه جوابا عدم قرنه بالقاء وإلا فالامل في إذا على الصحيح ما في جوابها ولو كان فيه ماله للمصدر .

فن أجلز تجريد الجواب من القاء أجاز كون لسوف أخرج جوابا واللام لام ابتداء . وقيل : لام جواب قسم مقدر قبل إذا ، والجملة جواب القسم .

ويموز كون إذا خارجة عن الشرط فيقدر أخرج قبلها وعلى تقدير بعدها فإنما قدم وأولى همزة الإنكار لأن المنكر هو كون ما بعد الموت وقتا للبعث . (مَا) زائدة للتأكيد قيل : وكذا اللام .

(مِتْ أَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا) من الأرض أو من حال القناء إلى الوجود أو من حال القناء ، لكن على حد خرج زيد عالما وخرج شجاعا ، إذا كان نادرا

في ذلك أى أحيا أنى سأخرج حيا ، حين يتمكن من الموت والملاك قد هزوا واستمعدا .

وقرأ الحسن وأبو حيوة ليس أخرج بفتح الهمزة وضم الراء . وقرأ طلحة ابن مصرف سأخرج حيا .

وإن قلت : كيف نجعل اللام للابتداء ولأم الابتداء للحال ، وهنا قد كانت بعدها سوف ؟

قلت : هي لجرد التأكيد خارجة عن الحال ، أو هي للحال على معنى قولك : أعتقد الآن أنى سوف أخرج ، أو أثبت الآن على أنى سوف أخرج ، أو هي لتقريب الاستقبال بالحال .

(أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) بفتح الهمزة وضم الكاف عند نافع وجامع وابن عامر وبفتح الهمزة والكاف وتشديدها . أصل هذه يتذكر أبدلت الهمزة ذالا وأدغمت في الدال .

وقرى يذكرك في الأصل وهي قراءة أبى وجعله لا يذكر مطبوعة على يقول بالواو ووسط همزة الإنكار بين المطفوف عليه والماعطف ، مع أن الأصل من حيث المعنى دخولها على المطفوف عليه وهو يقول ، لدلالة على أن المنكر بالذات هو المطفوف ، وهو مدم التذكر والذكر ، وأن المطفوف عليه وهو القول ، إنما نشأ منه . فذلك دخلت على المطفوف ، لكن قدمت على الماعطف . وأل في الإنسان للمهد الذي .

(أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) من قبل حاله ، وهو حال الهمزة الذى هو فيه .

(وَلَمْ يَكْ شَيْئًا) موجوداً بل شيئاً معدوماً . قاله الفارسي ، وهو معتزلي ،

وهو حق .

وقال القوم : الشيء لا يطلق إلا على الموجود ولو تذكر الفكر البعث للنشأة الأولى حيث أخرجه الله من العدم للصرف إلى الوجود لم يذكر البعث الذي ما هو إلا رد الأجزاء كما كانت ؛ فإن من قدر على إيجاد شيء معدوم لا على حدة وعلى غير مثال واقعة دائره أقدر على خلقه على مثال سابق .

وهذا مواجهة لجناح البعث . وإيجاد الله جل وعلا الأشياء كلها بقدرته سواء سهل أم هو ما يكون ، ليس شيء منها سهلاً وشيء صعباً وكل من النشأة الأولى وللثانية سواء عدده وليس في الثانية متعدياً بالأولى وقائماً عليها .

(فَوَرِّبْكَ لِنَعَشْرِهُمْ) منكرى البعث .

(وَالشَّيَاطِينَ) كل شيء طائفة الذي أغواه في سلسلة . قالوا للهمية ، ويجوز كونها عاطفة . وأضيف الرب للكاف تشريفاً لنبينا ﷺ ، والماء للإنسان على أنه الجنس ، وإما على أنه الفرد . قالها له ولأمثاله الذين دل عليهم .

وإذا قلنا : الإنسان مراد به المؤمن والكافر . ومعنى حشره مع الشياطين كعنى حشره مع الكافرين ؛ فإن الحشر عم الجميع وضمهم ؛ فإنهم مختلطون في الطريق إلى الحشر وفي الحشر .

(ثُمَّ لَنَحْضِرَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) السعداء والأشقياء . أما السعداء فلن يشاهدوا الحالة التي نجام الله منها فيزدادوا فرحاً وبشمتوا بأعدائهم ، وأما الأشقياء فلنزداد مساءتهم وحسرتهم وما يفيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم .

(جَنِيًّا) جمع جاث من جثا يجنى . أصله جثوا وكشهوداً دغمت الواو في الوار وقلبت الواو المشددة ياء أو من جثى يجنى أصله جثوى كشهود قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء .

وعلى الوجهين قلبت اللغمة كسرة .

والغنى : قاعدين على ركبهم لما يدهمهم من الهول حتى لا يستطيعوا التصرد والوقوف ؛ ولأن ذلك من توابع التوافق للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعتاب كما يبقى القارغ من أسر شق منبهة على حاله التى هو عليها قبل الفراغ وهى حال مقدرة ؛ فإن قومودم جاثين بمد الإحضار لا فى حال الإحضار .

وإن رجعتا إلهاء إلى الكفار صح أن يكون الغنى أنهم يساقون من الخشعر يمتف وم على حالهم التى كانوا عليها فى الخشعر من قومودم على ركبهم نه عشة على الأقدام يحببون حبوا إهانة وعجزاً للهول ، فالحال مقارنة .

وقال ابن زيد : الجلى : الجالسون .

وقال ابن عباس : الجماعات .

(ثُمَّ كَفَزَ عَنْ) المطف على جواب القسم ، ولذا قرن باللام والنون .
(مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) من كل أمة شاعت أى تابعت غاويها من الفؤاة كقولهم تعالى
« لعل وعلا : » إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً .

(أُولَئِكَ أَشْدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَنِيًّا) جراءة والذين أشد عيياً هم الرؤساء الضالون للضلون ، لتضاعف إجرامهم ، يزيدهم عذاباً فوق العذاب ، ويحملون أنقالم وأنقالاً جميعاً ، ويلبهم النابمون لهم كل بطبقته .

وقيل : يريد أن يميز طوائفهم أعتى فأعتى ، فيطرحهم فى النار على القريب ، بمد ما أحضروا حولها مغلولين . والآية فى المشركين كما رأيت وم كلهم فى النار . وإن قلنا : فيهم وفى العصاة فلا يخفى أن العصاة أيضاً فيهم عات وأعتى وكل بمقامه .

واختلف الرواة : هل عصاة الأمة ذوو الكهاتر من تحت المشركين ، أو من فوقهم فى النار ، بمد الاتفاق على أن من كان نفاقه إسرار شرك وإظهار إسلام من تحتهم ؟

نقل : من فوق .

وقيل : من تحت .

ولو قيل : إن كان نفاقه لم يجاوزه إلى إهانة المسلمين والدلالة عليهم وخيانتهم من جانب المشركين فهو فوقهم وإن جاوز نفاقه إلى ذلك ونحوه من الإنشاء عنهم فهو تحتهم لقننا : لم يقل شططا .

وأى مفعول نزع اسم موصول مبنى على الضم لحذف صدر صلتها والتقدير : أيهم هو أشد . وعلى الرحمن متعلق بأشد .

وعلى بمعنى عند أوفى ، أى فى دينه ، أو على ظاهرها مجازا فإنه سبحانه وتعالى لا يشق عليه شيء ولا حاجة إلى تطبيقه بأحق لأن فيه الحذف وأحد التأويلات المذكورة ولا يتعلق بمعنى لأنه مصدر لا يسبقه معموله . وقد يعلق به لأنه لا ينحل إلى أن والنقل ما دام تميزا ، وأيضا بتوسع فى الظروف .

(ثُمَّ أَنْخَنُ أَهْلَهُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا) بجهنم (حِيلِيَا) الباء متعلقة بأولى أو بصلتها ولو كان مصدرا على حاضر . والذين صلبيهم بالنار أولى ، أرم أولى بالصلى هم النزومون .

والصلى مصدر أصله صلى كتمود أبدلت الواو ياء وأدغمت وأبدات الضمة كسرة ومعناه الدخول والاحتراق والنقل صلى بكسر اللام وصلى بفتحها .

تنبيه : ما تقدم فى إعراب أى هو الصحيح ، وهو مذهب سيهويه قال ابن هشام - وخالفه الكوفيون وجاعة من البصريين - : لأنهم يرون أن أيا الموصولة معرفة دائما ولو أضيفت وحذف صدر صلتها .

قل الزجاج : ما تبين لى أن سيهويه غلط إلا فى موضعين هذا أحدهما ، فإنه يسل أنها تعرب إذا لم تنصف فكيف إذا أضيفت .

وروي أن سيبويه أجاب بأنها لما خالفت أخواتها في جواز حذف صلتها
مطلقاً غيرت مؤانسة للتغير . وردّ بإعراجها إذا لم تحذف وحذف المصدر .

ومن الجري : إني لم أسمع بين البصرة والكوفة وبين مكة من يقول : لأضرب
أيهم قائم ، بالضم . وزعم هؤلاء أن أبا في الآية استعظاماً مهجراً خبرها أشد
ومفعول نزع محذوف عند الخليل تقديره : لنزع من الدين يقل فيهم : أيهم أشد .
حذف الموصول وبعض الصلة .

وقل يونس : مفعوله جملة أيهم أشد عاق بالاستعظام .

وقال الكسائي والأحنس : مفعوله كل بناء على جواز زيادة من في
الإثبات .

وردّ بأن التعليق يخص بأفعال القلب وما جرى مجراها . ثم ظهر أنه أجاز
التعليق في غير فعل القلب وما جراه .

وردّ قول الخليل بأنه لا يجوز لأخيراً الفاسق بالرفع على أن الأصل الذي
يقال فيه : هو الفاسق . وقد يقال : إن الخليل يميزه إلا إن قام الدليل على النزع .
ويرد تلك الأقول فهد قول سيبويه قوله : فسلم على أيهم أفضل ، في رواية
الضم . فلو قيل : الأصل على الدين يقل فيهم : أيهم هو أفضل ؟ أزم حذف
الجرور ودخول الجار على بعض الصلة ، ولا يقال ما بعد على مستأنف ؛ لأن ما بعد
الجار لا يستأنف .

وجوز الرغشري وجماعة كون أي موصولة ، وقدروا معاق النزع : من
كل شيعة ، ثم قدر أنه مثل عن هذا البعض . يقول : هو الذي هو أشد ثم حذف

للمبتدآن المكتنفان للموصول وهو بميد؛ لأن فيه حذف مفعول نزع فإن « من كل شية » ليس مفعوله حقيقة إلا إن أراد أن من القبهضية اسم مضاف فهي المفعول ، وأن فيه تقدير سؤال وحذف مبتدأين واجب ؛ فإن كلا من ذلك جارٍ على القاعدة ، وقول الخليل أبعد ؛ لأن فيه حذف الموصول وبعض الصلة . ولو قدر قربنا لقال فيه الخ لكان أولى .

وقال أبو الحسن بن الطراوة : إن أيا موصولة مبنية مقطوعة عن الإضافة وصدر صلتها غير محذوف وهو م المصطل بها .

ورد باتصال الماء بالماء في الخط إلا أن يقال : هو من الأشياء الخارجة عن القياس في خط المصحف لكن الخروج خلاف الأصل ، وبالإجماع إنها معربة إذا لم نصف .

وقرأ طلحة بن مصرف ومعاذ بن مسلم المراء أسفاذ القراء بنصب أى على إعرابها وهي موصولة .

(وَإِنْ) أى ما (يَنْكُكُمْ) نمت المحذوف ، أى ما أحد منكم . (إِلَّا وَارِدُهَا) أى جهنم . وقد ر بعضهم للتسم أى والله إن منكم إلا واردها ، والخطاب للإنسان على طريق الالتفات من الأنبيسة للخطاب ، كما تدل له قراءة ابن عباس وعكرمة وجاعة : وإن منهم . أو يقدر : قل يا محمد . فلا الالتفات ، أو الخطاب للانس بلا التفات .

وإذا جملناه للناس جميعاً أو للإنسان المؤمن والكافر ، فمضى ورود المؤمنين إياها الانتباه إياها ورؤيتها واللم بها ، من غير دخول ، كقوله جل وعلا : « ولما ورد ماء مدين » ولم يقل أحد : إنه دخل الماء . وقول زهير :

ولما وردنا الماء زرقاً حمامة وضعنا عصا الحاضر المنخيم

وقول اسرى القيس :

فأوردما ماء قليلا أنيسه يحاذرن حمرأ صاحب اللغات
وأما ورود الكافر فورد دخول ، كذا قال أصحابنا رحمهم الله . ونفيه أن
الورود إن كان حقيقة في وصول الشيء أو رؤيته أو علمه كما هو في الدخول لم
استعمال الكلمة في معنيين .

وقد يجاب بجواز استعمالها فيهما كما هو قول وبأن المراد حقيقة الورد بقطع
للنظر عن كونه وصولا أو دخولا وإن كان مجازا في الوصول أو الرؤية أو العلم
لم استعمال اللفظ في حقيقة ومجازه وهو ممنوع لكن أجازوه مجيزون .

وأيا يجب أن ذلك من عموم الجواز واستعمال الورد في العلم أو الرؤية إذا
قلنا : إنه مجاز فعلاقته لزوم لاستلزام الوصول إلى الشيء أو رأيته العلم به .
واستعماله في الحضور إن قلنا مجاز فعلاقته السببية مع القرب والتجاور ؛ فإن
حضور الشيء سبب لدخوله ، أو اللزوم ، فإن حضوره يستلزم دخوله استلزاما بيانا .
والصحيح أن الورد حقيقة في الحضور وفي الدخول أيضا .

وإن قلت : لو كان الورد ورود حضور أو رؤية أو علم لا ورود دخول
لم يقل : ونذر الظالمين .

قلت : إذا دخل الظالمون جهنم وتركوا فيها وآما المؤمنون من غير دخول
فقد نجي الله المؤمنين وترك الظالمين فيها .

وذلك أن تقول : كل من ورود المومن والكافر ورود حضور ثم ينجى
الله المؤمنين من دخولها ، ويدخل الكافرين فيها ويتركهم فيها جثها كما كانوا
حولها ، نفى ذلك حذف أى تدخلهم ونذرهم . وما تقدم في الورد مذهب
ابن عباس .

وروى عنه وعن ابن مسعود وخالد بن معدان وابن حريج والحسن وجابر
ابن عبد الله وغيرهم أن الورود ورود دخول ونسب للأكثر ، يدخلها المؤمن
والكافر خادمة ، فيمبرها المؤمنون ، ثم تحير للكافرين .

وقيل : يدخلها المؤمن والكافر ، باردة للمؤمن حارة للكافر في حال واحد .
وسأل جابر رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال
بعض لبعض : أليس وعدنا ربنا أن نرد للنار ؟ فقال لهم : قد وردتموها وهي خادمة .
وعن ابن عباس : كأنها إهالة أي رمل .

وعن جابر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الورود : الدخول لا يبقى بار
ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم
عليه السلام حتى إن النار ضجيجاً من بردها - والخود - بالخاء المعجمة والجود
بالجيم - بمعنى واحد هنا وهما مرويان .

وعنه ﷺ : من له ثلاثة أولاد لم تمسه النار إلا عملة للنفس : يعني بتحملة
النفس « وإن منكم إلا واردها » . وفيه دليل على تقدير القسم كما مر تقديره أو
أراد بالقسم ما أخبر الله به : فإن إخباره لقبحته كالإقسام .

وعن المهدوي عن قتادة : يرِدُ للناسُ جهنم وهي سوداء مظلمة فأما المؤمن
فخضراء له خضائنه فينبجو وأما الكافر فعقوبة سيئاته ونجسه .

روى حفصة عنه ﷺ : لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية
قالت : فقلت : يا رسول الله وأين قول الله جل ثناؤه : « وإن منكم إلا
واردها » ؟

فقال ﷺ : بالنهار : مه أي كفى . أفلم تسمعيه يقول : « ثم ننجي الدين
انقروا » فهذا منه إشارة إلى دخول الكل وأن المؤمن يخرج منها بلا ضرر .

وقد يقال : إن مراده أن المؤمن لا يدخلها أصلاً ، وإنه ينجى من دخولها .
وفي رواية : يقول أهل الجنة : ألم تعدنا يا ربنا أن ترد لنا ؟ فهنا : بلى وقد
وردتموها خامدة .

وفي الحديث : تقول النار للمؤمن : جُزْ يا مؤمن فقد أظلم نورك لهي .
وعن نافع بن الأزرق أنه قال لابن عباس : ليس الورود المحلول . فقال
ابن عباس : بلى . فقال : « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها
واردون » أدخلها هؤلاء أم لا ؟ والله أنا وأنت تدخلها ، وأرجو أن يخرجني
منها ولا يخرجك لتكذيبك بالآية . وهذا منه زجر للنافع وإلا فنافع غير مكذب
بالآية لكن خالفه في التفسير .

وفي رواية : أما أنا وأنت فستدخلها وانظر هل نخرج منها أم لا ؟
وإن قلت : في دخول المؤمنين النار تخويف وزجر فكيف يدخلونها ؟
قلت : فإن قال بدخولهم إما أن يقول : يدخلونها وهم لا يشعرون كما هو
رواية أو يدخلونها وهم يعلمون ولكن يعلم الله أنها لا تضرم .
وأيضاً تقول النار للمؤمن : جز فقد أظلم نورك لهي إذا قارب المحلول وإذا
دخلها . كما لا نجد لللائكة إليها .

وظائفة دخولها زيادة سرورهم إذا علموا الخلاص منها وإذا خلصوا ، وزادة
غم أهل النار إذا رأوا خلاصهم ، وزادة التذاذأ أهل الجنة بغم الجنة إذا شاهدوا
بقاء الكفار فيها .

وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود مع الجهل بالخروج .
ولما نزلت الآية ذهب ابن رواحة إلى بيعة فبكى فجاءت امرأته فبكت
وجاء الخدام فبكى وجاء أهل البيت فبكوا . فلما انقطع بكؤه فقال : يا هؤلاء
ما يبكمكم ؟

قالوا : لا ندرى لكن رأيناك تبكى .

قال : آية نزلت يُنبئ فيها ربى أنى وارد النار ولم ينبئ أنى خارج .
وفى رواية : ولم ينبئ أنى صادر عنها . فلا داهل فيها على أن الورد الدخول
لإمكان إرادته أن يبكى من حضوره حولها أو عدم علمه أنه ينبغي أم لا .
واحتج أيضاً الذين فسروا بها الدخول بقوله تعالى : « فأوردكم النار » قال
أبو القاسم البرادى : ولا حجة لهم فيه لأنه يلزم أن يكون فرعون هو الذى أدخل
قومه النار .

قلت للنخعي : إن يلزم أنه أدخلهم فإنه أضلهم ، فهو سبب في دخولهم .
واحتجوا أيضاً بقوله تعالى : « ثم فنجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » .
قال أبو القاسم : وهذا أيضاً ساقط ؛ فإن مجرور « في » يصلح أن يكون
ضميراً للمرصة التهمة أى أما كتبها . والتمطرة : الجمر .
قلت : وهذا من أبى القاسم في هذا اللقائ لإثبات الجسر الذى على النار الذى
يقول قومنا : إنه أدق من الشعرة وأمضى من السيف ولا خير في ذلك ولو ادعى
بعض الأصحاب شرك الثائل به أو نفاقه وأنه ليس مناً ، وفى الشيخ مود مثله كما
يأتى - إن شاء الله .

واستدل أبو القاسم على أن الورد غير الدخول بقوله سبحانه وتعالى : « إن
الذين سبقت لهم هذا الحسنى أولئك عنها مُبعدون لا يسمعون حينئذ » ، وقوله
جل وعلا : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيه » والؤمن لا يخزي .
قلت : والنخعي أن يقول : المراد مُبعدون عن أن يعذبوا بها لا عن دخولها ،
كما أحضروا حولها ولم يبعدوا عن الحضور ، فليسوا يدخلونها ويعذبون بها
ويسمعون حينئذ وهم في المذاب .

وأما دخول النار بلا عذاب فليس بمحزى ، ولا يحكم على من قال بأن الورود هو الدخول بالكفر ، ولا بالنسوة . بل روي الربيع عن أبي عبيدة عن جابر عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : لا يموت لأحد ثلاثة من المسلمين نعمة النار إلا نعمة التقسم . فهذا نص في أن الورود دخول .

وفي تفسير الشيخ هود رحمه الله : إذا كان يوم القيامة قال الجبار : « لمن المالك اليوم » فلا تجيب فيقول : « لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » ثم يأتي عنق من النار يسمع وينظر ويتكلم ، فيشرف عليهم فيقول : « كُنتُ بثلاثة : من ادعى مع الله إنها آخر ، ومن ادعى أن الله والد ، ومن ادعى لنفسه الربوبية ، فتلقتهم القنطاط الحام للمسم ثم تنفوس بهم فتعود وتقول : إني وكُنتُ بثلاثة : بمن سب الله ، ومن كذب على الله ، ومن آذى الله . فمن سبه فهو الذي قال : إن الله اتخذ صاحبة . والكاذب : منكر الهم » وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » والذين آذوا : هم الصورون فتلقتهم كذلك .

وذكروا عن ابن مسعود أن الصراط على جسر جهنم مثل حديد السيف ، والملائكة معهم كلاب من حديد ، كما وقع رجل منهم اخضعقه النار فيمر نصف الأول كالبرق والثاني كالريح والثالث كالجمود الخليل والرابع كأجود البهائم والملائكة يقولون : اللهم - لم - لم . ويمر الرجل ماشها حافيسا ، ورجل على بطنه فيقول : لرب لم أبطأت بي ؟ فيقول : أبطأ بك حملك . انتهى كلام الشيخ هود . وقيل : الضحير في واردها لمرصة القيامة . وقيل : للفترة التي على النار وهي رواية عن الحسن وابن مسعود وقتادة .

وقيل : المراد بالخطاب الكفار . والورود : الدخول .

وعن مجاهد : ورود المؤمن النار : هو من الحتمي جسده في الدنيا ؛ لقوله
 ﴿وَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَجَاءِ جَهَنَّمَ إِنْ هُوَ الْحَمِيُّ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنْهَا﴾
 والنبيح : الحر .

(كَأَزَّ) ورودها . (فَلْيَرْجِعْ حَتَّىٰ) فرضا (مَقْضِيًّا) قضى به اسم
 مفعول ، أصله مقضوى كمضروب ، قلبت الواو ياء والضممة كسرة وكان الإدغام .
 والحتم مصدر يسمى به الواجب ، أو بمعنى اسم مفعول أى هموم .
 ومعنى كونه عليه حتما مقضيا أنه وعد به وعزم فلا يكون غيره .
 وقيل : معناه أنه أقسم عليه .

(يَوْمَ نُنَجِّي) وقرأ الكسائي بالتخفيف وإسكان النون
 وقيل : هذه أيضا قراءة يعقوب . قيل : وقرئ ننجى بالهاء للمفعول
 ولا وجه للمفعول لله بنون واحدة فيكون ما ضمها مكسور الجيم مفعول الياء
 للاستعمال . وقرأ ابن مسعود وابن عباس والجدري وابن أبي ليلى بفتح التاء
 على الظرفية .

(الَّذِينَ آمَنُوا) للشرك والكفر منها (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا) في النار
 أو حولها . (جَنَّتِهَا) فيه منى للمسلمون منها أو من حولها ويبقى الكافرون فيها
 أو يبتنون حولها ثم يطرحون فيها .

قال ابن عبد البر - من علماء الأندلس وزهادها في التوحيد - بعد أن ذكر
 رواية ورود بمعنى الدخول : وعن كعب الأحبار أنه تلا : « وإن معكم إلا
 وارضاه » فقال : أندروها ما ورودها ؟ إنه يحسب بهم نفسك للناس كأنها متن
 إمالة يعني الودك الذى يجمع على التدر من المرقعة ، حتى إذا استقرت عليها أقدام
 المخلاتى برَّم وفاجر نادى مناد : أن خذى أصحابك وذرى أصحابى ، فتخسف

بكل ولد لها ، فهي أعلم بهم من الواقعة بولدها ، ويدعو المؤمنون ، نذية
ثما بهم . انتهى .

والمراد بالظالمين ظالمو أنفسهم بالشرك ، أو بالكهنة غير الشرك . فأصحاب
الكهان ممن يخلد فيها . وقومنا يقولون : إن الظالمين المشركون ، أو هم وأصحاب
الكهان . فتركهم فيها لإدخالهم وتذيبهم ، ثم يخرج أصحاب الكهان بعد .
واحج بعض القوم على أن الظالمين المشركون ، وأن الذين اتقوا من اتقى
لشرك ولوحات على الكهنة : بأن من آمن بالله ورسوله صح أن يقال : إنه
محقق عن الشرك . ومن صدق عليه للركب صدق عليه للفرد ، ومن صدق عليه أنه
محقق عن الشرك صح أنه محقق . ومن صدق عليه ذلك وجب أن يخرج من النار
لصوم : « ثم ندعى الذين اتقوا » .

قلت : هذا بمنزل عن التحقيق ؛ فإنه ليس من صدق عليه المركب صدق
عليه للفرد . ألا ترى أن اللدادر مركب من زاج وعص وعلك ولا يقال : إن
اللداد زاج وحده ، أو عص ، أو علك ، وزيد قائم يصدق عليه أنه كلام
ولا يصدق عليه أنه كلمة إلا مجازا ، على ما فيه من البحث في محله .

ويلزم على قول ذلك القائل أن من صلى صدق عليه أنه صلى الصلوات كلها
ولو كان صلى بعضها فقط لصوم صلى .

ووزوا عن أبي هريرة أن الناس قالوا : يا رسول الله هل ترى ربنا يوم

القيامة ؟

قال : هل تمارون في التمر لئلا تبدو ليس دونه سبحانه ؟

قالوا : لا .

قال : هل تمارون في الشمس ليس دونهما سبحانه ؟

قالوا : لا .

قال : فإنكم ترواه . يحشر الناس يوم النيام فيقال : من كان يعبد شيئا فليتيهم . فتابع الشمس ، وتابع القمر ، وتابع طائوت . وتبقى هذه الأمة فيها مناقوها ، فهأنهم الله فهو قول : أنا ربكم .

فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا . فإذا أنانا عرفناه .

فيأتينهم الله فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : أنت ربنا . فيدموم ، ويضرب الصراط على جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمره . ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل . وكلامهم يومئذ : اللهم - ألم - ألم .

قلت : هذا حديث انتروه على رسول الله ﷺ وتبوا وأوابه منازل في النار كيف يرى ؟ وفي الرؤية تجسم ولون وجهاً وخلق الأماكن عنه والحلول ، والله لا يوصف بذلك ولا بغيره ؟ وكيف يخرج منها من دخلها مع أن من عمى الله ومات طاصيا نص الله عليه بخلوده والمصيان يعم كل كبيرة .

ولو صح حديث في ذلك غير ما انتروه لخصصنا به العموم ، ولو جاز أن يدخل النار من يخرج منها لجاز أن يدخل الجنة من يخرج منها فيدخلها مشرك يتنعم بقدر ما همل ومنافق كذلك ثم يخرجها .

وقد يقول الخصم : إن المشرك والمنافق أذهبا طيبتاهما في الدنيا فلا يدخلان الجنة ويخرجان ، بل المشرك لا يدخلها أصلا . والمنافق يدخلها بعد الخروج من النار ، ولا يخرج منها لسبق الرحمة الغضبية .

والجواب والرد في ههنا .

وقالوا : يخرج منها كل من في قلبه حبة إيمان ، ويبقى رجل من بين الجنة والنار ، وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة فيقول : يا رب اصرف وجهي من النار قد أحرقتني حرها .

فيقول : هل عصيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ؟
فيقول : لا وعزتك ، فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف وجهه عنها إلى الجنة ، فيراها فهسكت ما شاء الله .

فيقول : يا رب قدمني إلى باب الجنة .
فيقول الله : أليس قد أعطيت اليهود وللهيثاق لا تسأل غير الذي سألت ؟
فيقول : يا رب لا أكون أشقى الناس .

فيقول : فهل عصيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟
فيقول : وعزتك لا أسألك غير ذلك .
فيعطيه ما يشاء من عهد وميثاق ، فيقدمه إلى بابها . فإذا رأى زهرتها سكنت ما شاء الله جل وعلا .

فيقول : يا رب أدخلني الجنة .
فيقول : ويحك يا ابن آدم ما أغدرك ! ألم تُعطِ العهد وللهيثاق : ألا تسأل غير الذي سألت ؟

فيقول : يا رب لا أكون أشقى خلقك .
فيأذن له في دخول الجنة . فيقول له : نعم فيعني حتى تذهب أميته .
فيقول : لك ذلك ومثله معه . رواه أبو هريرة .

وقال أبو سعيد : إنه يقول : لك ذلك وعشرة أمثاله . روى ذلك كله الخائفون .

ورويوا أيضا عن ابي مسعود قال رسول الله ﷺ : إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها آخر أهل الجنة دخولا الجنة : رجل يخرج من النار حيا .
فيقول له الله : اذهب فادخل الجنة .

فما أتينا فتخيل إليه أنها ملئت ، فوجع فيقول : فارب قد وجدت لها قد ملئت .

فيقول له : اذهب فادخل الجنة فإن لك عشرة أمثال الدنيا .
فيقول : تسخر بي وأنت الملك ؟ فلقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه .

وزعموا أن النار لا تأكل لحوم أهل التوحيد ، وأنهم يخرجون كالنعم فويصب عليهم ماء الحياة فينبئون كالجنة .

(وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ آيَاتُنَا بِقُرْآنٍ) حال من الآيات أى واضحات الإيجاز أو ظاهرات الألفاظ والمعاني بنفسها وبلا توضيح رسول الله ﷺ . والحال مؤكدة فإن آيات الله لا تكون إلا واضحة ومعبرة .

والضمير المجرور بلى عائد على المؤمنين والكافرين قط . وعليه نقد أنتم للظاهر مقام الضمير في قوله : (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) قيل : اللام للتبليغ أو للتعليل أو للتمية .

(أَيْ الْفَرِيقَيْنِ) المؤمنين والكافرين . (خَيْرٌ مَقَامًا) مكان القيام . وقرا ابن كثير بضم الميم أى موضع إقامة ونزول . وكذا المراد في قراءة الفتح .

(وَأَحْسَنُ نَدْبًا) بمعنى النادى ، وهو مجتمع القوم للحدث . وذلك منهم انتخار بأن مقامنا وندينا أحسن ، إذا سمعوا الآيات وهجروا عن معارضتها وم :
الضمر بن الحارث وكفار قريش . وكانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ، ويلبسون

أنخر ثيابهم ، والمسلمون في خشونة عيش وملابس ، وفي شعث . أخذوا يفتخرون بذلك ، لتصوير نظرم ، وعدم علمهم إلا بظاهر من الحياة الدنيا .

ورد عليهم يتولوه : (وَكَمْ أَلَمَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ثُمَّ أَحْسَنُ أَنَا) (قُرْآنًا) كم مفعول لأهلكنا ، وهي للكثير ولا شك بأن « مِنْ قَرْنٍ » بيان لكم فهو نعت لها مع قولهم : إن كم الخبرية والاستفهامية لاتصفان ولا توصفان . ومع ردّها على من قال : جملة « هم أحسن » نعت كم بأن كم لا توصف . ولعل المراد أنها لا توصف بغير من البيانية ويجرورها .

والظاهر منع الحالية ، حيث نعت الوصفية ؛ فإن الغالب أن حكمها واحد ويضف كون « مِنْ قَرْنٍ » بيان لضمير مقدر بعد أهلكنا أى أهلكناهم ، والجملة خبركم ، وكم مبعداً . « ومن قرن » حال من الضمير .

وأما « هم أحسن » فالواضح أنه نعت قرن ، باعتبار معناه ، باشتاله على أفراد . وكل أهل عصر قرن لمن بعده ؛ لأنهم يتقدمونهم . وأننا تمييز نسبة ، بمعنى مناع البيت .

وقيل : المال : للعين والعروض والحيوان .

وقيل : اللباس . والرثى - بكسر الراء وإسكان الهمزة بعدها لا - هو من الرؤية ، وهو ما يرى ، كالطحن - بكسر فإسكان - لما يطحن . والمراد : ما ينظر إليه لحسنه . وقيل : الأثاث : ما هو جديد من مناع البيت . والخزنى - بضم فإسكان - : ما بلى منه .

وقيل : الأثاث : ما هو جديد من الفرش . والخزنى : ما بلى منه . وذلك قراءة ناع .

وقراء ابن عامر ربا بكسر الراء وقلب الهمزة ياء وإغايها . وقيل : هذه

قراءة نافع وأهل المدينة أيضا . ومعناها كمنى القراءة الأولى . وقيل : معناها : كثرة النعم لكثرة الماء .

وقرأ أبو بكر ريثما بكسر الراء بعدها ياء ساكنة وبعد الياء همزة ، على القلب ، كقولهم في رأى : راء .

وقرى ربا بكسر الراء بعدها ياء خفيفة ، أصله رى براء مكسورة فهاء ساكنة فهزة ، فنقلت حركة الهمزة للياء فحذفت الهمزة .

وقرأ ابن جبير وابن عباس ويزيد للبربرى زبا بزى معجمة وياء مشددة من الزى وهو الجمع ؛ لأن الزى محاسن مجموعة .

وقيل : بمعنى اللبس .

(قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ) وقوله : (فَلْيَمْدُدْ) لفظه أسر ومعناه إخبار ولكن عبر بلفظ الأسر إيدانا وقوع المدلا بحالة ، كالشيء المأمور به الذى يجب امتثاله ، أو جاء على طريق الدعاء ، كقولك : مَدِّ له الرحمن ، أى امدده بارحمي أو أمره تنبيه بالدعاء .

(لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) يمهله بطول العمر والتمتع ، ليزداد إيمانا ويقطع حذره ، ويقول لهم : « أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر » فليس المد بما ذكر لإكراما .

(-تَى) غاية للدأ أو غاية لفوائهم : « أى الفريقين خير » أى يبرحون مفتخرين بذلك حتى الخ . ومن أجاز لإخراج إذا عن الظرفية أجاز كون حتى جارة .

(إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا أَلْمَدَابَ) فى الدنيا كالقتل والأسر على أيدي المؤمنين . المذاب بدل كل باعتبار ما عطف عليه .

(وَإِنَّمَا السَّاعَةُ) فَيُظَاهِمُونَ خِزْيَ وَحَذَابِ فِي الْحَشْرِ وَالْخَشْرِ وَالنَّارِ .
(فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا) مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِأَن عَابَنُوا الْأَمْرَ بِمَكْسٍ
مَا قَدَّرُوا ، وَأَنَّ مَا مَتَعُوا بِهِ اسْتَدْرَاجٌ لَهُمْ . وَالْجَلَّةُ جَوَابٌ إِذَا ، إِذَا جُمِلَتْ حَقٌّ
بِابْتِدَائِيَّةٍ وَهُوَ الصَّحِيحُ .

وقوله : « من هو شر مكانا » قابل به قولهم : نحن خير مقامًا . وقابل
قولهم : « وأحسن ندبا » بقوله : (وَأَضْعَفُ جُنْدًا) من حيث إن حسن الددَى
إِنَّمَا هُوَ بِاجْتِمَاعِ وَجْهِ النَّوْمِ وَأَعْيَانِهِمْ ، وظهور قوتهم . والجند : الأنصار والأعوان
جندهم الشياطين الجنية والإنسية . وجند المؤمنين : الملائكة .

(وَزَيْدُ اللَّهِ) بِنَزُولِ الْآيَاتِ .

(الَّذِينَ أَحْتَدَوْا) آمَنُوا وَأَبْقَوْا .

(مُدَى) إِيْمَانًا وَيَقِينًا وَهُوَ مَفْعُولُ ثَانٍ لِيَزِيدَ . وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى قَوْلِهِ :
« مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْهُ الرَّحْمَنُ مَدًا » كَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا يَمْدُدُ الْكَافِرَ اسْتَدْرَاجًا
لِعَذَابِهِ ، وَيَقْصُرُ حَظَّ الْمُؤْمِنِ وَيَزِيدُهُ إِيْمَانًا ، لِيَمُوضَّ لَهُ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ .

وَقَالَ الزُّخْمَشَرِيُّ : الْعَطْفُ عَلَى لِيَمْدُدْهُ الرَّحْمَنُ ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى إِسْقَاطِ اللَّامِ .
وَرَفْعِ اللَّامِ لِأَنَّ الشَّرْطَ مَاضٍ .

وَالْعَطْفُ بِالرَّفْعِ دَائِلٌ أَنَّ الْجَوَابَ فِي نِيَةِ الرَّفْعِ كَذَا يَزِيدُ . وَيَرْتَبِطُ الْكَلَامُ
بِتَنْدِيرِ ضَمِيرٍ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : وَيَزِيدُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا الْآبِلِينَ لَهُمْ ، أَعْنَى الْمَمْدُودِ
لَهُمْ عَدَى .

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) الطَّاعَاتُ كُلُّهَا قَوْلًا وَفِعْلًا وَاعْتِقَادًا ، مِمَّا يَتَّبَعُ لِأَنَّ
ظَاهِرَهَا تَبَقَّى أَبَدًا .

وقيل : المراد خصوص الصلوات الخمس .

وقيل : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . قال ﷺ :
 لأبى الدرداء : خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن ، فمن الباقيات
 الصالحات ، ومن من كنوز الجنة .

وقال ﷺ : خذوا جنتكم .
 قالوا : يا رسول الله أين عدو حضر ؟
 قال : من النار .

قالوا : ما هي يا رسول الله ؟
 قل : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر . وإذا ذكر
 أبو الدرداء هذا الحديث قال : لأعلن ، ولا أكبرن الله ، ولأسبحنه حتى إذا رآني
 الجاهل ظنني مجنوناً .

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) مما منع به الكفرة لغناؤه ، وتغيب الحسرة له ،
 وما عند ربك باق .

(وَخَيْرٌ مَرَدًّا) مرجعاً وعاقبة ، أو منفعة ، كقولك : ليس لهذا الأمر مَرَدٌّ
 ثمنى منفعة . وهل يرد بكائي زيدا ، يعني هل يفته . وهاتان الخبرتان في مقابلة
 قولهم : « أرى الفريقين خير » أيضاً .

وإن قلت : كيف قال : « من هو شر مكاناً وأضعف جنداً » كان للمؤمنين
 أيضاً نصيباً من الشر والضعف ؟

قلت : هما اسماء تفضيل خارجان عن التفضيل ، أو باقيا عليه ، لكن على
 أن المقابل ليس المؤمنين كأنه قال : سيمعلون من هو غاية في الشر والضعف ، حتى
 فاق فيهما غيره على الإطلاق ، أو على الجسارة لنولهم ؛ لأنهم يقولون : إن المؤمن
 في ضعف وشر . فقال الله : إنهم على ما هم من الشر والضعف الذين يبين أنهم شر
 وأضعف منهم ، باعتبار ما لكم في الآخرة .

وإن قلت : فكيف قال : « خير عندك ربك ثوابا » كان للكافرين ثوابا
ففضل عليه ثواب المؤمنين ؟

المنى : إن ثواب المؤمنين خير مما مقع به الكافر ، أو أراد أن النار ثواب
للكافر كما يقول : « نبشركم بمذاب » ولكن هذا نوع من التهمك ، وهو أعبط
للهدوء . وليس المنى أن المؤمن أبلغ في ثوابه من الكافر في مقابله كما آل إليه
كلام القضى تبعا للزخشرى . ولو صح هذا المنى في قوله : للمسلم أحلى من
الخل والصيف أحر من الشتاء ، أى العمل أبلغ في حلاوته من الخل في حوصته ،
والصيف في حره أبلغ من الشتاء في برده ، إلا أن بيننا هذا المنى على معنى
التهم المذكور .

(أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا) أخبرني عن قصته والمراد الضعيف . استعمل
الرؤية بمعنى الإخبار ، لأن مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريق إلى الإحاطة بها علما
وصحة الإخبار عنها ، ولأن رؤيتك الشيء أقوى من أن يخبرك به غيره . والقراء
للتعريب ، أى اذكر قصة هذا عقب قصة أولئك .

والشهور أن الآية في العاص بن وائل . قال خباب بن الأرت : كان لى عليه
دين فأنقضته . فقال : لا والله حتى تنكفر بمحمد .

قلت : لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ، ولا حين نهشت .

قال : فإني إذا مت أمت ؟

قلت : نعم .

قال : إذا بمنت جنتنى وسيكون لى ثم مال وود فأعطيك .

وقيل : صاغ له خباب حُلْياً فاقضاه الأحرقال : إنكم تزعمون أنكم تبعون ،
وأن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً فأنا أقضيك ثم ؛ فإني أوتى مالا وولدا حينئذ .
وعن بعض أن خباباً كان في الجاهلية حدادا فعمل له سيفاً فجاء يتقاضاه
في أجرة العمل فكان ما ذكر .

وقيل : كان جواز بن الأزد حدادا في الجاهلية وعمل سيفاً للعاصي وكان
ما ذكر .

والجمهور على أن ذلك في العاص مع خباب وهو مذهب مسروق .
وقال الحسن : في الوليد بن الغيرة مع خباب .

(وَقَالَ) : والله (لَأَوْتَيْنَّ مَالًا وَوَلَدًا) إن بُعث .

وقرأ السكاني إسكان اللام وضم الواو جمع ولد كأسد وأسد ، أولفة
في الولد المفرد ، كقولهم في العرب بفتحعين : القرب يضم فإسكان .
وقرأ يحيى بن معمر بكسر الواو .

(أَطْلَعَ) قطع المزة همزة استفهام إنكاري وتوبيخي وحذف همزة
الوصل ؛ (الْغَيْب) أى أعلم الغيب الذى توحّد به الله لعظمة شأنه ، حق ادعى
أنه يؤتى مالا وولدا .

(أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ مَهْدًا) أن يؤتى ما ذكر . لم يطلع الغيب ، ولم
يتخذ المهدي ، فلا يتوصل إلى علم ذلك وليس له ما ادعاه ، وإنما يعلم ذلك
بالاطلاع وبالاتخاذ .

وقيل : المهدي : كلمة الشهادة ، والعمل الصالح وهو قول قتادة والكلبي .
(كَلَّا) لا يؤتى ذلك فليدفع عن غيره .

(سَكَتُ مَا يَقُولُ) أى منظره . أنا كتبنا ما يقول ، كقول : « إذا ما انتسبنا لم تلدني لثمة » أى أظهر أني لم تلدني لثمة ، أو سنبقى منه انتقام من كانت جرمة العدو مكتوبة عنده بحنوظة لينتقم منه يوماً ما .

وقيل : الذين هنا مجرد الوعد ، كما تقول لجاني : سوف أعقم منك ، ولست تنى أن زمان الانتقام بعيد ، ولكن أردت أنه لا يفوتك الانتقام منه ولو طال الزمان .

قال ابن هشام : وزعم الرخشي أنها - يعنى لثمة - إذا دخلت على نعل محبوبه أو مكروهه أقامت ثأنه . واقع لا محالة . وجهه أنها تريد الوعد بمحصول النعل ودخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضى لتوكيده . انتهى .

وأجاز بعض كون الضم للاستمرارية ويروى أن الاستمرار يفيد المضارع . قاله ابن هشام .

وإنما احتجنا لذلك للتأويلات ؛ لأن الكثرة لا تتأخر كتابة ما نزل أو قال ولو لحظة ، والوحد لو تأخرت كتابة ما نزل من عشر لكن سبع ساعات . وقيل : أقل .

(وَمَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) أى زیده منه لزيادة كفره وانذاره واستمراره . والمصدر للدلالة على قرط غضبه عليه - ثم ذاب الله منه - ومن المد - معنى المضاعفة .

وبقال أيضاً : أمد إمداداً كما قرأ على بعض النون وكسر اللام ، أو المعنى : تطول . له في العذاب ، ونهذه بما يذهب به الكفار المستهزون . والتطويل كفاية عن الدوام والإعظام .

(قَوْلُهُ) بِإِعْلَاكِهَا إِيَّاهُ (مَا يَقُولُ) مَا يَذْكُرُ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ ، وَمَا بَدَلَ
اشْتِمَالٍ مِنَ الْمَاءِ ، أَيْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي ادَّعَى أَنَّهُ يُوْنَاهَا فِي الْآخِرَةِ بِرِثِ اللَّهِ مَالَهُ
مِنْهَا فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَاكِهَا وَتَرْكِهَا لَهَا كَذَا ظَهَرَ لِي . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . ثُمَّ رَأَيْتُهُ لِنَعَائِي فَهُوَ
شَبِيهٌ بِالْأَسَدِ وَخَدَامُهُ بِمَنْفَى الْمَالِ وَنُورُهُ فِي قَوْلِهِ : « لَاؤَتَيْنِ مَالًا وَوَلَدًا » الْمَالُ وَالْوَلَدُ
فِي الْآخِرَةِ .

وَالْمَرْءُ بِمَا يَقُولُ : الْوَلَدُ وَالْمَالُ فِي الدُّنْيَا . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ : لِي أَلْفُ
دِينَارٍ أَلْفُ نَحْطَةٍ أَلْفُ جِلٍّ فَيَقُولُ لَهُ : لِي مَا تَقُولُ أَوْ أَكْثَرُ .
وَقَالَ الْفَرَّاسُ : نَزَنَهُ مَا يَقُولُ : نَحْفَظُهُ لِنَعَائِيهِ ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الدُّنْيَا وَرِثَتُهَا
الْأَشْيَاءُ .

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ السَّكَاةَ تَحْتَقِ وَطْمَعُ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ مَالًا فِي الدُّنْيَا وَوَلَدًا وَحَلْفٌ عَلَى
مَا نَعَاهُ بِقَوْلِهِ : لَاؤَتَيْنِ الْحُجَّ قَالَ اللَّهُ جَنَى بِرِصْلَةٍ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُ آتَاهُ : « وَنَزَنَهُ
مَا يَقُولُ » أَيْ تَزَجُّعُهُ عَنْهُ مَا أُوتِيَ .
وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَتَمَنَّى . فَإِذَا بَلَغَ أَجَلَ لَمْ يَنْلَهُ وَلَمْ يَتَمَنَّهُ
فَإِثْرُ إِزَاحَةِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِهَلَاكِهِ .

(وَيَأْتِيَانَا) يَوْمَ النِّعَامَةِ (هَرَدًا) عَنْ السَّالِ وَالْوَلَدِ إِنْ كُنَا فِي الدُّنْيَا ،
فَكَيْفَ يُوْنَى فِي الْآخِرَةِ مَالًا وَوَلَدًا ؟ أَوْ عَنْ قَوْلِهِ : « لَاؤَتَيْنِ مَالًا وَوَلَدًا » فِي
الْآخِرَةِ ، نَزَنَهُ عِتُوبَةُ قَوْلِهِ وَفَقَدَ مَا طَمَعَ فِيهِ .
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَأْتِينَا مُسْتَعِدًّا الْإِنْفِرَادَ عَنْ أَنْ يَسْكُونَ لَهُ مَالٌ وَوَلَدٌ فِي الْآخِرَةِ ،
فَنَفَرُوا حَالًا مُقَدَّرَةً عَلَى هَذَا .

وَأَمَّا إِنْ قُلْنَا : الْمَعْنَى مُتَفَرِّدًا عَمَّا لَهُ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ فِي الدُّنْيَا ، أَوْ عَنْ تَمَنِّيهِمَا
فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مُقَدَّرَةٌ .

(وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آيَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) شرطاً حيث يشفعون لهم .

(كَلَّا) ردع لهم عن العزم بالأوثان .

وقرأ ابن نهيك كلا بضم الكاف فيو منصوب على الاشتغال والفسر لاداعبه سيكفرون أى سيجعلون كل إله غير الله، وسنله زيدا حررت به . ويجوز تقدير سيكفرون فإنه قد يتعدى بنفسه .

وقال ابن جني : كلا بفتح الكاف والقنوين وقول : إنه مصدر مذهب أى كَلَّ هذا الرأى كَلَّا بفتح الكاف أى ضف . انتهى .

وبصح أن يكون هذا الفتوح النون هو كلا الردمية نونت وقفا ، أى قلبت ألفه نونا كما أبدل ألف الإطلاق نونا في قوله الشاعر :

أفل السومَ عاذلَ والمعانِ وتولى إن أصبتُ لقد أصابني

فقبل المعانِ وأصابني كما قال الزخشرى ، ومثله بسلاسل . والله الأبرحان بأن ذلك صح في سلاسل لأنه اسم أصله القنوين فرجع به إلى أصله المناسب على لغة من يصرف ما لا يصرف مطلقا أو شرط كونه مفاعِل أو مفعول .

وأجاب ابن هشام بأن نون الإطلاق لا تختص بالاسم . وقد صرح الزخشرى بأن النون لفظة في قراءة بعض أهل الأهل إذا يسر بقنوين يسر ولم يحضر الزخشرى الحكم في سلاسل وليسكن مثل به تنملا فقط .

واختار ابن هشام أن كلا مفعول مطلق أو مفعول به . قال : قرئ بالقنوين إما على مصدر كَلَّ إذا أميا ، أى كَلُّوا في دعوام وانقطعوا ، أو من الكَلَّ وهو القتل ، أى حلوا كلا .

(سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ) لسوء المماقة كما قالوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » فالكل في قراءة ضم الكاف : الآلهة والواو للكفرة والماء للآلهة أيضا فالإضافة إضافة مصدر لمفعوله وكذا للكلام في الواو والماء في قراءة فتج الكاف .

ويجوز رجوع الواو للآلهة والماء للكفرة ، والإضافة إضافة مصدر لمفعول أى ستجحد الآلهة عبادتهم . وجاز كون كلا بضم الكاف مراد به للكفرة والماء الآلهة فلا اشتغال بل مفعول المحذوف أو مفعول مقدم . وكذا إذا قيل : كلا للآلهة والماء للكفرة وجعود الآلهة لعبادة للكفرة مذكور في غير هذا الموضع أيضا كقوله : « وإذا رأى الذين أشركوا شركاؤهم » .

(وَيَسْكُرُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) ضد العزة وهو الدل . وهذا يؤيد كون واو يكفرون للآلهة ولا يوجهه .

وقيل : الضد : العون . يقال : هو من أصداده أى أموانه ولكن المبنى أنهم يكون في مذايهم معونة ، ضدّت عليه أمنت عدوه عامه . وذلك أن الأصنام ترقد نهانا على عابديها .

ويجوز كون هذه الواو للكفرة وهذه الماء للآلهة أى تكون الكفرة أعداء للآلهة ، وإنما وجد ضد الوحدة للمعنى الذى به مضادتهم ، وأنهم بذلك كالشئ الواحد .

وفي الحديث : المسلمون يد على من سواهم لفرط اتفاقهم ولم يقل أبدا .
(أَلَمْ نَرَأَ أَنْ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ) بأن سلطانهم عليهم ، وقهضنا لهم قرناء (تَرْزُقُهُمْ أَرْزًا) تزعمهم إزعاجا عن الطاعة إلى المصيبة ، ونعهمم بالتزيين .

ومعنى إرسال الشياطين : التفتيح بينهم وبين الكفرة ، وعدم توفيق الكفرة
لا الجبر. وحسب الكفر ولو شاء لنعمهم قهراً .

والمراد : تعجيب رسول الله ﷺ من قول الكفرة ، وإصرارهم في النفي
بعد وضوح الحق بالآيات . والأز : التحريك بالشدّة .

(فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بطلب المذاب اقتصرح أنت والؤمنون وتظهر الأرض
منهم ؛ فإنه لم يبق لك إلا أيام محدودة ، وأخاس معدودة كما قال :
(إِمَّا مَعُدَّةٌ لَهُمْ) الأنفاس والأيام (حُدًّا) ذكروا أن أجل الابد مكتوب
في أرل صحيفته ثم يكف بعد ذلك : مضى يوم كذا حتى يأتي على أجله .

وكان ابن عباس إذا قرأها بكى وقال : آخر المدد خروج نفسك . آخر المدد
فراق أهلك . آخر المدد دخول قبرك .

وقرأها ابن السكك عند الأمن فقال : إذا كانت الأنفاس بالمدد ولم يكن
مدد فما أسرع ما تفقد .

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ) متعلق بمحذوف ، أى نقل بالمؤمنين والؤمنين ،
أو نقل يوم نجمع المتقين ، أو متعلق بمسكون ، على أنه لا صدر إلا بالانهاية ؛
أو مفعول بأذكر .

(إِلَى الرَّحْمَنِ وَهَذَا) جمع وانف بمعنى ركب . ذكر المتقين بلافظ التمجيل .
وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذى غفرهم برحمته كما يفد الوفود إلى الملك المنتظرين .
للكرامة ، ولذلك اختار اسمه الرحمن . وفي تكريره في السورة ثلاث عشرة مرة .
ليس إلا لشأن عظيم .

ومساق السورة ذكر النعم ، وشرح حال الشاكرين لها والساكنين بها .
وقرأ الحسن يحشر المتقون .

قال أبو هريرة : يحشرون على الإبل .

قال علي : يحشرون على نوق ، رجالها الذهب ، ونجايب مروجها الياقوت
إن شاءوا سارت ، وإن شاءوا طارت بأجنتها ، وكل خطوة مد للهمر . والأزمة
من ياقوت وزبرجد .

قيل : هي أعمالهم الصالحة تجسمت .

وقيل : يركبون ما شاءوا إبلا وخيلا وصفاً تجري في الأرض وفي الهواء .
وظاهر الآية . قيل : إن ذلك إلى الجنة بعد الحساب .

وقيل : المراد الحشر من القبر . وورد أن الضحية مطية صاحبها المؤمن
إلى الجنة .

(وَنَسُوقُ الْعَجْرَمِينَ) بإمانة واستغفاف كإيمانهم مشاة حفاة . وقرأ الحسن
وبداق الجر موقد .

(إِلَى جَهَنَّمَ زُرَدًا) جمع وارد بمعنى عطشان .

رقيق : معناه عطش ماش . والأول قول الحسن وأبي هريرة وابن عباس
يساقون وقد مالت أحناقهم وتدلّت من العطش . والتعذيب بالعطش من أشد التعذيب
اللهم أعزنا منه دنيا وأخرى .

اللهم ارحمنا إذا عرق الجبين وكثر الأنين وبكا علينا الحبيب وأبس منا
للطبيب .

اللهم ارحمنا إذا وارنا للتراب وودّعنا الأحباب وفارقنا للنعم وانقطع
النسيم .

اللهم ارحمنا إنا نسي اسمنا ولي جسمنا واندرس قبرنا ونحي ذكرنا .

اللهم ارحمنا يوم تُبلى السرائر وتبدو الغمائر وتنشر الدواوين وتُحضر الموازين
يا حي يا قيوم ارحمنا يا أرحم الراحمين .

وعنه ﷺ : يحشر الناس : واحد على بهير ، واثنان على بهير ، وأربعة على
بهير ، وعشرة على بهير والبهية تحشرهم للنار قليل حوث قالوا .

ومنه ﷺ : صنف ركبان ، وصنف مشاة ، وصنف على وجوههم ، يشبههم
عليها الذي أمشام على أرجلهم .

(لَا يَمْلِكُونَ) الضمير لعباد ودل عليه ذكر المؤمنين والمؤمنين .

(الشفاعة إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ ذِيئًا لِلرَّحْمَنِ عَدُوًّا) شهادة أن لا إله إلا الله ،
والعمل الصالح . ومن بدل ، أو منصوب المحل على الاستثناء .

وأجاز الزمخشري كون واو يملكون علامة للجمع . ومن فاعل ، وهي
جمع في المعنى . قلت : وهو ضعيف لأنه بمنزلة قرن للفعل في التصريح بالهاء مثل
ما قامت هند .

ويجوز كون المعنى إلا من أخذ من الله إذنا فيها كقوله : « لا تنفع الشفاعة
إلا من أذن له الرحمن » كقولك : عهد الأمر إل بكذا إذا أمرني به .

ويجوز كون مَنْ مفعولا به على حذف مضاف ، أي إلا شفاعة من اتخذ .

وقيل : الضمير للمجرمين ، أي لا يملكون أن يشفع أحد فيهم إلا من اتخذ
هند الله عهدا منهم بالإسلام . والاستثناء متصل لا منقطع كما قول .

وقيل : الواو للمعتنين .

وقيل : الضمير للناس وَمَنْ حَانِدَ لِنَبِيِّ ﷺ ، أي إلا النبي محمد الذي اتخذ

عهد ذلك . فالشفاعة هي الشفاعة العامة لأهل الموقف من طول الوقوف .

وقيل : العهد : لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وروى أنه ينادى يوم القيامة : من كان له عهدي عهد فليتم .
وقال رسول الله ﷺ لأصحابه ذات يوم : أيمجز أحدكم أن يتخذ كل صباح
ومساء عهد الله عهدا ؟

قالوا : وكيف ذلك ؟

قال : يقول كل صباح ومساء : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب
والشهادة إني أعهد إليك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ،
وأن محمدا عبدك ورسولك ، وأنت إن تكلمت إلى نفسي تقرني إلى الشر ،
وتباعدني عن الخير ، وإني لا أنق إلا في رحمتك فأجعل لي عهدا توفينيهِ يوم
القيامة ؛ إنك لا تخلف الوعد . فإذا قال ذلك طُبع عليه بطابع ، ووضع تحت
الغرش . فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين هم عند الرحمن عهد
فيدخلون الجنة .

(وَقَالُوا) : اليهود والنصارى ومن زعم أن اللائكة بنات الله من العرب
بدهل قوه :

(اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) وقيل : للضمير المجرمين .

وقيل : لجميع الناس لأن القائلين منهم .

وقرأ الكسائي بضم الواو وإسكان اللام على حد ما مر وكذا في اللوحين
الآتين وفي الزخرف : « إن كان لرحمن ولد فأنا أول العابدين » .

(لَقَدْ جِئْتُمُ شَيْئًا) النفات من الغيبة للخطاب مهالمة في الذم ، وتسجيلا
عليهم بالجرأة على الله . (إِذَا) عطفيا منكرا . والإد : لشدة . وأدني الأمر وآدني :
أقلنى وعظمت على .

وقيل : الإد : المعجيب .

وقرى بفتح الهمة . والمعنى واحد من القولين .

(تَكَادُ مَسَوَاتُ يَنْظُرْنَ) يَنْظُرْنَ (مِنْهُ) مرة بعد أخرى .

وقرأ غير نافع والكسائي بالقافية في يكاد ، وكذا في الشورى .

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمة وأبو بكر ويقتوب يَنْظُرْنَ بالنون ساكنة

وكسر الطاء والأول أبلغ دلالة على التكرار ولأن أصل الفعل التكلف فمن

يكدن أن لا يترك شيئا من الانشاق إلا تشقته . وقرأ ابن مسعود يتصد من .

(وَتَنْشُقُ الْأَرْضُ) كَانْكَادُ السَّمَاءُ تَنْظُرُ .

وقيل : المعنى تمخض بهم . (وَتَنْخِرُ) تَقَعُ .

(الْجِبَالُ مَدًّا) انهداما مفعول لأجله لتخر ، ويصح مفعولا مطلقا . ويصح

حالا أي ذات هد ، أو مهدودة أو منهزمة .

وعن الهاجي عن ابن مسعود أن الجبل يقول للجبل : يا فلان هل مررت بك

اليوم ذاكر لله . فإن قال : نعم سر به . ثم قرأ عبيد الله : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ

وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِلَهًا » قال : أترونها تسمع الزور ولا تسمع الخطر ؟

والهاجى هذا قطب بالأندلس

وقد روى عن أنس مثل ما روى عن ابن مسعود وذلك لا يقال

حجة الرأي .

وعن جعفر بن زيد عن أنس : ما من صباح إلا نادى بقاء الأرض بمضما

بعضا : أي جارتى هل مررت بك اليوم عبيد يعلى أو يذكر الله ؟ فنقائلة : لا ومن

قائلة : نعم فإذا قالت : نعم رأيت لها بذلك فضلا .

قال محمد بن كعب : كاد أعداء الله أن يقوموا علينا الساعة .

وعن كعب : غضبت الملائكة وسُمرت جهنم حين قالوا ما قالوا . قال

ابن عباس : نزلت الملائكة والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الإنس وكادت تزول .

والمنى أن الله سبحانه يقول : كذبت أسطر السموات وأشقق الأرض وأخر الجبال غضها على من قال ذلك ، لكنى حليم لا أعجل بالعتوبة كما قال : « إن الله يمك السموات - إلى - حليماً غفوراً » .

والمنى : إنه عظم القول وحوته وصور أثره في الدين وهدمه لأركانها وقواعده حتى إنه لظمه لو صور بصورة محسوسة لم تحملها هذه الأجرام العظام وتفتتت .

وقيل : معنى خروار الجبال : انطباعها عليهم .

(أَنْ دَعَوْا) سموا وأثبتوا ونسبوا (لِلرَّحْنِ وَلَدًا) بفتح هزة أن وهي مصدرية بقدر حرف التماسيل قبلها كاللام ومن ، وتماق بضمكاد . وفي تعابته ينفطرن أو يفتشق أو يفتخر أو يهدأ أو حوج تقدير مثله غيره أو تنازع . والحل بعد حذف الحرف الجار مع أن وأن أو كي المصدريات نصب على نزع الخافض ، أو جر ، قولان .

وبصح أن يكون قوله أن دعوا بدلاً من الماء في منه بدل كل ، وأن يكون خبراً لمخدوف ، أى موجب التفطر والانشقاق والحزن « أن دعوا للرحن ولدا » . وإن أجزنا أعمال المصدر المنون في الفاعل والمفعول والمصريح صح أن يكون أن دعوا فاعلاً لهذا كأنه قال هدها ادعوا ثم الولد لله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون .

قال القاضي : فيكون دعا بمعنى سمي المفعول إلى مفعولين . وإنما انحصر على المفعول الثاني ليعيط بكل من دعاه ولداً أو من دعا بمعنى نسب الذي يطاوعه ادعى إلى فلان : إذا انتسب إليه . انتهى .

وخص اسم الرحمن لأنه هو الرحمن وحده ، لا يستحق هذا الاسم غيره ، لأن كل نعمة أصلا أو فرعا منه ، كما قل بمضمون : فليتكشف عن بصرك غطاؤه مات وجمع ما عندك مطاؤه . فمن أضاف إليه ولدا فقد جمعه كهض خلقه ، وأخرجه من استحقاق اسم الرحمن .

(وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) لا يليق أن يوصف بالتخاذه لاستعاليه ؛ لأنه تعالى لا يشبه شيئا ، ولا يتخذ صاحبة . وأما الولد بالتبني فلا أيضا لأنه يكون من جنس المبتنى ، وليس له تعالى جنس .
(إِنْ) أى ما (كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) من موصولة ، أو هي نكرة موصولة .

وزعم الكسائي أنها لا تكون نكرة موصولة إلا في موضع يخص للنكرات كقوله : رُبُّ مَنْ أَنْصَبَتْ غَيْظًا صَدْرُهُ .
(لَا آتِيَ الرَّحْمَنِ) بإسقاط الهاء من الخط فيما للنطق وثبتت في مصاحف غيرنا بمشعر المقاربة .

وقرأ ابن مسعود وأبو جهرة قنوين آت وأنصب للرحمن . (مَهْدًا) ملوكا يأدى إليه بالعبودية والافتقار والذل يوم القيامة عيسى وعزير وغيرهما .
(لَقَدْ أَحْضَأْنُمُ) حمرهم ولا يخرجون عن قبضة .
(وَعَدْنُمُ عَذَابًا) عذابا لهم وأنفاسهم وأعمالهم .
(وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَرَدًا) مفردا من الأنبياء والأصهار والذل .
(إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) محبة في قلوب من غده تعرض عنهم لأسبابها لإنقاذهم إما نكاحا كما تنفذ في قلوب أعمالهم الرحمة .

قال أبو حيان في البحر : ومن الغريب ما أنشدنا الإمام القنري رضي الله عنه
أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينة بن إسحاق
النصراني المصري :

عدى ونيم لا أحاول ذكرهم بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصاري تحمهم وأهل الشهي من أغرب وأطجم
قلت لهم : إني لأحسب حُبهم مري في قلوب الخلق حتى للبهائم

والذين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون بمقوتين بمكة فوعده ذلك إذا
قوى الإسلام ، وإما لأن الماعود في القيامة حين يمرض حسابهم على رؤوس
الأنعام فتظهر حسناتهم ، وإما أنه ينزع الفل من صدورهم يوم القيامة فيتحابون .
وقول : سيجعل لهم ودا في الدنيا فيتحابون ، وكانوا دون تلك المرتبة ؛ قل
ﷺ لي : قل : اللهم اجعل لي عندك عهدا ، واجعل لي في صدور المؤمنين
مودة .

وعنه ﷺ : إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : إن الله يحب فلانا فأحبوه
فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض .
ويروي أنه يقول : قد أحببت فلانا فأحببه فأجبريل فيحبه : فينادي . وإذا
أبغض فبغض ذلك .

وعن قتادة : ما أقول العبد إلا الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه . ومثله عن
هرم بن حيان ، إلا أنه قال : بقلوب المؤمنين .

قال كعب : في التوراة : لا محبة لأحد في الأرض حتى يكون ابتداءها من
الله ، ينزلها على أهل السماء ثم أهل الأرض . ومصادقه الآية .

وروى ثوبان أن العبد لو لمتمس رضى الله فيقول الله جل وعلا لجبريل: إن فلانا
يلتمس رضى فعلوه رحمتي فيقول جبريل: على فلان رحمة الله . فيقول حملة العرش
فَمَنْ حَوْلَهُ ؛ فكل أهل سماء ، فأهل الأرض . وعكس ذلك في السخط .
(فَأَمَّا يَمِيزُ فَاہ) سهلناه أى القرآن (يِلْسَايِكَ) يا محمد أى بِلْمَنِيكَ .
(لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) الصائرين إلى التقوى نبشرهم ، أو أراد بالمؤمنين من
قد اتقى .

(وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا) شِدَادُ الخصومة ، آخذين في كل لديد ، أى في
كل شاق من الجدال بالباطل ، وم كفار مكة ، أو في كل شق وجانب من
الجدال .

(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) تخويف لهم ، ونجسده وَاللَّهُ عَلَى
إنذارهم .

(هَلْ يُحِيسُ) تجمد أو ترى . وقرئ بفتح القاء وضم الحساء بمعنى تشعرو .
(مِثْلَهُمْ) متعلق بتمس ، أو نمت لما بعده لأن من زائدة .

(مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ) وقرأ حنظلة بالهناء للفعول من أسمه الكلمة بسمه
لأبائها . (أَهُمْ رَكُوزًا) صوتا خفيا . فكما أهلكنا هؤلاء نهلك من كذبك .
والركوز أصله : الخناء مطلقا . رَكَزْتُ الرمح : غيبت طرفه في الأرض .
والركاز : المال المدفون .

اللهم ببركة سيدنا محمد وآله وصحبه وببركة السورة صل اللهم على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم .

